الدكتور إسماعيل أحمد ياغي
تاريخ شرق آسيا الحديث
مكتبة العبيكان

تاريخ

شرق آسيا الحديث

تأليف :

الدكتور إسماعيل أحمد ياغي

الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

ياغي، إسماعيل أحمد

تاريخ شرق آسيا الحديث

... ص؛ ... سم

ردمك ١ ـ ٠٩٨ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ .

١ ـ شرق آسيا ـ تاريخ   أ ـ العنوان

ديوي ٩٥٩   ١٥/٠٣٨٢

ردمك ١ ـ ٠٩٨ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ .   رقم الإيداع : ١٥/٠٣٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ/١٩٩٤م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

شغلت دول شرق آسيا ومنطقة المحيط الهندي اهتمام العالم، واستقطبت كل القوى للوصول إليها، وذلك لغناها بالتوابل والبهارات والعطور والأفاويه والطيب والذهب والفضة والحرير. ولذلك دفعت رحلة ماركوبولو الرحالة الإيطالي لهذه المناطق عام ١٢٦٠م دول العالم القديم للوصول إلى تلك البلاد والحصول على ثرواتها.

ولا ريب أن العرب قبل الإسلام كانوا أسبق الناس في الوصول إلى الهند، والحصول على بضائعها وبيعها إلى دول أوروبا عبر تجار جنوة والبندقية مروراً بطريق الخليج العربي والبحر الأحمر، واستمرت هذه التجارة بعد ظهور الإسلام.

وفي مطلع العصر الحديث، وبعد خروج المسلمين من الأندلس، بدأت حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية التي كانت بداية للاستعمار في العصر الحديث ممثلة في دولة البرتغال التي وصلت إلى الهند عام ١٤٩٨م، ولحقت بها الدول الأوروبية الأخرى (هولندا، بريطانيا، فرنسا، أسبانيا)، واتجهت إلى دول شرق آسيا بهدف الالتفاف حول الدولة الإسلامية وتقويض أركانها، ونشر الديانة النصرانية في بلدان شرق آسيا (الهند وسيلان وأندونيسيا والصين واليابان). وقد نجحت الدول الأوروبية في ضرب اقتصاديات العالم الإسلامي واحتكار تجارة الهند، وذلك عن طريق احتكار مراكز التجارة في سواحل غرب الهند وفي أندونيسيا وغيرها من مناطق الصين واليابان، كما سيطرت على طرق التجارة في الخليج والبحر الأحمر.

وبدأت حمى التنافس بين الدول الأوروبيـة من أجل السيطرة على شرق آسيا، فـوصلت القـوى الأوروبيـة إلى الهنـد وأندونيسيـا وسيـلان والصين واليـابـان، وفرضت اقتصـاداً تجاريا على شعـوب آسيا، كما أحـدثت انقلاباً في كـل نواحي الحياة، وظل هذان العنصران هما الهدف الأساسي لتحكـم أوروبا في قارة آسيا. برغم الإعـلان عن أن هدفهما الـرئيس هو إضعـاف الإسلام والقضـاء عليه. كما احتلت السيطرة السيـاسية وتنصير آسيا جـانباً كبيراً من سيـاسة الأوروبيين تجاه شعوب القارة الآسيوية.

ومهما يكن من أمر فقـد واجه التـوسع الأوروبي في شرق آسيا ظهور قـوميات آسيويـة وبروز أمـريكا وروسيـا قوتين عظميين لهما مصـالح بـآسيا. ولقـد كان الإخفاق في نهاية المطاف حليف الـدول الأوروبية، وانتصرت القوى المحلية بعد أن تخلصت من القيود التجارية والاقتصادية.

تتناول هـذه الدراسة عـلاقات أوروبـا بدول شرق آسيا في تـاريخها الحديث، وعلى وجـه الخصوص حـركـة الكشـوف الجغرافيـة وتأسيس الاستعمار البرتغـالي والهولنـدي والإنجليزي، وتأثيراتها على الهنـد وأندونيسيـا والصين واليابـان، مع توضيح انتشار الإسلام في هذه الأقطار ودور المسلمين في مقاومة المستعمر.

والله الموفـق.

الرياض

٢٣ محرم ١٤١٥هـ

٣ يوليو ١٩٩٤م

المؤلف:

د. إسماعيل أحمد ياغي

الفصل الأول

آسيا والسيطرة الغربية في العصر الحديث

لمحة تاريخية عن الشعوب الآسيوية

تعد قـارة آسيا من أكبر قارات العـالم القديم وأكثـرها سكانـاً، كما أن إنسان الصين وجاوة (أندونيسيا) من أقدم الحفريـات القديمة، ويرجع سكان وشعوب شرق وجنوب آسيا إلى مجموعة السلالات المغولية والصفراء. كما توجد بين الهنود الحمـر في الأمـريكتين. وتمتـاز هذه المجمـوعـة بلـون البشرة المائل إلى الصفـرة، والشعر المستقيم الناعم وعظام الخد البـارزة والعين المائلة، والقامة المختلفة بين القصيرة والمتوسطة والرأس والوجه العريض والجبهة المرتفعة والأنف الصغير غير المرتفع.

وهناك خليط من مجموعـات أخرى من السلالات القوقازيـة (أوروبا والبحر المتوسط) والزنجية (أفريقيا)، وهي ليست مجمـوعة متجانسة، ولكنها عبارة عن بضع سلالات اختلطت فيهـا دمـاء السلالات الثـلاث الرئيسة السـابقة، ومن أهم هذه الأقسـام الأستراليون الأصليون والملاويـون والميلانيـزيون والبولينـزيون والإيشو والباسك وغيرهـم[1].

ولا ريب أن مجتمعـات هذه البلـدان في تـاريخها القـديم والـوسيط والحديث كانـت تقوم على تقسيم المجتمع إلى طبقـات: الحكام والأشراف ورجال الـدين وعامة الناس. ففي الهند ينقسم المجتمع إلى خمس طبقات هي:

١ - البراهمة: وهي طبقة الكهنة ورجال الدين.

٢ - شتري: رجال الحرب.

٣ - ويش: رجال الزراعة والتجارة.

٤ - شودر: رجال الخدمة.

---

(١) د. فؤاد محمد الصقار، دراسات في الجغرافيا البشرية، بيروت ١٩٧٣م، ص ٨٢.

٥ – المنبوذون الأشقياء : وهم أحط من البهائم وأذل من الكلاب [١].

غير أن هذا التقسيم يختلف في الصين واليابان وما حولهما عنه في الهند، فقد كانت هذه البلاد ذات تركيب مزدوج سياسي واجتماعي معا بخلاف الدول الأوروبية التي يندمج فيها النظامان السياسي والاجتماعي. فالنظام السياسي في كلا البلدين الصين واليابان – يقوم على أن الإمبراطور حاكم مطلق يجمع بيده كل شيء. كما يقوم النظام الاجتماعي على حضارة زراعية يشكل فيها الفلاحون ٩٠٪ من السكان، وهناك طبقة عسكرية وطبقة دينية التي تعتنق البوذية والكونفوشية [٢].

انتشار الإسلام في آسيا :

لما كانت المجتمعات القديمة يسودها الظلم والقهر والتعسف، فقد وجدت في الإسلام الملجأ والملاذ الآمن، فأقبل عليه الناس من كل حدب وصوب، فالإسلام دين المساواة والعدل، دين الرحمة دين الأخوة.

بعد أن ثبتت أقدام المسلمين في بلاد العرب، وترسخت مبادئ الدين في قلوب أبنائه انطلق المسلمون خارج الجزيرة يؤدون المهمة الملقاة على عاتقهم بإخراج الناس جميعا من الظلمات إلى النور بعبادة الله الواحد الأحد، وترك كل ما سواه من عبادة المخلوقات، وبالقضاء على الظلم والطغيان واجتثاث جذورهما في بقاع الأرض كلها، وبالقضاء على ضيق الدنيا في النفوس إلى رحابتها، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام [٣].

---

(١) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، جدة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٥.

(٢) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي، تاريخ العالم، دمشق، ١٩٥٠م، ص ٣١٥.

(٣) د. إسماعيل ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث ط ٢، الرياض – المريخ، ١٩٩٣م، ص ١٩.

ورفع المسلمـون راية الجهاد، وانطلقـوا إلى كل جهـة يقوضون ركـائز الظلم، واستطاعـوا بحركـة سريعة أن يدكـوا دولة فـارس، كما تمكنوا من تحطيم جبروت دولة الـروم وجعلوها تنحسر عن أراضٍ شاسعـة، كما شعرت دولة الروم بـالذل والفشل بعد الهزائم التي منيت بها، والأقطار التي انسحبت منها، وتخلت عنها صاغـرة.

وانطلقت جيـوش المسلمين في حركـة جهـاد إسـلامي واسعة لنشر الدعـوة الإسلامية في عهـد الخلفاء الراشدين، ففتحت الشام والعراق وفـارس وخراسان وأذربيجـان وداغستـان وأرمينيا في قارة آسيـا، كما تمكنت من فتح مصر وبعض بلاد المغرب العربي في قارة أفريقيا.

وتوالت حركة الجهاد والفتوحـات الإسـلامية في العهد الأموي، فتم فتح بلاد مـا وراء النهر، وفتـح بلاد تـركستـان (الصين)، وضم بلاد السنـد كما تـم فتح الأندلس. وتابع بعـدهم الغوريون فدخلوا بلاد البنغـال، وتوغل العثمانيون في أوروبـا. وهنـاك فتوحـات على نطـاق ضيق كما حدث في جـزر البحر المتـوسط (قبرص، مالطة). هذا عن انتشار الإسلام عن طريق الفتح.

أما عن طريق التجارة والدعوة فقد تـم على مرحلة طويلة، وشمل مساحات واسعة وضم أرجـاء شاسعـة إلى العالم الإسـلامي، حيث غدا أكثـر سكانها من المسلمين كما هي الحال في أندونيسيا وماليزيا وغيرهـما.

وركـز المسلمون أمورهـم في البلدان التي دخلـوها حيث أقبل السكـان على الإسلام أفـواجا لأنه دين الفطـرة، وفي مبادئه ما يحلمـون به من مساواة وحـرية وأمن وعدالـة، ولم يمض وقت قصير حتى غدا الإسلام دين الأكثريـة.

وتـوقفت الفتوحـات الإسلاميـة لانصراف النـاس إلى دنياهـم، وحيث إن الإسلام فـرض على أبنائه العمل لأن الفرد ملك للأمـة ويجب أن ينتج لأمته مهما

كان غنيـا ، وإزاء ذلك اتجه عدد كبير من المسلمين إلى الدعـوة إلى الله ، فالمسلم يدعو إلى الله أينما وجـد ، وفي أي مهنة كان يزاولها ، غير أن الـذين كانت التجارة وسيلتهم اتجهـوا إلى ركـوب البحـر وحملـوا معهم البضـائع ، وانطلقـوا في مجموعـات ، وامتهن بعضهـم التجـارة لإيجاد صلـة بـالنـاس ولتأمين ظـروف معيشتـه[1].

انطلق التجـار في البحـار لنشر الإسـلام ، وركبـوا سفنهـم وعبروا البحـار والمحيطات ، وتلقـاهم نظراؤهـم من أهل البلاد يبتاعـون منهم ويبيعون عليهم فيجـدون فيهم الصدق والأمـانـة والاستقامـة ، ويعلمـون أن هـذا كله من أثـر العقيدة التي يحملونها ، فيحبب الإسلام إلى نفوسهم ويدعونهم ، ويلتقون معهم فيحسـون منهم الكـرامـة والعفـة ، وينظـرون إلى عبـادتهم وعلمهم وسلـوكهم فيسرون بما يـرون ، ويصبح الإسـلام قـريبـا من نفـوسهـم ، وأهلـه مقـربين إلى قلوبهم ، وبعـد رحلات ولقاءات لا يجد التجار من أهل البـلاد أنفسهم إلا وقد دانوا بالإسلام .

وهكـذا كانت المحطـات التجاريـة مـراكز لانطـلاق الإسلام ، وكلما كـانـت المحطات أكثـر اتساعـا وأكثر بضـائع ، كان الإسـلام أكثر انتشـاراً . ولما كانت أنـدونيسيا من المواضع التي تشـد إليهـا الرحـال للتجارة ، لـذا فقد انتشر فيهـا الإسلام كثيراً حتى عـمَّ ، وأصبحت أحد الأمصار الإسـلامية ، وكانت ماليـزيا تـرتحل إليهـا السفن بدرجـة أقل ، لـذا فقـد انتشر فيها الإسـلام بدرجـة أقل ، وكانت قطراً إسلاميًّا غير أن نسبة المسلمين فيها ليست مرتفعـة [2].

ومن أندونيسيا انطلقت سفن الدعـاة والتجار إلى الجزر القريبة منها ، فانتشر الإسـلام في الفلبين حتى حكـم المسلمـون تلك الجزر إلى أن جـاءهـا المكتشف

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١ – ٢٨ .

(٢) محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة، بيروت ١٩٦٧م، ص ٥٤ .

الأسباني ماجلان، وأراد تنصير المسلمين فقتلوه، وجاءت بعده الجيوش الأسبانية حتى استطاعوا القضاء على المسلمين في الجزر الشمالية، وأن يطردوا من بقي منهم إلى الأجزاء الجنوبية ويحصروهم فيها. وبعد قرون انتهى الاستعمار الأسباني في تلك الجزر فحل الاستعمار الأمريكي، وقاوم المسلمون المستعمرين ولكن دون نتيجة لعدم تكافؤ القوى. وهكذا بقي المسلمون أقلية في الفلبين بعد حرب الإبادة التي شنها عليهم الاستعمار الأسباني، وتجمعوا في الجهات الجنوبية في جزر مندناو وما حولها [١].

أما جزر اليابان فلم يصل إليها الإسلام لبعدها عن مواطن المسلمين الأولى وعن مراكزهم الجديدة في أندونيسيا وماليزيا، وبقي الوضع هكذا حتى العصر الحديث. وأما سواحل البر الآسيوي فقد انطلقت إليه بعض السفن التجارية من أندونيسيا أيضا، وانتشر عن طريقها الإسلام على سواحل فيتنام، وأسس المسلمون هناك في القرن التاسع الهجري إمارة «تشامبا» التي بقيت عدة قرون خاضت خلالها حرباً شنها عليها الفيتناميون حيث تمت لهم الغلبة فطردوا المسلمين من تشامبا؛ فارتحلوا إلى كمبوديا حيث ارتفعت نسبة المسلمين هناك بقدومهم [٢].

ووصلت السفن إلى سواحل الصين، وتوقفت في كانتون، وربما وصلت إلى هذا المرفأ سفن قادمة مباشرة من بلاد العرب حيث كان قد انتشر الإسلام هناك في وقت مبكر، وقد يكون قبل وصول الإسلام إلى أندونيسيا، ولكن لم تلبث أن ساندت سفن قادمة من «ملقا» و «أندونيسيا» السفن التي سبقتهم من بلاد العرب فانتعش المسلمون هناك، وزاد عددهم، وأقاموا أحياء خاصة لهم.

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: الأقليات الإسلامية، ج ٢٢، بيروت ١٩٨٨م، ص ١٠٨ - ١١٥.

(٢) على الطنطاوي، أندونيسيا، ص ٧٥ - ٨٠.

ووصلت السفن الإسلامية تحمل معها التجار والدعاة إلى «شنغهاي» وضواحيها، وإلى شبه جزيرة شانتونج وإن كانت قليلة إذ إن الرحلات إلى تلك الجهات كانت قليلة فانتشر الإسلام هناك بأعداد تعد قليلة نسبيا إذا قارناها بالمحطات السابقة لها والتي هي قريبة من المراكز الأولى للإسلام [1].

أما السواحل التي تواجه ماليزيا وأندونيسيا والتي كانت تمر منها السفن الإسلامية فقد انتشر فيها الإسلام بنسب متفاوتة حسب الميناء، وموقعه، ومدة بقائها، والمنتجات الموجودة في أرضه، والبضائع التي تستهلك في المنطقة. لقد انتشر الإسلام على سواحل الهند الغربية في جزر «لاكاديف» بنسبة كبيرة حيث كانت محطة طبيعية، كما انتشر على سواحل منطقة «بومباي» نتيجة كثرة الاستهلاك وشراء البضائع المحمولة إليها، وإن لم تكن محطة أساسية إلا أن السفن المنطلقة إليها تكون خاصة بها، ولذا لم تزد نسبة المسلمين فيها على ٩٪ من عدد السكان، أما السفن المتجهة إلى جنوب شرق آسيا فإنها تنطلق إلى جزر «لاكاديف» لذا فقد انتشر الإسلام فيها، وبلغت نسبة أتباعه فيها إلى ٩٤٪، ثم تتحرك السفن إلى جنوب الهند حيث تضطر إلى التوقف للتزود باحتياجاتها، وأخذ قسطا من الراحة، وربما قامت فيها بعض الأعمال التجارية، وقد وصلت نسبة المسلمين هناك إلى ٢٠٪، وتتجه السفن بعدها إلى السواحل الشرقية للهند، وربما توقف بعضها في «مدراس» ثم تنطلق من هناك لمتابعة سيرها في تلك الجهات، لذا فقد كانت نسبة المسلمين قليلة في «مدراس» ولا تزيد على ٥٪ من مجموع السكان [2].

وكلما اتجهنا شمالاً قلت نسبة المسلمين، وهكذا تبقى سواحل الهند الشمالية الشرقية قليلة من أتباع الديانة الإسلامية، غير أن ارتفاع نسبة المسلمين في

---

(١) محمود شاكر: العالم الإسلامي: ج ٢٢، ص ١٢٢.

(٢) توماس، أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ط ٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ص ٥٧ - ٦٥.

البنغـال إنما جاء نتيجـة الفتح حيث فتح الغـوريون البنغـال في القرن السـادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وكـذا تبقى سواحل بورما وتايلانـد ثم تعود نسبة المسلمين للارتفاع في فطاني وملقا وذلك لمرور السفن من تلك السواحل[1].

وبعد أن تلتف السفـن حول شبه جـزيرة مـاليزيـا تعود نسبـة المسلمين قليلة بسبب تقعـر سواحل تـايلانـد وكمبـوديا من جهـة، وبسبب الأمطار الموسميـة الغزيرة من جهة أخرى. وذلك ما حال دون انتشار الإسلام بتلك الجهات.

وعلى العموم، فقـد انتشر الإسلام في الصين والهند عن طريق التجـارة البرية والدعـوة، وقد سـاعدت الحكومـات الإسلاميـة في العمل لدعم ذلك الانتشار سواء أرغب أصحـابها أم لا. ولذلك نـلاحظ أن انتشار الإسـلام في الصين كان بطيئاً وأن المسلمين كانوا أقلية كلما ابتعدنـا عن حدود الأقطار الإسلامية، إلا أن وجود دعاة في منطقة استطـاعوا بذل الجهد ووفقوا في العمل فعندهـا ترتفع نسبة المسلمين قليلا كما هو الحال في ولاية «بوثـان» التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٠٪ في حين أن نسبـة المسلمين في الصين عامـة لا تـزيد على ١٠٪ من مجمـوع السكان. ولقـد نشط المسلمـون في العهد المغـولي (٦٨٥ - ٧٦٩هـ/ ١٢٦٥ - ١٣٤٩م)، حيث انتقلت مجموعات من المسلمين من تـركستان - وكانت بينهم أعداد من الدعـــاة - إلى الصين حيث كان المغـول يسيطرون على المنطقتين، وفي الهنـد انتشر الإسلام في الشمال بين السنـد والبنغـال نتيجـة الفتوحـات، وتـوزع المسلمون في أرجاء الهنـد كلها عندما آل إليهم حكمهـا، فقلَّ الفرق بين النسب المتباينة، حيث وصلت نسبة المسلمين عـامة إلى ١٤٪ وانتشر الإسلام كذلك في داخل بورما بوصول بعض المسلمين إليها عندما غزاها التتار المسلمون[2].

---

(١) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١، ص ٣١.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٢.

حركة الكشوف الجغرافية والسيطرة الأوربية

في بداية القرن الخامس عشر الميلادي كانت المعلومات عن وسط آسيا وشرقها مجهولة أو غامضة بالنسبة إلى الأوروبيين. ومنذ ذلك الوقت بذل الأوروبيون جهودهم المكثفة في سبيل الوصول إلى المنطقة المذكورة. فبدأت حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية على أيدي البرتغاليين، وكان الأمير هنري الملاح (١٣٩٤ - ١٤٦٠م) أول من شجع على القيام بالأعمال الجغرافية والرحلات، حيث أرسل مكتشفيه إلى سواحل أفريقيا الغربية ووصل إلى غانا وانتزع تجارتها من أيدي العرب. كما أقام هنري الملاح أكاديمية بحرية لإرشاد الملاحين وتدريبهم على استخدام الخرائط والبوصلة والإسطرلاب ومعرفة العلوم الجغرافية التي كتبها الجغرافيون العرب كالإدريسي وابن بطوطة.

وقد اعتمدت البرتغال في محاولاتها الأولى للوصول إلى الشرق على الجواسيس في الحصول على المعلومات الكافية عن وسط آسيا وشرقها، واستخدموا في ذلك العمل البحارة واليهود الذين يتكلمون اللغة العربية حيث أرسلتهم البرتغال إلى الأقطار الشرقية لجمع المعلومات عن موانئها وحركة التجارة فيها والطرق البحرية في بحارها، وإمكانية الوصول إليها، ومعرفة مواطن تجارة الفلفل والتوابل والبهارات. وقد أرسل هؤلاء الجواسيس معلومات كافية عن تجارة الهند والمسالك البحرية والمعلومات عن الرياح الموسمية [١].

ولا ريب أن البرتغال قد قامت بهذه الحركة لدوافع دينية واقتصادية في الدرجة الأولى وسياسية في الدرجة الثانية، يدفعها في ذلك حقدها الدفين على الإسلام والمسلمين، فبدأت الكشوف على أيدي البرتغاليين.

---

(١) بشير حمود كاظم: «حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها»: أبحاث مؤتمر رأس الخيمة ١٩٨٧م، ص ١٢٤.

عوامل الكشوف الجغرافية :

لعل من أبرز عوامل حركة الكشوف الجغرافية تقدم علم الجغرافيا الذي كان عاملا مهما في ظهور الحركة الكشفية .

أولاً – العامل السياسي : رغبة الدول الأوروبية في ظهور الدولة الوطنية الحديثة ، ورغبة هذه الدول في بسط سيطرتها على غيرها من الأمم والشعوب المتأخرة ؛ ولذلك كانت البرتغال من أسبق الدول لتأسيس إمبراطوريات استعمارية نظرا لقيام الدولة الوطنية فيها بعد انحسار النفوذ الإسلامي عنها وخروج المسلمين منها .

ثانياً – العامل الاقتصادي : ولعل هذا العامل من أهم العوامل الكشفية لأن الدول الأوروبية تريد الوصول إلى تجارة وسط وشرق آسيا وخاصة التوابل والبهارات وغيرها ، كما تريد أن تطوق العالم الإسلامي وتحرمه من مصادر رزقه ورخائه ، فحققوا بذلك أهدافهم في الوصول إلى الهند وشرق آسيا [1].

ثالثاً – العامل الديني : لعب هذا العامل دوراً كبيراً في حركة الكشف الجغرافي وفي تخطيط سياسة البرتغال وأسبانيا خصوصاً . فبإخراج المسلمين من الأندلس تملكت نصارى شبه جزيرة إيبريا رغبة قوية في مطاردة المسلمين خارجها ، وراودتهم الآمال في إمكان محاصرة الإسلام عن طريق البحر وطعنه من الخلف وسحقه في أفريقيا وآسيا . وكان هذا الشعور المعادي للإسلام تؤججه روح صليبية مرتبطة بالعاطفة الوطنية .

ولقد كان من أهداف حركة الكشف الجغرافي في نظر البرتغال تحويل المسلمين إلى النصرانية ، كما استهدفت تحويل الحبشة (أثيوبيا) إلى المذهب

---

(١) د. السيد رجب حراز، عصر النهضة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٧٤م، ص ٣٠٩ .

الكاثوليكي وفصلها عن الكنيسة الأرثوذكسية في مصر وقد شجعهم البابا على ذلك بمنحهم حق ملكية كل إقليم جديد يتم اكتشافه، وبذل البابوات كل جهد لإغراء البحارة على الانخراط في سلك البعثات الكشفية، ووعدوهم بالعفو ودخول الجنة. وكان المبشرون يرافقون الرحلات الكشفية للقيام بمهام التنصير.

رابعاً - غريزة حب الاستطلاع ورغبة الأوروبيين في زيادة معلوماتهم الجغرافية وذلك نتيجة اليقظة الفكرية وظهور روح البحث العلمي في عصر النهضة.

خامساً - رغبة بعض المغامرين في الحصول على الذهب والأرض والعبيد، وعلاوة على ذلك وجود عوامل أخرى مساعدة كارتقاء فن الملاحة، وتقدم صناعة السفن واستخدام البارود[1].

وقامت البرتغال بإرسال المكتشفين بدءا من هنري الملاح ومروراً ببارثلميودياز، ووصولاً إلى فاسكو دي جاما الذي وصل إلى الهند عام ١٤٩٨م، وبدأت البرتغال في السيطرة على الهند (الساحل الغربي) حيث توجد إمارات سورات وفاليقوط وكجرات، وتقدمت البرتغال ووصلت إلى أندونيسيا والصين واليابان. وأسست إمبراطورية في الشرق، واتخذت مدينة جوا عاصمة لإمبراطوريتها في الهند.

وتمكنت البرتغال من السيطرة على البحار الشرقية واحتكار متاجر الشرق وبخاصة التوابل ونقلها إلى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح بعيداً عن المماليك وعن تجار البندقية.

وتوالت رحلات البرتغاليين إلى الهند واصطدموا مع العرب في غرب الهند وأقاموا مراكز تجارية لهم في الهند والملايو والملابار. وعينت فرانسيسكو دالميدا

---

(١) د. السيد رجب حراز: عصر النهضة، ص ٣٠٩ - ٣١١.

(١٤٥٠ - ١٥١٨م) وألفونسو دالبوكيرك (١٤٥٣ - ١٥١٥م) حكاما على الهند، فقد عين ملك البرتغال فرانسيسكو دالميدا حاكماً عاماً على الهند البرتغالية، ومنحه لقب نائب الملك البرتغالي في الهند (١٥٠٥ - ١٥٠٩م). وركز دالميدا على تحقيق سيادة البرتغال البحرية، وعارض إقامة إمبراطورية برية خشية أن تتورط البرتغال في شئون البر. وكان دالميدا يرى أن تكتفي البرتغال بإنشاء المحطات الضرورية اللازمة لتموين وحماية الأسطول، ولذلك اقتصرت جهوده على إقامة الحصون، كما انتصر دالميدا على الأسطول المملوكي في موقعة ديو البحرية ١٥٠٩م [١].

وخلف البوكيرك دالميدا (١٥٠٩ - ١٥١٥م) واستولى على جوا وسيطر على مضيق ملقا ومضيق هرمز ومضيق باب المندب لإحكام قبضته على المضائق لمنع العرب والمسلمين من المرور في الطرق التجارية، وأقام البوكيرك علاقات مع جاوة، ووصل إلى فرموزة في الصين وعين وكيلا للبرتغال في كانتون بالصين، كما زار اليابان واستأجر جزيرة مكاو قاعدة لهم وهي من أقدم الممتلكات الأوروبية في الصين.

وأقام البرتغاليون نظاماً للحكم كان أحد الأسباب لانهيار إمبراطوريتهم حيث جمعوا السلطة في شخص نائب الملك الذي تمتع بسلطة مطلقة، وقد اشتد في معاملة الأهالي وابتزاز أموالهم وتشدد البرتغاليون في احتكار التجارة، وصاحب ذلك رغبة البرتغاليين في نشر النصرانية بين أمم لها ديانات قديمة وعقائد ثابتة مما زاد في طغيان البرتغاليين ضد الأهالي مما أدى إلى مقاومة الأهالي لهم [٢]. هذا فضلا عن ضعف البرتغال واحتلالها من قبل أسبانيا. وأدى ذلك كله إلى انهيار الإمبراطورية البرتغالية وزوالها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣١٩ - ٣٢٢.

(٢) د. جمال زكريا قاسم. الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٥٥ - ٦٠.

وهكـــذا انهارت البرتغـــال بعـــد أن احتلت أسبـــانيـــا أراضيهـــا عـــام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م، ثم إن أسبانيـا لم تلبث أن ضعف أمرها بعد أن هـزمت أمام إنجلترا، وتحطم أسطـــولها في معـــركـــة الأرمـــادا البحـــريـــة الشهيرة عـــام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م، وهـذا ما هيأ الجو لدول طـامعة عندهـا رغبة في الاستعمار، وعنـدها رغبـة في الثراء، بعـد أن كـانت تسمع عن ثروات الشرق وغنى أهلـه، وعندهـا رغبة في أن تسـاهـم في قتال المسلمين، ولـديهم حلم في المنافسـة لدول تجول في تلك الأصقـاع البعيـدة، وانطلقت هـولنـدا التي كـانت في حـرب مع الأسبان، وتخلصت من سيطرتهم حيث كـانت تخضع لهم، فخرجت تنافسهم، وتقاتلهـم، وتحاول أن تحل محلهم في مستعمراتهم التي احتلـوها، والتي ورثـوها عن البرتغاليين أيضاً[١].

وتتابعت الدول الأوروبية في قدومها إلى الشرق الآسيوي، فجاءت أسبانيا إلى الفلبين، ولحقت بها بريطانيا وسيطرت على أجـزاء كبيرة ومهمة في قارة آسيا بدءًا من الهند والخليج وجنوب أفريقيا، وسنغـافورة والملايو والصين وغيرها ثـم تبعتها فـرنســا، هـذا عـلاوة على اتجاه الـــدول الأوروبيـة إلى العـالم الجديـــد (القـارة الأمريكية). وسيطرت بريطـانيا على تلك القارة بشكل واسع بعد أن قضت على نفـوذ فرنســا في قـارة أمريكـا الشمالية، وتمكنت أسبـانيا من السيطـرة على دول أمـريكـا الجنـوبية الـوسطى والتي سميـت «بأمريكـا الـلاتينيـة» لأن أسبانيـا والبرتغال نشرتـا في تلك الأجـزاء الحضـارة الأسبانية المستمدة من التراث واللغة اللاتينيـة[٢].

ومهما يكن من أمر فقد نتج عـن الكشوف الجغرافية نتائج سيـاسية وهي قيام إمبراطوريـات في الشرق، وكذلـك في العالم الجديد، ونتـائج دينية وهـي محاولة تنصير السكـان من مسلمين وأصحـاب معتقدات وديـانـات قـديمة، ونتـائج

---

(١) محمود شاكر : العالم الإسلامي : جـ ٢٠، ص ٣٨٢.

(٢) السيد رجب حراز : عصر النهضة، ص ٣٥٠ - ٣٨٠.

علمية، وهي ظهور نظـريات جغرافية هدمت جميع النظريـات العلمية الخاطئة حول شكـل الأرض، كما برهنت أن الأرض كرويـة الشكل، وهي أكبر ممـا كان يعتقده كولمبس وغيره. وأخيراً أدت الكشوف الجغرافية إلى نتائج اقتصادية وهي الحصول على ثروات البلاد المكتشفة والسيطرة عليها [١].

وهكذا نجـد أن حركـة الكشوف الجغـرافية قـد أدت إلى الاستعمار بمفهومـه التجاري الاستيطـاني، وتأسيس الشركات التجـارية، وهي المرحلـة التي بدأت منـذ مطلع القـرن السـادس عشر وحتى نهايـة القـرن الثـامن عشر، حيث تغير مفهوم الاستعمار مع بداية قيام الثورة الصناعية في أوروبا، فأدى ذلك إلى سيطرة الحكـومات الأوروبيـة على المناطق التي كـانت تديـرها، وانتهى دور الشركـات التجاريـة وخضعت البلاد لسيطـرة الدول الأوروبية للحصـول على المواد الأولية اللازمـة للصناعة، وللحصـول على الأيدي العـاملة الرخيصـة، ولتأمين أسواق لتصريف المنتجات الصناعية التي تصدرها أوروبا إلى مستعمراته [٢]. وقد أدى ذلك إلى الاستعمار الحديث بمفهومه السياسي.

---

(١) د. السيد رجب حراز: المصدر السابق، ص ٣٨٠ - ٣٩٠.
(٢) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي: تاريخ العالم، دمشق ١٩٥٠م، ص ٣٥٠.

الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث

منذ بدء التاريخ أخذت الدول يغير بعضها على بعض، ويستعبد القوي منها الضعيف، ولكن طبائع الغارات والاستعباد اختلفت من عصر لآخر، فقد كانت المستعمرات الفينيقية واليونانية محطات تجارية ساحلية، وكانت فتوحات آشور ثم الإسكندر الأكبر ثم روما فتوحات للسيطرة الشخصية أو القومية، كما انطبعت الفتوحات العربية الإسلامية بالطابع الإسلامي الديني لنشر الإسلام في أرجاء المعمورة.

ومنذ مطلع العصر الحديث بدأت أوروبا ترسل أعدادا كبيرة من سكانها الفائضين عن الحاجة إلى العالم الجديد (أمريكا وأستراليا) وأجزاء من قارتي آسيا وأفريقيا. فاستقر الأوربيون بها وأخذوا في استثمارها. وقد دعيت هذه الهجرة السكنية بالاستعمار الاستيطاني **Colonisation** . غير أن التطور الاقتصادي في القرن التاسع عشر قد أدخل على هذا الاستعمار تبدلا أساسيا دعا الكتاب إلى إعطائه اسماً جديدا هو **Imperialism**، وأهم الدول التي تطور فيها الاستعمار هذا التطور هي إنجلترا وفرنسا [١].

الاستعمار الحديث:

ما معنى الاستعمار ؟ يقصد بالاستعمار بحسب مفهومه السياسي سيطرة دولة كبرى على دولة صغيرة، وبسط نفوذها وهيمنتها عليها، لوضعها تحت حمايتها والسيطرة عليها لتحقيق أهدافها ومصالحها.

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : تاريخ العالم، ص ٤١٠ - ٤١١.

ويختلف الاستعمار الأوروبي الـذي أعقب حركـة الكشوف الجغـرافية والـذي نعرفه باسم **Colonisation** عن الاستعمار الحديث الذي ظهر اعتبارا من النصف الثاني من القـرن التاسع عشر والـذي ظهر بعـد قيام الثـورة الصناعيـة في أوروبا وأطلق عليـه اسم الإمبرياليـة **Imperialism** ويختلفـان عـن بعضهما في ثلاثـة أشيـاء :

١ – أن الأول : «الاستعمار الاستيطـاني» **Colonisation** كـان وليد عـوامل داخليـة ودينية (كهجـرة البروتستانت والهوغنـوت والبيوريتـان إلى أمريكـا) ، أو عوامل اجتماعيـة كالحكم الاستبـدادي والإقطاعي ، أو اقتصـادية فـردية لتأمين المعيشة ، بينما نتـج الثاني عن التطور الصنـاعي ، وعن الاحتكار الـرأسمالي وعن عوامل خارجية كتوطيد النفوذ القومي بين الأمم .

٢ – أن الأول كان هجرة بشرية واستعماراً سكنيا لمنـاطق غير مأهولة بينما نجد الثاني هجـرة رءوس أموال وسيطـرة اقتصاديـة على مناطق مـأهولـة وبعضها ذو حضارة عريقة .

٣ – يقوم الأول على تبـادل السلع والبضـائع ، أما الثـاني فيقوم على الاستثمار فحسب .

أشكـال الاستعمار : لا تختلف أشكـال الاستعمار عـن بعضهـا في المنهج والتطبيق وهي :

١ – **احتلال عسكـري** : وفيه تقـوم الدول المستعمرة باحتـلال المستعمرات وبسط نفوذها عليها وحكمها حكما مباشراً مثل احتلال بريطانيا للهند وأستراليا ونيوزيلندة وغيرها .

٢ – **الحماية** : وفيه تفرض الدول الاستعمارية حمايتها على مستعمراتها وتعاملها تمامـا مثل محميات عـدن وحضرمـوت وقطـر والبحرين والكـويت وغيرهـا التي حكمتها بريطانيا .

٣ - **الانتداب** : وهو نظام فرضته عصبة الأمم، وتكلف إحدى الدول الكبرى بحكم بلد لتأهيله للاستقلال لفترة زمنية مثل انتداب إنجلترا لفلسطين والعراق، وانتداب فرنسا لسوريا ولبنان.

٤ - **الوصاية** : وهي نظام دولي أقرته عصبة الأمم وكذلك هيئة الأمم المتحدة، وتكلف إحدى الدول بالوصاية على دولة كما هو الحال عندما عينت إيطاليا وصية على الصومال وليبيا[١].

أسباب الاستعمار :

يرجع الاستعمار في الدرجة الأولى إلى عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية وفكرية :

١ - **العوامل الاقتصادية** : وهي حاجة أوروبا إلى المواد الأولية اللازمة للصناعة واستثمار الأموال الزائدة عن حاجتها، وكذلك حاجتها إلى أسواق لتصريف منتجاتها الصناعية، وذلك بعد ازدياد إنتاجها الصناعي واضطرار الدول الصناعية إلى البحث عن مناطق المواد الأولية والغذائية. وفي مطلع القرن العشرين تجمعت المشروعات الكبرى في شركات احتكارية تساندها مصارف ضخمة ذات رءوس أموال متزايدة، وسيطرت على الحياة الاقتصادية طبقة من الرأسماليين الذين يبحثون عن مناطق جديدة لاستغلال أموالهم.

كما أن تزايد السكان في الدول الصناعية دفعها لتهجير الفائض من السكان واحتلال البلاد بالقوة كما فعلت ألمانيا وإيطاليا واليابان.

٢ - **العوامل السياسية** : وهي رغبة الدول الاستعمارية في تكوين إمبراطوريات كبيرة على حساب الدول الصغيرة الضعيفة، وأدى ذلك إلى تنافس

---

(١) المرجع السابق : ص ٤١٥.

الـدول الأوروبية فيما بينهـا ، والاقتتال فيما بينهـا للسيطـرة على الدول الضعيفـة وتوسيع رقعة كل إمبراطورية على حساب الدول الأخرى .

٣ - **العـوامل الحربيـــة والاستراتيجيـة** : يكـون الاستعمار أحيـانـا لأهـداف استراتيجيـة ، إذ إن مصلحة الـدول الاستعماريـة أن تسيطـر على منطقة لموقعهـا الاستراتيجي لحماية طـرق مواصلاتها ومستعمراتها وليس لمغنم اقتصـادي ، وأبرز مثال لـذلك احتلال بريطانيـا للخليج والبحر الأحمر لحماية طرق مـواصلاتها إلى الهند .

٤ - **العوامـل الشخصية والفكـرية** : رغبـــة بعض المواطنين الأوروبيين من إنجليز وغيرهـم بالدعاية للاستعمار لصـالحهم (كرومر في مصر) ، وكذلك ما قام به الأبناء والمفكرون (الشاعـر الإنـجليزي كيلنج) من إظهار مميزات الاستعمار بأنه رسالة حضارية تؤديها الدول الأوروبية للمدنية والإنسانية [١] .

وهكذا نجد أن المعالم الأساسية للتوسع الاستعماري الحديث تتمحور في أمور معينة من أهمها :

أ - تمركز الإنتـاج ورأس المال بيد فئة محدودة مـن الأثرياء شكلـوا احتكارات ضخمة للشركات التجارية الكبرى .

ب - امتزاج رأس مال المصارف برأسمال الصناعة الضخمة .

جـ - تصدير رءوس الأموال للاستثمار في المستعمرات .

د - تكوين احتكارات رأسمالية للسيطرة على المواد الأولية وأسواق الاستهلاك في المناطق المكتشفة .

هـ - إتمام التقسيم الإقليمي للعالم بين أعظم الـدول الرأسماليـة ، وإذ لم يبق من مكـان في الأرض يمكـن استعماره ، فقـد تـزاحمت الــدول على مستعمـرات بعضها بعضا ، وهذا ما أدى إلى الحرب العالمية الأولى .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤١٥ - ٤١٦ .

سياسة الدول الاستعمارية

يجدر بنا قبل التحدث عن السياسة الاستعمارية، أن نشير إلى مقولة الدول الأوروبية من أنهم جاءوا لتعمير البلاد المتخلفة والعمل على تقدمها ونموها وحضارتها، والحقيقة غير ذلك، فإنهم قد جاءوا للتسلط على هذه البلاد والسيطرة عليها، ولنهب ثرواتها والإبقاء على تخلف سكانها، وهذا ما تؤكده مظاهر تسلط هذه الدول :

١ - جعل المستعمرات بلادا غير صناعية، وقتل كل أنواع الحرف والصناعات عن طريق مزاحمتها لسلعها الرخيصة، فالمستعمر يحسب حساب مصالحه الشخصية فقط.

٢ - الحيلولة دون اكتساب أبناء المستعمرات المعرفة والخبرة الفنية التي تعينهم على تنمية الصناعات الوطنية [١].

٣ - التحكم في أسعار المواد الخام التي تنتجها بحيث تصل إلى أماكن التصنيع في الدول الكبرى بأقل سعر ممكن.

٤ - الاحتفاظ بمستوى أجور العمال المنخفضة في المستعمرات.

٥ - العمل على توفير الأيدي العاملة من المستعمرات، وإجبار السكان على القيام بالزراعة لخدمة أهداف المستعمر الصناعية.

٦ - منع المستعمرات من الاتجار مع الدول الأخرى مباشرة، ولا يتم التعامل التجاري إلا عن طريق الدولة المستعمرة، وبذا تتحكم الدولة الاستعمارية في

---

(١) بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة نور الدين حاطوم، دمشق ١٩٦٠م، ص ٢٧٥.

أسعار المواد الخام التي تنتجها المستعمرة وكذلك في أسعار المنتجات الصناعية التي تستوردها لاستهلاك السكان .

٧ - التفرقة بين أبناء السكان من حيث الدين والعرق واللون، للإبقاء على تفرقهم وعدم قيام وحدة بين أبناء البلد الواحد، حتى تسهل السيطرة عليه والإبقاء على تخلفه انطلاقا من سياسة المستعمر «فرق تسد».

٨ - تعمل الدول الاستعمارية على نشر العادات والرذائل والمسكرات، وكل ما يتعارض مع تقاليد وعادات المجتمعات التي يسيطرون عليها وبخاصة المجتمعات الإسلامية. هذا فضلا عن تشويه التاريخ الإسلامي ومحاربة التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية .

٩ - اضطهاد السكان وتعذيبهم وسجنهم في حالة مقاومتهم للمستعمر.

١٠ - ربط اقتصاد المستعمرات بالدولة الاستعمارية واستخدام عملة الدولة في المستعمرات .

١١ - نشر اللغة والثقافة والعادات والتقاليد والديانة والحضارة الغربية في البلاد التي يكتشفونها ويستعمرونها[١].

وقد تناقست عدة دول أوروبية على تكوين إمبراطوريات استعمارية، كان في مقدمتها البرتغال، وتلتها أسبانيا فهولندا ثم بريطانيا وفرنسا. وكان النصيب الأكبر للإمبراطورية الاستعمارية الإنجليزية التي ورثت الإمبراطوريات السابقة، وعملت على اجتثاثها وإقامة إمبراطورية استعمارية كبيرة.

---

(١) المرجع السابق : ص٢٧٦ - ٢٧٧ .

الإمبراطورية الاستعمارية الإنجليزية حتى عام ١٩١٤م

تشكلت هذه الإمبراطورية من مناطق في قارات العالم المختلفة، فقد شملت أمريكا (كندا) وجزر جامايكا، وفي آسيا الهند وسنغافورة، وفي أستراليا الساحل الشرقي، وفي أفريقيا مناطق واسعة شملت الكاب ثم توسعت بريطانيا في آسيا فاستولت على الهند وبورما وهونج كونج وزيلاندا في القارة الأسترالية، وفي أفريقيا احتلت مصر وروديسيا والسودان وأواسط أفريقيا الشرقية. كما سيطرت على قبرص ومالطة في البحر المتوسط وعلى منطقة الخليج العربي والجنوب العربي. وقد اتسعت هذه الإمبراطورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وذلك بعد سيطرتها علي أجزاء من العالم العربي (فلسطين وشرق الأردن والعراق) وغيرها.

وهكذا كانت بريطانيا تسيطر على مساحة ٢٩ مليون كم^2، وعدد سكانها ٤٠٠ مليون، أي أكثر من خمس الأرض وحوالي ربع سكانها، بينما لا تبلغ بريطانيا نفسها أكثر من ١٪ من المساحة التي تمتلكها وليس فيها إلا عشر سكانها. وأجناس السكان خليط من الأوروبيين البيض والزنوج والهنود والعرب والملايو وغيرهم(١).

واتبعت إنجلترا سياسة خاصة مع مستعمراتها، وهذه السياسة تقوم على الأسس التالية :

١ - مرونة الإدارة الاستعمارية واختلافها من مستعمرة لأخرى.

٢ - منح الحكم الذاتي للممتلكات التي هاجر إليها الأوروبيون (الإنجليز خاصة) فأدى ذلك إلى نشوء الممتلكات الاتحادية الحرة (الدومينيون).

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : تاريخ العالم، ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

٣ - اختيار الأكفاء من الرجال لإرسالهم للمستعمرات، وترك حرية العمل لهم بالشكل الذي يرونه أضمن لمصلحة الإمبراطورية.

٤ - سياسة الباب المفتوح في الاقتصاد، وهي سياسة إنجلترا التقليدية مع كل الدول والمستعمرات.

٥ - الدفاع عن الإمبراطورية بحيث تشترك كل شعوب الإمبراطورية معا في هذا الدفاع، وذلك بإرسال جنود أو بتقديم السفن والمساعدات اللازمة للجيش.

٦ - عدم التدخل في شئون المواطنين وتقاليدهم الاجتماعية، عدا ما يخل منها بالنظام العام.

٧ - حاولت إنجلترا إشراك ممتلكاتها في توجيه سياستها العامة وربط أجزاء الإمبراطورية بعضها ببعض، فظهرت منذ سنة ١٨٨٤م «عصبة الاتحاد الإمبراطوري» وراجت فكرة «وحدة الإمبراطورية» في الأوساط السياسية، وعقدت مؤتمرات دورية عملت على توحيد الجمارك، وشكلت هيئة أركان حرب إمبراطورية، ومهدت لتكوين «الكومنولث البريطاني» - أي: التراث البريطاني المشترك -[1].

الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية حتى عام ١٩١٤م.

شملت ممتلكات الإمبراطورية الفرنسية شمال أفريقيا (بلاد المغرب العربي وهي الجزائر وتونس ومراكش) وغربها، وفي آسيا تمركزت في الهند الصينية (فيتنام)، وفي أستراليا (بعض الأرخبيلات) وفي أمريكا (جويانا وبعض جزر الأنتيل). كما تمركزت فرنسا في مدغشقر وجيبوتي (الصومال الفرنسي) والغابون والكونغو وغينيا وساحل العاج والسنغال.

(١) المرجع السابق: ص ٤٤٠.

واتبعت فرنسا سياسة تختلف عن سياسة بريطانيا في مستعمراتها. وتقوم سياسة فرنسا على دمج المستعمرات دمجا كاملا، وتقوم على الأسس التالية :

١ - نشر الثقافة الفرنسية، وتشجيع الهجرة إلى المستعمرة من فرنسا، وإدخال النظم السياسية والإدارية الفرنسية إليها. ومحاولة تنصير السكان على المذهب الكاثوليكي عن طريق الإرساليات والمدارس والمستشفيات.

٢ - التأكيد على المركزية في الحكم، فليس لحكام المستعمرات استقلالية في اتخاذ القرار، ولكنهم يتلقون جميع التعليمات من باريس.

٣ - استخدام المستعمرات لأغراضها العسكرية، وإدخال أفراد المستعمرات في الجيش الفرنسي.

٤ - إغلاق أبواب المستعمرات أمام كل نشاط اقتصادي غير فرنسي بكل ما أوتيت من قوة [١].

أما الاستعماران الإيطالي والألماني فلم يظهرا في الميدان الاستعماري إلا متأخرين. فقد أسست إيطاليا مستعمرة في أريتريا على البحر الأحمر، ثم احتلت ساحل الصومال وأخيرا احتلت ليبيا. أما ألمانيا فقد ظلت طوال عهد بسمارك منصرفة عن الاستعمار إلى سياسة القارة الأوروبية، فشكلت بعد توحيدها إمبراطورية صغيرة من توجو والكاميرون في غرب أفريقيا، كما وجهت أنظارها إلى الدولة العثمانية لاستغلال الشرق العربي عن طريق الامتيازات، ومن أهمها خط برلين - بغداد الذي لم ير النور بسبب قيام الحرب العالمية الأولى، وبسبب معارضة بريطانيا لهذا المشروع، ومن ناحية أخرى فقد انهارت أحلام ألمانيا ومزقت مستعمراتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى [٢].

---

(١) بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ص ١٧٨ - ١٨٠.

(٢) د. السيد رجب حراز : التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٧٥ - ص ١٣٠.

وهكذا تقـاسمت الدول العظمى العـالم في أواخر القـرن التاسع عشر، وبلغ التنـافس الاستعماري أشـده، وتشكلت إمبراطـوريات استعماريـة واسعـة كـان أكبرها الإمبراطورية الإنجليزية ثم الفرنسية .

وقد نشأت نتيجـة لذلك حروب استعمارية كثيرة بسبب التنـافس على المناطق الغنية في العالم، مما أدى إلى تكوين التحالفـات والتكتلات الدولية، الأمر الذي أدى إلى قيام الحرب العالمية الأولى .

الفصل الثاني

الهند والسيطرة الأوروبية

١٤٩٨ - ١٩٤٧ م

الهند في العصر الحديث

الهنـد شبه جـزيرة واسعـة تمتد في جنـوبي قارة آسيـا، وتزيـد مساحتهـا على ٤,٣٦٠,٠٠٠كم٢، ويبلغ عـدد سكانها حـاليا حـوالي ٨٥٠ مليون نسمـة. وتقع هـذه البـلاد الحارة بين خطي عـرض ٨ - ٣٧° شمالا. وتنفصل الهنـد عن بقية بلاد آسيا بحاجز من الجبال الشاهقة منها: جبال همالايا التي تفصلها عن الصين، وتعد أعلى جبال العالم إذ تصل أكثـر قممها ارتفاعا إلى علو ٨٨٨٨م، وجبل كراكورم في كشمير، ومنها جبـال سليمان التي تفصلها عن بلاد الأفغان، وفيها سهول واسعة تمتد من الغـرب إلى الشرق بين خليج البنغال وبحر العرب، ويحدها من الشمال جبال همالايا، ومن الجنوب المحيط الهندي.

والهند ذات ثروات كبيرة سـواء أكانت زراعية مثل: الأرز، والقمح، وقصب السكـر، والـذرة، والشعير وغيرهـا من المزروعـات، كما تكثر فيهـا الحيـوانـات وبخاصة الأبقار، وكذلك تزخر بالثروات المعدنية مثل الحديد والمنجنيز والألمنيوم والنحـاس والـذهب والفحم. وتـدخل الصنـاعـة طوراً جـديـداً، وتتطـور مع الأيام[1].

لمحة تاريخية:

كـانت الهنـد مقـر الـديـانـة البراهميـة التي تنسـب إلى «بـراهما» كما تسمى «الهندوكية» نسبة إلى الهند، وتقسم الشعـب إلى طبقات متباينة على شكل هرم، فتصنف الكهنة في أعلاه، يليهم المحاربون، فـالزراع فالخدم، وهناك المنبوذون الـذين تـرفضهم كل طبقـة، وتحتقـرهم كل جماعـة، فـلا يلتقـون بهم، كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن بعض بفاصل كبير.

---

(١) محمود شاكر: جغرافية العالم الإسلامي، الرياض ١٩٨٠م، ص ١٧٥.

وكذلك وجدت الديانة البوذية في شمال شرقي الهند في سفوح جبال همالايا، ولكنها لم تنتشر في الهند، وإنما انتشرت خارجها في الصين والهند الصينية[1].

وصل الإسكندر الأكبر المقدوني إلى الهند عام ٣٣٠ق. م/ ٩٤٨ق. هـ، وبقي فيها عاماً كاملاً، وتعاقبت بعده على الحكم أسر حاول بعضها نشر البوذية، ودعا بعضها للبراهمية، وكانت قبائل «الهون» وجموع «السيت» تدخل البلاد بين الحين والآخر فتعم الفوضى وينتشر الفساد، والأمراء يتخاصمون من كشمير حتى البنغال، بينما يحكم إقليم السند قبائل «السكا» المتنافرة المتقابلة فيما بينها، ثم خضع هذا الإقليم في وقت متأخر لحكم ملك براهمي هو الملك «داهر» الذي طرق المسلمون أيامه أبواب البلاد[2].

انتشار الإسلام في الهند:

كان الفقر يسود بين الشعب، والأغنياء يتحكمون في الناس، والمجاعات تحدث بين مدة وأخرى، والظلم قائم، ونظام الطبقات هو السائد، وإزاء هذا الوضع كان لا بد من أن يدخل المسلمون المنطقة ليزيلوا الظلم، ويرفعوا الطغيان حسب المهمة الملقاة على عاتقهم في إزالة الظلم أينما وجد، وذلك انطلاقاً من الدعوة الإسلامية التي حملوا لواءها من أجل نشرها في شتى بقاع الأرض، ليسود السلام والأمن والأمان والحرية والمساواة بين شعوب العالم[3].

بدأت الغزوات البحرية تصل إلى الشواطئ الشمالية الغربية للهند، وتغزو «الديبل» كراتشي اليوم، و«بومباي» وذلك منذ أيام الراشدين، وخاصة في أيام سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه -.

---

(١) د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت ١٩٧٣م، ص ١٨٥.

(٢) د. أحمد محمد الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، القاهرة ١٩٧٨م، ص ١٢٤.

(٣) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي، جـ١، الرياض، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٣١٨.

وسار المهلب بن أبي صفـرة على رأس جيش عام ٤٤هـ/ ٦٦٤م أيـام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فغزا منطقة السند ونال شيئاً من النجاح.

وفي أيام عبد الملك بن مروان أرسل سعيد بن أسلم بن زرعة عاملا له على ثغر السنـد، ولكنه قتل، وفـر قاتلـه إلى السند حيث آواه «الملك داهـر» الأمر الـذي جعل الاحتكاك بين المسلمين والملك داهر أمراً محتوماً.

وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر المشرق أرسل إلى السند «مجاعة بن سعر التميمي» عاملاً على ثغر السند فاستطاع فتح بعض المناطق، ووافاه الأجل المحتوم قبل مرور عـام، وفي هذه الأثناء اختطف القراصنـة الهنود بعض النساء المسلمات، فطلب الحجـاج مـن ملك السنـد «داهــر» تسليم هــؤلاء النســاء، فأجاب: بأن يده لا تصل إلى القراصنـة، فأرسل إليه الحجاج بعض المقاتلين، وكـان على رأسهم عبيد الله بن نبهـان، فقتل، فأرسل آخـر وهو «بـدل» ولكن الأجل وافـاه، فأرسل بعـدها «محمـد بن القـاسم الثقفي» على رأس ستـة آلاف مجاهد، ففتح الديبل (مكان كراتشي) اليـوم عام ٨٩هـ/ ٧٠٧م بعد أن حاصرها برا، ووصل الأسطول الإسلامي فحاصرها بحراً، وحطم الأصنام ثم دخل بيرون (حيدر أباد) والملتان ففتحها عام ٩٦هـ/ ٧١٤م وقتل الملك داهر[١].

تولى أمر السند بعد محمد بن القاسم يـزيد بن أبي كبشة حتى كانت أيام عمر بن عبـد العزيـز الذي أرسل عمـر بن مسلم الباهلي واليـا على السند، فـانتشر الإسلام، وآمن أولاد الملك داهر، وزالت دولة بني أمية[٢].

وفي أيام الـدولة العباسية انتشرت في السنـد بعض الأفكار الهدامة إبـان عهد

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ١٩، بيروت ١٩٩٢م، ص ١٢ -ص ١٨.

(٢) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١، ص ٣١٩.

الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، كما انتشرت العصبية القبلية في السند إبان عهد الخليفة المهدي مما أثار الخلافات بين القبائل العربية، فضعف شأن المسلمين، واستغل الهنود هذا الضعف، فاحتلوا بعض الأجزاء وتفككت الولاية، وظهرت الإمارات المستقلة، شأنها في ذلك شأن الخلافة التي تجزأت إلى دويلات، وكان من هذه الإمارات في السند: إمارة المنصورة، وإمارة الملتان ثم قامت إمارة الإسماعيلية، وبقيت حتى قضى عليها محمود الغزنوي، وطارد حاكمها أبا الفتح داود القرمطي في القرن الخامس الهجري. وهكذا فإن الإسلام لم يصل إلا إلى منطقة السند في عهد الفتوحات الأولى[١].

وتوقفت الفتوحات وانصرف الناس إلى التجارة في كل جهة، في البر والبحر، وكانوا يعرفون الارتحال من قبل في مياه المحيط الهندي، وتحركت سفنهم في ذلك الاتجاه، وتوقفوا على السواحل الغربية للهند، فانتشر فيها الإسلام إذ كانوا في هذه المرة تجاراً ودعاة بل ربما كانت التجارة وسيلة للدعوة والاتصال بالناس، أما السواحل الشرقية فكان انتشار الإسلام فيها أقل مما هو عليه في المناطق الغربية[٢].

ومما يجدر ذكره أن الدولة الغزنوية التي قامت في أرض أفغانستان اليوم قد قامت بجهد كبير من أجل نشر الإسلام في الهند، حيث قام السلطان محمود الغزنوي بفتح كجرات غرب الهند وقنوج على نهر الغانج قرب بنارس، كما قام ابنه مسعود بفتح مدينة بنارس واستمر حكمهم (٣٨٨ - ٥٥٥هـ/ ٩٩٨ - ١١٦٠م). وانهار حكمهم بسبب الخلافات بين الأسرة الحاكمة. وخلفهم الغوريون الذين وصلوا إلى البنغال، وحكمهم منهم محمد الغوري فقط، وخلفه مملوكه «قطب الدين أيبك»، واستقل الخلجيون في البنغال، وعملوا على إيجاد

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ١٩، ص١٦.

(٢) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: المصدر السابق، ص٣١٩.

دين جديد يجمع بين الأديان، غير أن الشعب ثار ضد قائد الخلجيين الذي عمل على إحياء البراهمية.

وحكم آل تغلق البلاد، فعملوا على نشر الإسلام، ومن حكامهم غياث الدين الذي زار في عهده الهند الرحالة «ابن بطوطة»، أما «دهلي» فقد حكمها بعد «قطب الدين أيبك» صهره ومملوكه «التمش» واعترف به الخليفة العباسي، وأسماه ناصر أمير المؤمنين. وهكذا انتشر الإسلام في شمال الهند بجهود آل تغلق[1].

وجاء بعدهم المغول من غزنة إلى الهند بقيادة تيمورلنك عام ٨٠١هـ/ ١٤٨٣م وتغلبوا على حكام الهند من اللودهيين عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م، واستقر لهم الأمر، وكانوا حديثي عهد بالإسلام فكان منهم المصلحون ومنهم المفسدون، ومنهم الملك أكبر الذي أراد أن يضع دينا جديدا تقربا من البراهمية يجمع بينها وبين الإسلام، فوقف العلماء في وجهه ووجه ابنه الذي خلفه عام ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م وهو جيهان أكبر وجاء حفيده أورنكريب عام ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٩م فألغى جميع منكرات أبيه وجده، وحكم المغول الهند جميعها مما مكن من نشر الإسلام في شبه القارة الهندية، وإن كان انتشار الإسلام متفاوتاً في القوة بين منطقة وأخرى حسب ظروف كل منطقة ودعاتها، وبسبب السياسة العامة، وجهل أكثر الحكام بالإسلام، والفوضى التي كانت تعم البلاد. واستمر حكم المغول في الهند، وإن كانت التجزئة قد حصلت، وقام عدد من الحكام في آن واحد[2] مما أدى إلى ضعف المسلمين في الهند وما حولها.

---

(١) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي: جـ٢، بيروت ١٩٧٥م، ص ١٢٥.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ١٩، ص ١٧.

ولعل عـدم تطبيق الإسـلام في الماضي والحاضر هـو الـذي أصـاب المسلمين بالضعف . أما بـالنسبة للهند فقد دانت بعض أجزائهـا للحكم الإسلامي إبان عهد الخلفاء الراشدين والأمويين . أما بعد ذلك فقد ضعفت الدولة الإسلامية ، ومع ضعفها ضعف تطبيـق الشريعة الإسلاميـة ، وتساهل النـاس في الأحكام ، وعملوا على تسيير شؤون الدولة حسبما تقتضي مصالحهم . ويعزى هذا الضعف للعوامل الآتية :

١ - لم يستقـر العرب الفـاتحون في الهنـد إبـان الغزوات الأولى ويـوم فتحت السند على يد محمد بن القاسم الثقفي ، كما لم يستقر أولئك الذين فهموا الإسلام فهماً جيداً ، وإنما حكموا الهنـد ، وضاع أولئك الذين أقاموا هناك مـؤقتاً لمصلحة رعاية شئون الدولة ، وكانوا قلة أمام الهنود سكان السند ، فضاعوا بينهم ، غير أن استمـرار الغزو ، وقـدوم الكثير من المسلمين إلى السنـد قـد سـاعدا على انتشـار الإسلام في السند والبنجاب التي تعرف اليوم باسم باكستان .

٢ - أن معظم المسلمين الـذين استقـروا في الهنـد كـانـوا من حـديثي العهـد بالإسـلام ، فلم يعرفـوا دينهم حق المعرفـة ، ولم يعملوا على تطبيقـه ، بل لم يكن الأمر بأيديهم .

٣ - أن الهنود الذين دخلوا في الإسلام لم يربوا تربية إسلامية صحيحة من قبل الأشخاص الذين يعرفون الإسلام جيـداً ، فبقوا على كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية .

٤ - أن الحكومات الإسلامية التي حكمت الهند لم تكن تستند على الشريعة ، ولا تحكم بما أنزل الله ، وإنما كـان همها الحكم والسيطرة ، فكان الحكـام يعملون على إرضـاء الهنـدوس ومسـايرتهم ، بـل عمل بعضهم على إيجاد دين مختلط من الإسـلام والهنـدوسيـة ، فحـرم ذبح البقـرة وسمـح للمسلمين بـالـزواج من

الهنـدوسيات، وللهنـدوسي بالـزواج من المسلمات، كما أباح الخمـر، وذلك كما فعل الحاكم المغولي (أكبر شـاه)، وغيره من حكام المقـاطعات، بل إن ديـانات وجدت من هـذا النوع كـالسيخ في منطقة البنجاب، والقـاديانيـة، التي قامت تحت تأثير الحكام الإنجليز ولا تزال قائمة حتى الآن.

٥ - أن كثيراً من العلماء الذين جاءوا إلى الهند مـن علماء ومشايخ بلاد ما وراء النهر وبلـدان شرقي الخلافة، كانـوا مولعين بفلسفـة اليونان وعلـومهم أكثر من اهتمامهم بدراسة القرآن وعلومه والسنّة (١).

٦ - كـان بعض المتصوفين من الـذين دخلـوا الهند قـد ساعـدوا على ضعف المسلمين بسبب انتشار الفرق الضالة والأفكار الغريبة.

٧ - جهل أكثـر النـاس بـاللغـة العـربيـة، والأهم من ذلك عـدم تمسكهـم بالإسـلام الذي يحثهم على تعلم العـربية التي هي لغـة القرآن والسنّـة. وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية في الهند، فكانت ألفاظ القرآن تترجم بحيث لا تعطي الهدف المنشود.

٨ - انشغال الحكام بالحروب صرفهم عن نشر الدعوة، وتطبيق الإسلام، بل اهتموا بفرض الضرائب وإرضاء الهندوس.

٩ - كان المسلمـون يفتحون المنـاطق، ويتركون الشعب حـرا في معتقده دون إظهار الحقيقة وأهداف الشريعة والمساواة في إطار نشر الإسلام.

١٠ - دخـول الناس في الإسـلام كان يتـم وراء منفعة أو بـالإكراه، كما كـان يحدث في بعض الأوقات على أيـدي بعض الحكام، ولعل السلطـان «تيبوتيب» سلطان ميسور هو أحد الحكام المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مهمة تحويل

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ١٩، ص٣٨.

الناس إلى الإسلام بالقوة، وجرد جيشاً جراراً وحوّل سكان منطقته إلى الإسلام، غير أن الإنجليز قد قضوا على السلطان تيبو عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، واستشهد في عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م على أيدي الإنجليز، فعاد الناس إلى دينهم القديم[1]. ولعل هذا السلطان قد قام بذلك بسبب تسلط الإنجليز واعتمادهم على الهندوس لقتال المسلمين ففعل ما فعل.

١١ - لا شك أن دور علماء المسلمين كان بارزاً مهما، ولكن هؤلاء العلماء بالرغم مما قاموا به من جهد في نشر الدعوة وأخلصوا لله، فأن المسلمين كانوا قلة وسط ذلك المحيط الهندي. وكان على المسلمين أن يفتحوا منطقة إثر منطقة، وكان عليهم أن يطبقوا الإسلام حتى لا يبقى أحد من سكانها إلا وقد دخل الإسلام ما عدا أهل الكتاب والمجوس. ولو تم ذلك لقضى على الشرك والمعتقدات الدينية الوثنية.

وهذا شأن كل البلدان التي دخلها المسلمون وقت الضعف، في ماليزيا وأندونيسيا والفلبين وبلدان أفريقية غير العربية، حيث دخلوا قلة أو انتشر الإسلام تدريجيا، ولم يكن الحكم بالإسلام، ولم تكن لتطبق أحكامه. فالمسلمون يعيشون في تلك المناطق في وثنيات كثيرة، وتجد أنواعاً من الشرك غريبة، حتى إن بعض المسلمين قد تأثروا ببعض هذه المظاهر وكانوا يرونها عادية[2].

وخلال حكم المغول للهند كان الأوروبيون يقومون بهجمة صليبية شرسة على المسلمين ويحاولون الوصول إلى الهند واحتلالها نظرا لأهميتها التجارية والاقتصادية، وشهرتها العالمية التي طبقت الآفاق بالتوابل والبهارات والأفاويه والعطور والبخور والطيب. وهذه التجارة كانت تصل إلى أوروبا عبر تجار

---

(١) أرنولد، توماس: الدعوة إلى الإسلام، ط٢، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، جـ١٩، ص ٤١ - ٤٢.

البندقية وجنوة، ويشترونها من العرب المسلمين الذين كانوا يستأثرون بهذه التجارة قبل الإسلام وبعده. فبدأ الاستعمار الأوروبي للهند التوسع الأوروبي في الهند والمحيط الهندي (١٤٩٨م - ١٧٥٠م).

كانت الهند معروفة لدى أوروبا منذ أقدم أيام التاريخ. فإن الجند الهنود كانوا يخدمون تحت الراية الفارسية على الأراضي الإغريقية في عام ٤٨٠ ق.م، وقبل أن يصل الإسكندر إلى حدود الهند بزمن مديد، وكانت العلاقات الودية متبادلة بين هيلاس والهند. وكانت السفن الرومانية تزور الهند وتنقل البضائع الهندية إلى روما. وفي عصور أوروبا المظلمة كانت الهند لا تزال تثير خيال الغرب وتلهبه. وتزايد اهتمام أوروبا بآسيا بعد الحروب الصليبية تزايداً عظيماً، وكانت لدى كل من البندقية وجنوة معلومات تفصيلية عن أحوال الهند وتجارتها، حتى كانت الهند معروفة بمنتجاتها التي كانت موضع التقدير، كما ذكر الرحالة الأوروبيون الذين زاروا الهند في القرن الثالث عشر منهم ماركو بولو والراهب أودوريك ومونتي كورفينو. وظلت الهند قبلة الأوروبيين ومبتغاهم بهدف الوصول إلى كنوز بلاد العجائب التي تجمع بين اللؤلؤ والماس والعطور والأفاويه والطيب[١].

البرتغاليون والهند ١٤٩٨-١٦٠٠م:

وضع البرتغاليون أول ركيزة للاستعمار الأوروبي في الشرق، وذلك عن طريق إرسال مبعوث برتغالي لملك البرتغال إلى الهند عام ١٤٨٨م، تمهيداً لغزو الهند الذي قام به الرحالة فاسكو دي جاما الذي وصل قاليقوط بالهند عام ١٤٩٨م لتحقيق أهداف اقتصادية ودينية[٢].

---

(١) ك.م. بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد - القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م، ص ١٩ - ٢٠.

(٢) د. بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي، ط١، الكويت ١٩٨٤م، ص ١٣ - ص ١٤.

ومما لا ريب فيه أن تجارة الأفاويـه ازدادت قيمتها في أوروبا كعنصر جوهري، ولم يكن بـالإمكان الحصول عليهـا إلا من الهنـد وأندونيسيا عبر الخليـج والبحر الأحمر، ولذا أصبحت محور النزاع في سياسة بـلاد المشرق، كما كانت أقوى عامل في استثارة التـوسع الأوروبي أثنـاء القرن الخامس عشر. وقـادت البرتغال حـركة الكشوف الجغرافية والوصول إلى الهنـد بدعم من ملك البرتغال يوحنا الأول وابنه الأمير هنري الملاح، وبمباركة من البابـا نيقولا الخامس عام ١٤٥٤م الذي منح البرتغال حق ملكية البلاد التي يكتشفها حتى الهند.

ومهما يكن من أمر فإن استراتيجيـة البرتغال الكبرى ومن ورائها البابـوية هي تطـويق العالم الإسـلامي ومقـاومته ونشر الـدين النصراني، علاوة على احتكـار التجارة في الهنـد. وصارت هـذه الأهداف الإطـار العام للسيـاسة البرتغـالية في الشرق مدة مئة عام[١].

وقـد توافقت أهـداف البرتغـاليين مع الهنـدوس في محاربة المسلمين، إذ كـان الإسـلام هو العـدو المشترك لكل من البرتغـاليين والهندوس، وهـذا مـا ساعـد البرتغاليين على تـوطيد أقـدامهم في مدينة جـوا بالهنـد. ولا يزال هـذا الوضع في العالم قـائماً حتى الآن باتفاق ملـة الكفر في محاربة الإسلام، والمسلمين. ويـؤكد هذه الحقيقة قول الله سبحـانه وتعالى: ﴿**ولن ترضى عنك اليهـود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾[٢].

وعلى العموم فقد كـان هناك عدة عوامل تتصل بالأحوال السيـاسية في آسيا، وتـؤثر على تطـور العـلاقات مع الـدول الأوروبيـة، وأولها تماسك الإمبراطوريـة

---

(١) بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ص ٢١ - ص٣٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

الهندوكية جنوبي الهند بهدف مقاومة انتشار الإسلام، وتسلط الصين على جنوب قارة آسيا، والصراع بين الإسلام والهندوكية في منطقة أرخبيل الملايو.

ومن المعروف أن منطقة ملبار هي منطقة الفلفل، وكان أهم حاكم فيها هو الزامورين أمير قاليقوط التي وصلها فاسكو دي جاما عام ١٤٩٨م، وهي المركز الرئيس لتجارة الأفاويه التي كانت السفن العربية تقلع منها إلى الخليج والبحر الأحمر لأكثر من ألف عام. كما أن تجار قاليقوط كانت لهم مستودعات لبضائعهم في القاهرة والإسكندرية وفاس. وكانت هناك علاقات تجارية بين التجار العرب والهنود. ولم تكن رحلة فاسكو دي جاما الأولى إلا رحلة اكتشاف وارتياد فقط، ثم عاد مرة ثانية ومعه ثلاث وثلاثون سفينة وألف وخمسمائة رجل مع عتادهم الحربي بقيادة بدرو كابرال، فوصلت إلى قاليقوط وطلبت من الزامورين صاحب قاليقوط السماح بإنشاء مركز تجاري للبرتغاليين، وكذلك التبشير بالدين المسيحي، ولكن غطرسة وصلف القادة البرتغاليين جعلت الزامورين وشعبه يقاومونهم، وأوقعوا فيهم خسائر كبيرة مما اضطر البرتغاليين للرحيل. وبرغم ذلك استمر البرتغاليون في صلفهم وعنادهم، فقادوا حملة أخرى ثالثة بقيادة فاسكودي جاما لتوطيد سيطرتهم على البحار الهندية، تنفيذا لادعاء ملك البرتغال أنه سيد الملاحة ومولاها، ومع ذلك هزمت هذه الحملة، وعادت أدراجها.

وقد أظهر البرتغاليون بشاعة ووقاحة لا مثيل لهما في اعتدائهم على حرمات الناس وخاصة المسلمين منهم. فإن ما فعله البرتغاليون مع الناس في الهند والمحيط الهندي انطلاقاً من ادعاء كاذب بأنهم أفضل من غيرهم. وما فعله

---

(١) Panikar, K.M : Malabar and the portoguese, Bombay 1927 - Ch.one.

الإنجليز بعد ذلك في الصين من تنفيذ تجارة الأفيون، برغم أنهم يحرمون هذه التجارة في إنجلترا. وهم ينظرون إلى غيرهم من الشعوب في خارج أوروبا على أنهم في مستوى البهائم والحيوانات وليس لهم حق في الحياة، ولا يماثلون نظراءهم في أوربا، ولا يحق لهم بالحقوق والامتيازات نفسها التي تستمتع بها الأمم المتحضرة التي تقوم بينها رابطة القانون الدولي(١).

وكان نائب الملك البرتغالي في الهند فرانسيسكو دالميدا، يعارض معارضة قاطعة كل سياسة ترمي إلى التوسع، ولكنه يقدر تمام التقدير أهمية حصول البرتغال على السيادة في البحار الهندية سيادة لا ينازعهم فيها منازع استعداداً لمستقبل البرتغاليين بآسيا. وكان يعلم علم اليقين أن جميع خطط ملك البرتغال ترمي إلى تكوين إمبراطورية تجارية ببلاد الشرق تعتمد على إحراز تلك الهيمنة والسيطرة(٢).

وإزاء سيطرة البرتغاليين على تجارة الهند، وتحويل طرق التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح، بدلا من طريقي الخليج العربي والبحر الأحمر اللذين كانا يخضعان لسيطرة المماليك والعثمانيين، لم يقف المماليك مكتوفي الأيدي أمام هذا العمل، فهبّت الدولة المملوكية لدرء أخطار البرتغاليين التي باتت تهدد المسلمين. وقام السلطان «قنصوة الغوري» بتجهيز أسطول قوامه خمسون سفينة أبحر إلى جدة في أكتوبر عام ١٥٠٥م بقيادة حسين الكردي لحماية الأماكن المقدسة في الحجاز من البرتغاليين الذين كانوا على اتصال بالأحباش لوضع المخططات اللازمة للإطاحة بالقوى الإسلامية (٣).

---

(١) بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ص ٤٠ - ٤٣.

(٢) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ط ٣، القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٦.

(٣) د. عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦م، دمشق ١٩٧٢م، ص ١٣.

وتشير المصادر إلى أن البرتغاليين بعثوا سفنهم عبر البحر الأحمر أملا في الزحف نحو مكة والمدينة المنورة، غير أنها عندما علمت بوجود الأسطول المملوكي في جدة لاذت بالفرار نحو الهند، حيث تعقبتها السفن المملوكية إلى ميناء شول على الساحل الغربي للهند، فدارت معركة بين الجانبين المملوكي والبرتغالي في صيف عام ١٥٠٨م انتهت بانتصار المماليك. غير أن الأسطول البرتغالي لم يلبث أن استجمع قواه، واشتبك مع الأسطول المملوكي للمرة الثانية وأوقع به في مياه «ديو» عام ١٥٠٩م هزيمة، غير أن ذلك لم يفت في عضد السلطان المملوكي الذي بعث بسفنه مرة أخرى عبر البحر الأحمر إلى المياه الهندية، ولكن دون جدوى. فعاد الأسطول المملوكي إلى جدة، ولم تقم محاولات مملوكية أخرى بسبب انشغال الدولة المملوكية في نزاعها مع العثمانيين عقب انتصارهم على الصفويين حكام فارس، حيث اضطر قنصوة الغوري سلطان المماليك إلى ملاقاة العثمانيين في موقعه مرج دابق ببلاد الشام، وانتهت هذه المعركة بهزيمة المماليك ومقتل السلطان قنصوة الغوري [١].

وبرحيل الأسطول المصري من المياه الهندية في عام ١٥٠٩م، يمكن القول بأن البرتغاليين قد أثبتوا ادعاءهم بأنهم «سادة الملاحة» في البحار الشرقية. ولكن قوة الزامورين البحرية لم تهزم، واستطاعت قاليقوط لمدة تسعين عاماً أخرى حتى عام ١٥٩٩م أن تتحدى سلطان البرتغاليين بمنطقة ملبار الساحلية، وخاضت معهم عدة معارك كللت بالنجاح، ولكن البرتغاليين أسسوا لأنفسهم في أعالي البحار سيادة لا ينازعهم فيها منازع، جعلت تجارة البحر الهندية تحت رحمتهم مدة تزيد على قرن ونصف قرن من الزمان. وكان الرجل الذي نظم هذه

---

(١) د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤ - ١٩١٦م، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٢م، ص ١٢٣ - ص١٢٤.

الإمبراطورية البحرية وحملها بالفعل إلى المحيط الهادي هو ألفونسو البوكرك، وهو من ألمع الأسماء في تاريخ العلاقات بين أوروبا وآسيا، كما أنه باني السيطرة الغربية بآسيا [1].

عمل البوكرك على احتلال البحر الأحمر حيث سيطر على جزيرة سقطرى، وذلك لضرب التجارة العربية، كما احتل مسقط وهرمز للسيطرة على الخليج العربي، وبذلك تمكن من إقفال طرق التجارة العربية. وكان همه الأول أن يؤسس لنفسه قاعدة منيعة ببلاد الهند حتى يستطيع أن يفرض بالقهر في البحار الشرقية سيادة تامة لا ينازعه فيها منازع. ولم يكن يملك في الهند سوى جزيرة كوتشن فوجه همه لاحتلال قاليقوط، وجرت معركة حاسمة أدت إلى هزيمة البرتغاليين، وأدت كراهيته وحقده الدفين على الإسلام إلى ازدياد مقاومة المسلمين ضدهم، وتقربه من الهندوس الذين جمعهم معه هدف القضاء على الإسلام والمسلمين. ولما فشل البوكرك في احتلال قاليقوط وجه سفنه لاحتلال مضيق ملقا حيث يمكنه السيطرة على تجارة المحيط الهندي. ولكن التجار العرب في هذا المضيق قاوموا الأسطول البرتغالي، عن طريق إقناع سلطان ملقا بمطامع البرتغاليين في المنطقة وكرههم للإسلام والمسلمين، ويجدر بالذكر أن ميناء ملقا وجزيرة جاوة كانت ترتادهما السفن من بلاد الصين واليابان شرقا، ومن الهند وفارس وبلاد العرب ومصر غربا. ولا ريب أن ملقا كانت همزة الوصل بين الصين وأقطار جنوب آسيا وجنوبها الشرقي، علاوة على مركزها التجاري ببلاد الشرق [2].

حاول البوكرك مرة أخرى حث البرتغاليين على محاربة المسلمين فقط، فأعد أسطولاً مكونا من ثماني عشرة سفينة أقلع به من كوتشي، ووصل أمام ملقا في

---

(١) بانيكار. ك.م: المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) بانيكار: المرجع السابق، ص ٤٧.

عام ١٥١١م، وأحرق السفن التجارية التي يملكها العرب والراسية في الميناء، ولكنه أبقى على المراكب الصينية التي لا يملكها المسلمون، وتقدم ربابنة السفن إلى البوكرك يعرضون عليه مساعدتهم في هجومه على السلطان المسلم في ملقا، فقبل أن يمدوه ببعض سفن النزول إلى البر. ولا شك أن الغيرة الدينية الكامنة وراء محاولة البرتغاليين تؤكد كرههم للإسلام والمسلمين وهدفهم طرد العرب وإطفاء شعلة الإسلام من هذه المناطق، ولذلك قال البوكرك في خطبة أمام جنوده: «لو انتزعنا تجارة ملقا من أيدي المسلمين، لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثرا بعد عين، ولامتنعت عن البندقية كل تجارة التوابل ما لم يذهب تجارها إلى البرتغال لشرائها من هناك». وهذا يبين بوضوح الهدف الاقتصادي من الحملات البرتغالية وإن كان هذا الهدف يغلفه هدف ديني لكن الأول هو الأساس؛ لأنهم يدركون جيداً عدم قدرتهم على تحويل المسلمين عن ديانتهم.
ولكن هذا الهجوم بقيادة البوكرك قد باء بالفشل، واستطاع السلطان المسلم أن يحرز النصر في بادئ الأمر، غير أن مدينة ملقا قد سقطت بعد قتال عنيف، وبيع المسلمون الذين نجوا من الذبح بيع الرقيق، ولكن أبقى الفاتحون على نزلائها من الصينيين والهنود والبورميين، وتابع البوكرك اكتشافه فأرسل ثلاث سفن للوصول إلى أندونيسيا، وبذا اتصل البرتغاليون بإمبراطورية الصين بطريق غير مباشر. وبفتح ملقا أتم البوكرك بناء صرح الإمبراطورية الأوروبية البحرية في آسيا، وكانت الموانئ الكبرى على شاطئ أفريقيا، وبعد أن تمت سيطرتهم على كوتشين في الهند، وبعد ضم هرمز وسقطرى ومسقط وملقا ومحاولة اكتشاف أندونيسيا تأسس لهم نظام الهيمنة على المحيط الهندي. ولذا أعد العدة لتطوير مدينة جوا لتصبح قاعدة للحكم البرتغالي في الشرق [١].

(١) بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ص ص ٤٨ - ٥٠.

وأيا ما كان الأمر، فقد هـدد الوجود البرتغالي في الشرق العالم العربي، وحيث إن الدولـة العثمانية قد ورثت ملك المماليك، وسيطرت على العـالم العربي، فإنها ورثت التبعات الملقاة على عاتقهم، وفي مقدمتها مواجهة الخطر البرتغالي [1].

وهكـذا واجهت الـدولة العثمانيـة - عقب استيـلائهـا على مصر ١٥١٧م - مسئولية حصر الخطـر البرتغالي الذي بات يهدد المسلمين جميعا خصوصـا عندما شاعت أخبـار البرتغاليين والأحبـاش لتحويل مجرى النيل [2]، واقتحام طريق البحر الأحمر للنـزول في ينبع والتوجـه منها نحو المدينـة المنورة لنبش قبر الـرسول عليـه الصلاة والسـلام فيها لإظهـار الدول الإسـلامية بمظهـر القوى الضعيفـة العاجزة عن حمايـة المقدسات الإسلاميـة، فتنهار بذلك روح المقـاومة الإسلامية للبرتغـاليين [3]، لـذا سـارع العثمانيون بـالاتصـال بـالشريف بركـات في مكـة للانضمام إليهم، وسعوا كذلك لدى القـوى اليمنية للدخول في طاعتهم؛ لكي يتخـذوا من بـلادهم مواقع أمـاميـة تسمح لهم بمـواجهـة البرتغاليين في الميـاه الهنديـة [4]، واستجاب السلطان العثماني لنداء الاستغـاثة من جانب المسلمين في الهند عام ١٥٣٧م، وبعث بتعليماتـه إلى «سليمان باشا الخادم» في مصر حيث جاء فيها [5]:

«عليك يا بك البكوات بمصر سليمان باشا أن تقـوم فور تسلمك أوامرنا هذه بتجهيز حقيبتـك وحاجاتـك وإعداد العدة بـالسويس للجهـاد في سبيل الله، حتى إذا تهيأ لك إعـداد أسطول وتزويـده بالعتـاد والميرة والذخيرة، وجمع جيش

---

(١) د. محمد أنيس: المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٢) د. بدر الدين عباس الخصوصي: المصدر السابق، ص ٢٤.

(٣) د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٩٨.

(٤) د. محمد أنيس: المصدر السابق، ص ١٢٩ - ص ١٣١.

(٥) بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ص ٥٠ - ص ٥٢.

كـافٍ ، فعليك أن تخرج إلى الهند وتستـولي وتحافظ على تلك الأجـزاء ، فإنك إذا قطعت الطـريق وحاصرت السبيل المؤديـة إلى مكة والمدينـة تجنبت سوء مـا فعل البرتغاليون ، وأزلت رايتهم من البحر» .

و إزاء ذلك جهز سليمان بـاشا أسطولاً كبيراً مكـوناً من ثمانين سفينـة وصل به إلى المحيط الهنـدي في عـام ١٥٣٨ م ، غير أنه لم يستطع أن يحدث اتصـالا بينـه وبين أسطول الزامورين في قاليقوط ، وذلك أنه حدث في ٢٠ من فبراير ١٥٣٨م يوم كان الأسطول العثماني يقترب من الهنـد ، أن مارتن دي سوزا الحاكم البرتغالي تمكن من إجبار أميرال قاليقوط على الاشتباك معـه في معركة ومن تشتيت سفنه . وعندمـا بلغت هـذه الأنباء مسامـع سليمان عاد إلى مصر، بعـد جولـة في البحر العـربي ، فـرض فيهـا سيطـرتـه على عـدن وأجـزاء مـن اليمن . وهكـذا تمكن البرتغاليون من السيطرة على المياه الهندية لمدة ستين عاما قادمة [١].

واتجه بعـدها الأسطـول العثماني إلى منطقـة الخليج العربي حيث استـولى على مسقط وحـاصر جزيـرة هرمـز، وتمكن في بـادئ الأمر من هـزيمة البرتغـاليين ، لكنهم عـادوا مـرة أخـرى فسيطـروا على المنـاطق التي احتلهـا العثمانيـون وهي القطيف وغيرها ، وأرسل العثمانيون عدة حملات بحرية إلى الخليج ، ولم يكتب لها النجـاح ، فتركوا أمـر الخليج وشأنـه واكتفـوا بالـولاء الـديني الـذي يكنه عـرب الخليج .

ومما يجدر ذكره أن عـلاقات البرتغاليين مع الهندوس والدول الهنـدوكية كانت علاقات صداقة ما عدا عـلاقتهم بسلطنة قاليقوط التي يحكمها المسلمون بقيادة الزامـورين الذين حـافظوا على استقـلالهم ، وتحدوا إمبراطوريـة البرتغال حيث

---

(١) محمد أنيس : المرجع السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) Miles, The countries and tribes of the persian Gulf, London 1948, p. 168.

استمرت المعارك بين الطرفين دون انقطاع لمدة مئة عام، ولم يتم عقد المعاهدة بين الطرفين إلا في عـام ١٥٩٩م . وينبغي الإشارة إلى أن نشاط تجار التـوابل العرب هو الذي مكن ولايـة قاليقوط من أن تعيش في رغد وبحبـوحة من العيش . وقد تنـازل البرتغاليـون نتيجة هـزيمتهم في قـاليقوط عن أطماعهم في امتـلاك أراضي الهند، وقبلوا الأمـر الواقع، فقد كان كل ما يمتلكـونه هو جزيرتا ديـو وبومباي ومراكز تجارية مختلفة إضافة إلى جوا وكوتشين، وحققوا ثراء ضخما حتى إن نائب الملك البرتغالي في الهنـد كان يعيش في أبهة عظيمـة ونفوذ كبير، وكـان يتبادل مع الحكام الهنود الهدايا ويقيم علاقات طيبة معهم ومع الدول المجاورة .

ولم يكتف البرتغاليون بالنشاط التجاري، بل مـارسوا أيضا نشاطا تنصيريا في آسيـا، كما أنهم حـافظـوا على سريـة الطـريق إلى الهنــد حتى لا تقع في أيـدي منـافسيهم من الأوروبيين، وخاصـة هولنـدا التي توجهت إلى المحيط الهنـدي، وسيطرت على أندونيسيا وقضت على النفوذ البرتغالي في كل المنطقة [(١)].

السيطرة البريطانية على الهند ١٦٠٠-١٩٤٧م:

مما لا ريب فيـه أن البرتغاليين قـد انفردوا بخطوط الملاحـة العالميـة المؤدية إلى الهند حوالي قرن من الزمان، وبـدأت إمبراطوريتهم البحرية تنهار تحت ضربات القـوى البحـرية الأوروبيـة النـاشئـة وعلى وجـه الخصـوص هولنـدا، وفـرنسـا وبريطـانيا، إذ حملت هذه القـوى على كسر احتكار البرتغاليين لخطـوط الملاحة البحـريــة إلى الهنـد، ونجحـوا في ذلـك عن طـريق الشركـــات التجاريـــة : الإنجليزية ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م، والهـولنــديـة ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م، والفرنسية ١٠١٤هــ/ ١٦٠٥م التي كانت لها أسـاطيلهـا الحربية والتجـارية القـادرة على

---

(١) بانيكار : المرجع السابق، ص ٥٤ - ٥٦ .

التصـدي للقـوى البرتغاليـة ، وإن أشهـر هـذه الشركـات شركة الهنـد الشرقيـة البريطـانيـة التي ظهـرت في مطلع القـرن الحادي عشر الهجـري/ السـابع عشر الميلادي . وقـد نجحت بـريطانيـا دون غيرها في استعمار الهنـد ، وبرز الاستعمار الإنجليزي في شكلين هما : شركة الهند الشرقية البريطانية والاستعمار البريطاني . وهذا التنافس الاقتصادي هو الذي غطى على الروح الصليبية التي كانت السمة الرئيسة لدول أوروبا كافة ، وقد حدث هذا التنافس بسبب الاحتكارين البرتغالي والأسباني ، وعـدم إحراز دول أوروبـا منه شيئـاً ، على حين أنها كانـت الدعـامة الـرئيسـة لأسبـانيـا والبرتغـال في حـروبهما ضـد المسلميـن ، وفي انطـلاقهما لملاحقتهم [1] .

ومما لا ريب فيه أن الدول المتنـافسة (هولندا وبريطانيا وفـرنسا) طرقت أبواب الهند ، ونـافست البرتغاليين أولاً ، وأسسـت شركات تجارية كما أشرنـا ، وعملت الشركات الاستعمارية على شراء الأراضي وبنـاء الحصون إذا كانت المنـافسة بينها قويـة ، وأخيرا تمكن الإنجليز من الغلبـة والسيطرة على الهنـد ، وبقي للهندوس مملكتـان في الشمال هما نيبـال وبـوتـان ، وبقيت ثلاثـة مـراكـز للبرتغـاليين على الساحل الغربي هي : دامان شمال بومباي ، وجـزيرة ديو ، وجوا ومساحتها كلها ١٨٠٠ كيلو متر مربع . وبقيـت للفرنسيين أربعة مراكز هي : بـوندشيري وهي أهم المراكـز ، ونياوان وغنـدزنكر قـرب كلكتا وكـاريكال . أمـا الهولنديـون فقد غادروا إلى أندونيسيا .

ولا ريب أن بريطانيا قد سمحت للفرنسيين والبرتغاليين بهذه المراكز من أجل التبشير والتنصير ، وليس من قبيل تحقيق مصالح اقتصادية لهم [2] .

---

(١) Panikar, K.M. Indian states and the Governmant of India, London 1956, pp. 25 - 56.

(٢) بانيكار : المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ص ١٢٧ .

أما المسلمون فقد كانت لهم السلطة الاسمية فقط، حيث يوجد لهم عدد من الممالك والإمارات، وأبرزها المملكة المغولية في دلهي وممالك كجرات والدكن والبنغال[1]. ولم يكن هناك من قوة هندوسية سوى مملكة الماراثا.

وقد بدأت صلات إنجلترا بالهند منذ عام ٩٨٧هـ/ ١٥٧٨م، حيث قدم إلى الهند القسيس توماس ستيفنز وتبعه ثلاثة آخرون بهدف الحصول على تجارة البهارات، وتلا ذلك تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م التي أسستها الدولة بمرسوم رسمي. وواضح أن تأسيس هذه الشركة لم يكن لهدف تجاري فقط بدليل أن الدولة ساعدت على إنشائها بهدف كسر شوكة أسبانيا والبرتغال[2].

كانت هذه الشركة تنشئ وكالات لها في أول الأمر على السواحل الهندية، وكان يحصل عليها الإنجليز في مقابل أموال يدفعونها إلى السلطات الحاكمة المحلية التي لم تعرها وزناً كبيراً. ومن أهم المراكز الإنجليزية بومباي، وسورات، ومدراس، وكلكتا [3].

لم تكن شركة الهند الشرقية البريطانية تدعي أي سيادة على أي منطقة خارج جزيرة بومباي منذ عام ١٧٠٠م، ثم استولت الشركة على مدراس عام ١٧٠٨م، كما منحت الحكومة المركزية في دلهي للشركة خمس قرى مجاورة للحصن، وكان لهم حق التجارة في البنغال دون ممارسة أي حقوق أخرى كإنشاء سلطة سياسية. فلم يكن يراود الإنجليز أي حلم بإنشاء هذه القوة لأن تجارب

---

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ١٦، ص ٢٧.

(٢) جون كيلي : بريطانيا والخليج، ترجمة وزارة الثقافة والتراث، عمان ١٩٨٦م، ص ٥٧.

(٣) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي : جـ١، ص ٢٦٠.

الدول الأوروبية السابقة أظهرت أن الأمم الأوروبية ليست مهيئة لمثل هذا الدور، إذ إن السلطات البحرية البريطانية كانت عاجزة على السيطرة عن تلك البلاد[1].

ولكن بريطانيا عمدت إلى كسب ود الهنود إلى جانبها عند تأسيس المراكز التجارية الأوروبية بالمناطق الساحلية الهندية، وتكونت بذلك طبقة من الرأسماليين الهنود ترتبط أوثق الارتباط بالتجار الأجانب، وتحصل على مكاسب عظيمة من الاتجار معهم، وقد كون هؤلاء التجار لأنفسهم في سوارت رفعة وعزة جاه، كما كان لهم نفوذ في المسائل السياسية، وذلك لأنهم كانوا يتوسطون لدى الحكام المغول منذ عام ١٦٦٢م. وقد حدث أثناء القرن الثامن عشر أن توافد تجار شمال الهند إلى مرشد أباد وكلكتا[2].

وقد انتقلت السلطة والقوة من أيدي النبلاء المغول إلى الرأسماليين الذين ارتبطت مصالحهم بالأجانب نتيجة كراهيتهم للحكم الإسلامي، وأحدث هذا تغييراً جوهرياً في تاريخ الهند وآسيا سياسيا واقتصاديا، ومهما يكن من أمر فإن هذا التحول الضخم قد حدث نتيجة عدة عوامل منها؛ قوة بريطانيا المرتكزة في الهند وهي التي مكنتها من فتح أبواب الصين قهراً.

كما أن فتح الهند عسكريا وإن كان قد تم متأخرا (١٨٥٨م) فهو الذي مكن بريطانيا بفضل الانقلاب الصناعي أن تبرز قوتها السياسية والاقتصادية على المحيط الهادي[3].

ونعود إلى شركة الهند البريطانية التي كانت تسيطر على التجارة، وتقوم بأعمال سياسية وتنصيرية أحياناً. لكن دورها الاقتصادي كان الأهم، فقد كانت شركة

---

(١) بانيكار: المرجع السابق، ص ٩٦ - ص ٩٧.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٠١ - ص ١٠٢.

(٣) Tompson & Garet British Rule In India, London 1958, p. 474.

الهند البريطانية في بادئ الأمر تنقل الإنتاج من الهند إلى أوروبا، أما بعد الانقلاب الصناعي فأصبحت إلى جانب ذلك تنقل إنتاجها الصناعي المتكدس إلى الهند. وهذا هو الذي يفسر لنا انتقال مهمة الوكالات البريطانية من مجرد التبادل التجاري إلى الاستعمار المباشر. ولذا كان على شركة الهند البريطانية أن تنتقل من التبادل التجاري إلى الاستعمار المباشر. ولذا كان على شركة الهند البريطانية أن تبيع كميات متزايدة من إنتاج بريطانيا، ومن ثم كانت في حاجة إلى أسواق في داخل الهند، وجاء هذا في وقت كانت فيه دولة المغول قد تفككت، وحلت محلها إمارات متعددة إسلامية وراثية ضعيفة متناحرة، وإمبراطورية المهراتا الهندوسية، ومركزها بونا في الأقاليم الشرقية. هذا التفكك وهذا التصارع جعل الأمراء في حاجة إلى أموال الهنود الذين ارتبطوا بالشركة الإنجليزية وكونوا رأسمالية هندية تؤثر في توجيه الأمور السياسية[1].

كان الإنجليز قد بدءوا يتدخلون عن طريق الرأسماليين الهنود الذين يكرهون المسلمين، ويعملون على تقويض الحكومة المركزية المغولية في البنغال، فتضايق الأمير سراج الدولة نائب الإمبراطور الذي أراد أن يسيطر على مراكز الإنجليز على الساحل وخاصة حصن فورت وليم. وهاجم سراج الدولة القوات الإنجليزية الهندية المشتركة، واستولى على الحصن في عام ١١٦٩هـ/ ١٧٨٣م[2].

كان هذا التفوق مخيفا لبريطانيا، فأعادت النظر في سياستها، وأسندت القيادة البريطانية إلى رجل كفء وهو كلايف (Clive)، وتولى مهمة القضاء على سراج الدولة الذي اعتمد على ضباط فرنسيين لتدريب جيشه، ذلك لأن فرنسا كانت تريد الانتقام من بريطانيا لأنها هزمتها في حرب السنين السبع (١٧٥٦م - ١٧٦٣م) وأخرجتها من مستعمراتها.

---

(١) د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت ١٩٧٣م، ص ١٢٥ - ص ١٢٧.

(٢) بانيكار: المرجع السابق، ص ١٠١.

ولما فشل الإنجليز في القضاء على سراج الدولة، لجئوا إلى سياسة الخديعة والخيانة لسراج الدولة الذي لم يستطيعوا قهره، واستطاع كلايف وأعوانه أن يشتروا مير جعفر نائب سراج الدولة، واتفقوا معه على أن يخون سراج الدولة خلال الحرب. وعندما دارت المعركة في بلاسي عام ١١٧٠هـ/ ١٧٨٤م، وبينما كانت المعركة تتذبذب بين هذا الطرف أو ذاك، ضرب مير ضربته في الوقت المناسب، وانقضت القوات الإنجليزية على جيش سراج الدولة فأبادته، ولم يلبث أن وقع سراج الدولة نفسه في يد الإنجليز فأعدموه، بينما تولى مير جعفر حكم البنغال، واستطاع الإنجليز السيطرة على بعض المناطق في شمالي الهند وجنوبيها[١].

وأدركت القوى الإسلامية الحاكمة أن الخطر الإنجليزي أصبح أعظم من أن تترك له أبواب الهند مفتوحة، ولكن هذا الإدراك جاء بعد فوات الأوان بزمن طويل، فأرسل الإمبراطور المغولي جيشاً ضد الإنجليز وحلفائهم. فدارت معركة بوكسار Buxar في عام ١١٧٨هـ/ ١٧٩٢م، وفيها كانت الهزيمة الحاسمة للإمبراطورية المغولية، وفقدت إلى الأبد البنغال، إذ أرغم الإنجليز الإمبراطور المغولي على أن يمنح الشركة حق التصرف الإداري في الإيرادات في مناطق البنغال العريضة الثراء. ذلك كان مصير البنغال على يد شركة الهند الشرقية البريطانية، وقد أعان ذلك الإنجليز على أن يكرروا خططهم نفسها مع بقية القوى المتعددة المتناحرة في داخل الهند، فأرغموا نظام حيدر أباد على أن يسرح القوات التي كانت قد دربها الفرنسيون من قبل، ثم هاجموا أكبر قوة حينئذاك وهي المهراتا (المارتا)، وهزموها شر هزيمة في موقعة آساي بالدكن عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م،

(١) المرجع السابق: ص١٠٣.

ثم قرب بونا في عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. ولم يبق أمامهم من قوة كبيرة قادرة على التصدي للإنجليز سوى إمارة ميسور التي تولاها حيدر علي، ثم خلفه عليها ابنه فتح علي الملقب بـ (تيبوتيب) أشد أعداء الإنجليز[1].

هاجم الإنجليز وحلفاؤهم (المهراتا ونظام حيدر أباد) إمارة ميسور في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، وصمد حيدر علي أمامهم مؤقتا، واستعان بالفرنسيين في بناء جيشه في بادئ الأمر، ثم تخلت عنه فرنسا وتركته يواجه مصيره مع إنجلترا، ولذلك تفوقوا عليه واضطروه إلى التراجع إلى الداخل، ولم يلبث أن مات في عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م ليخلفه ابنه فتح علي المشهور باسم «تيبو» ليتابع من بعده القتال ضد الإنجليز وحلفائهم فهزموه وأرغموه على عقد اتفاقية «سرنكابا تام» التي فقد فيها الكثير من أملاكه ودفع غرامة باهظة عام ١٧٩٢م.

ولكن تيبو أعاد تنظيم قواته، وتطلع إلى فرنسا، فأرسل الفرنسيون إليه رسالة فوقعت في يد الإنجليز، وأدركوا أنهم في موقف يتطلب القضاء عليه، خاصة بعد أن علموا بنزول الجيش الفرنسي إلى أرض مصر ١٧٩٨م، فشدد الإنجليز حملاتهم عليه وحاصروه في عاصمته «سرنكابا تام»، وفعلوا معه مثل ما فعلوا مع سراج الدولة، فقد أغروا أحد قواده «مير صادق» بالخيانة، فخان في أدق موقف. وفتح للإنجليز باب القلعة فاستولوا عليها، وظل تيبو يقاتل المهاجمين حتى سقط والسيف في يده. فتخلص الإنجليز بذلك من أخطر قوة وطنية تصدت لسياستهم الاستعمارية. وكان آخر حاكم إسلامي كبير يقف في وجه الإنجليز وقفة صلبة. ولم يلبث أن توسع الإنجليز بسرعة في الهند، ليضعوها بأسرها تحت سيطرتهم المباشرة بعد أن قضوا على مقاومة المسلمين والإمارات الهندوسية[2].

---

(١) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي: جـ٢، ص ١٧٢، وانظر بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية: ص ١٠٦ - ص ١٠٧.

(٢) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١، ص ٢٦٢.

وهكذا أصبحت الشركة الإنجليزية «السلطة العليا» ببلاد الهند، واستطاع البريطانيون في مدى مئة عام أن يؤسسوا بحد السيف سلطتهم بلا منازع. غير أن الشعب الهندي لم يخضع بعد. ولم تكد قدم الحكم البريطاني تستقر في بلاد الهند، حتى أخذت بريطانيا تتوسع على حساب جاراتها في بورما وسنغافورة وملقا وجاوة ثم تخلت عنها[1].

مما لا شك فيه أن الحكم الإنجليزي قد أسفر عن وجهه الاستعماري البشع بعد سيطرته على الهند، فاستأثرت شركة الهند الشرقية بكل خيرات البلاد، وسلبوا الأمراء والسلطان حق الحكم، وفقد المسلمون مركزهم السياسي في الحكم وخاصة بعد استئثار بريطانيا بالحكم. كما أخذ الإنجليز جانب الهندوس وأطلقوهم ضد المسلمين يهزءون بدينهم، ويسومونهم سوء العذاب، وتوالى ذلك في أكثر من مكان، وكان السيخ والمهراتا بالذات شديدي الوطأة على المسلمين. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل كان هناك الكثير من المذابح التي راح ضحيتها الألوف من المسلمين بسيوف المهراتا والسيخ، دون أن يجد المسلمون من الإنجليز محاولات واضحة لوضع حد لهذا التقتيل الذي لا مبرر له. وأدرك كثير من علماء المسلمين أن هناك اتفاقا غير مكتوب بين الإنجليز والسيخ لإفناء المسلمين بالمذابح. وعمل الإنجليز دون جدوى على تحويل المسلمين عن دينهم، ولم يعنوا بتعليم أبناء المسلمين أو حتى الإبقاء على أساليب التعليم التقليدية سائرة في طريقها، بل عملوا على تعطيل التعليم الإسلامي في الكتاتيب والمساجد والمدارس. كما استولوا على الأوقاف الخيرية الإسلامية الممولة لتلك المدارس والكتاتيب. وفي الوقت نفسه فتحوا أبواب التعليم أمام الهندوس بصفة خاصة على أسس إنجليزية، ونتج عن ذلك ظهور عدد من

---

(١) بانيكار: المصدر السابق: ص ١٠٨ - ص ١١٠.

الهندوس القادرين على المشاركة في الدواوين الحكومية جنباً إلى جنب مع الإنجليز، بينما لم يفز من المسلمين بتعليم راق سوى عدد ضئيل جدًّا بالنسبة للهندوس. لقد أيقن الإنجليز أنه لا يمكن تحويل مسلم عن دينه، فركزوا على تعليم أبناء الهندوس تعليماً نصرانياً، فأثار هذا أشجان المسلمين ودعاهم إلى التحرك دفاعاً عن أنفسهم، وخاصة بعد أن قرر الإنجليز أن (بها دور شاه) هو آخر شخص مسلم يحمل لقب سلطان، وأن من سيأتي بعده سيكون موظفاً لدى بريطانيا له مرتبه ومخصصاته[1].

أدت هذه المشاعر الدينية المتأججة إلى ظهور عدد من العلماء يعملون على تقوية الدين الإسلامي في قلوب الناس، وحثهم على التمسك بأهدابه وقوانينه، وحثهم على التكاتف ضد قوى الإبادة المسلطة عليهم. فخرجت من هذه الدعوات نداءات تدعو إلى امتشاق الحسام دفاعاً عن المسلمين من سيوف السيخ والمهراتا، وإنقاذ الهند من التسلط البريطاني. وكان من الدعاة سيد أحمد المشهور بالشهيد الذي نادى بالعودة إلى نقاوة الدين الإسلامي، وتوحيد قوى المسلمين ضد العدوان الإنجليزي وعدوان السيخ، وخاض المسلمون سلسلة من المعارك ضد السيخ حتى خففوا كثيرا من ضغطهم على المسلمين. ولكن الجبهة الإسلامية كانت ضعيفة ومفككة، ولذلك كانت حركتها محدودة لكنها أيقظت الوعي في نفوس المسلمين خاصة بعد استشهاد عرفان الشهيد سيد أحمد في ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م[2].

كان هذا السخط السياسي والديني يوجه واقع اقتصادي مؤلم، فقد دمرت إنجلترا أسس النظام الاقتصادي، فحطم الإنجليز الاقتصاد، ودمروا الأنوال

---

(١) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي : جـ١، ص ٢٦٣.
(٢) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ١٩، ص ٢٥ - ص ٢٧.

والمغـازل الهنديـة، ومنعوا المنسـوجات القطنيـة الهنديـة من أسواق أوروبـا، ثم شرعت تصـدر الخيـوط القطنيـة والمنسوجـات القطنيـة إلى الهنـد. كما أن العلم الحديث واستخـدام الآلة البخـاريـة قد دمـرا الـرابطة بين الـزراعـة والصناعـة الحرفية[1].

وعلى العموم فقـد كان هنـاك سخط عـام في الهند على الـوجود الاستعماري، ولكن البلاد كـانت مفككة، ولم يكن هنـاك زعيم يستطيع أن يوحدهـا بشعبيها الإسلامي والهندوسي في حركة عامة ضـد الإنجليز. ولكن الفكرة كانت موجودة في مناطق المسلمين الشمالية. ولهذا كـانت تلك المناطق تنتظر ظـرفا ملائما لكي تثور، وهناك حركات سرية تبث منشـورات تدعو للثورة. وكانت تحث الطوائف كافـة على التحرك ضد العـد المشترك الإنجليز، وبدأت الثـورة من مكان لم يكن يتوقعه العدو[2].

الثورة على الإنجليز ١٨٥٧م:

بدأ الجنـود المسلمون في الجيش البريطاني المعسكـرون في ثكناتهم في (ميرت) الثورة في شوال ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م، وكـان السبب المباشر لثورتهم إرغامهم على أن يقطعوا بـأسنانهم قطعا من دهـن مركب من دهـون الخنازير والبقـر لتشحيم بنادقهم. والمعـروف أن المسلم محرم عليه تذوق دهن الخنزيـر وأن الهندوسي محرم عليه تذوق دهن البقر. ومع هذا تمادى الضبـاط الإنجليز في عقاب الجند الذين تذمـروا، ولم يلبث الجند أن انقضوا على ضباطهم وقتلـوهم، وانطلقوا إلى دلهي معلنين الثورة، وسرعـان ما انتشرت الثورة بسرعة كبيرة في أنحـاء البلاد. غير أن الثورة قـد فقدت التخطيط والقيـادة المنظمة، فـاتجه الثوار إلى السلطـان المغولي «بهـادور شاه» ليقود الثورة وليعملوا على إحيـاء الدولة المغولية، ولكن السلطان

---

(١) بانيكـار: المرجع السابق: ص ١٦١ - ص ١٦٢.

(٢) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١، ص ٢٦٤.

كان ضعيفا وغير كـفء لقيادة الثورة، فانقض الإنجليز على معـاقل الثوار غير الموحدة وأجهـزوا عليها، وألقـوا القبض على السلطان وأخـذوه أسيراً ثم نفوه إلى رانجون في بورمان. وتلا ذلك انقضاض الإنجليز والسيخ على المسلمين، فقتلوا مئـات الألـوف وأحـرقـوا المدن والأسرى، فكـانت أبشـع مـذبحـة يـدبـرهـا الإنجليز[١].

ويعزى فشل الثورة إلى عدم تنظيمها، وتوحيد قواها، واقتصارها على المناطق الشماليـة، ووقوع خـلاف بين زعماء الثـورة، وانضمام السيخ إلى الإنجليز. وإثـر انتهـاء الثـورة حلت إنجلترا شركـة الهند الشرقيـة، وجعلـوا من الهنـد مستعمـرة بريطانية تابعة للتاج البريطاني مباشرة، وكان الإنجليز يخشون من المسلمين كثيرا ويحقـدون عليهـم صليبيـا، إذ إنهم يعلمـون أن المسلمين إذا دعـوا إلى الجهـاد الإسـلامي يستطيعـون إخراجهم، لـذا عملـوا على إيجاد فئـة مواليـة لهم تكـون مهمتهـا إلغـاء الجهاد فكـانت دعـوة القـاديـانية التي قـام بها ميرزا غـلام أحمد القادياني، مدعيا النبوة والتي دعا فيها إلى طاعة الحكومة البريطانية. واستفادت بـريطانيـا من ذلك بإيقـاع الفـرقـة والخلاف بين المسلمين، واستعان الإنجليـز بـالقاديـانيين كجـواسيس لهم ضد المسلمين وقـربـوهم منهم، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل[٢].

الاستعمار البريطاني المباشر للهند ١٨٥٨ – ١٩٤٧م :

خضعت الهند خضـوعاً مباشراً للحكـم الإنجليزي بعد القضـاء على الثورة، وبـدأت الهنـد البريطـانية تلك المرحلـة وهي في مـركـز مستعمـرة، ولم تلبث أن تطورت إلى إمبراطـورية كـانت خاضعة لسلطـات لندن، وسرعـان ما أصبحت

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٦٥.

(٢) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ١٩، ص ٢٩ – ص ٣٠.

مصالح الإمبراطورية البريطانية في الهند عاملا مهما في تشكيل سياسات الإمبراطورية، فقد كان كثير من اتجاهات السياسة البريطانية ببلاد الصين وفارس وأفغانستان تحدده اعتبارات أمن الهند وسلامتها أو ما كانت بريطانيا تعدّه آنذاك مصلحة الهند[1]. على أن هذا التحول لم تكن له بشعب الهند إلا أوهن الصلات أثناء فترة التوسع الاستعماري، هذا التحول قد أصبح له أثره يوم ظهور الوعي الوطني الهندي.

وقد وضعت السلطة الحاكمة للهند بعد عام ١٨٥٨م في يد البرلمان البريطاني الذي كان يشرف على حكومة الهند ويديرها ويهيمن عليها، بوساطة وزير مسئول، ولقد كانت حكومة الهند حتى عام ١٩٤٧م أداة بيد حكومة لندن وفرعا من فروعها، فكل القرارات والقوانين يرجع إليها في لندن للبت فيها، بل كانت هذه القرارات تتخذ في لندن.

وكان الوزير البريطاني في الهند هو المسئول عن تعيين الموظفين من الإنجليز في الهند، حيث اقتصرت الوظائف على الإنجليز، وهناك هيئة ضخمة من الموظفين الهنود تعين على أساس إقليمي، ومن خلال هذه الهيئة كانت سلطة الحكومة تمتد وتنفذ إلى عامة الناس. على أن الهيمنة والضبط ظلا في يد الموظفين الأوروبيين دون غيرهم. واتبعت طريقة مماثلة لهذه مع رجال الشرطة الذين كان رؤساؤهم من ضباط وصف ضباط في الخدمة العامة للهند يؤخذون من إنجلترا، على حين كانت تقوم بالأعمال الأقل أهمية هيئة إقليمية للشرطة تجمع من أهل البلاد.

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ١٤٩ - ص ١٥٠.

وكان الدفاع عن الهند تحت إمرة قائد عام يعين من إنجلترا مباشرة. وكانت القوات تتكون من جند من الهنود الذين لم يكن يتولى رتب الضباط بينهم إلا الأوروبيون فقط. وقد حاولت حكومة الهند استرضاء الجنود وكسب ودهم حتى لا تنتقل إليهم عدوى الأفكار السياسية في الحرية والاستقلال، ولم تكن سياسة «فرق تسد» التي اتبعتها بريطانيا ومارستها ضد الشعب الهندي للتفريق بين الهندوس والمسلمين تمارس بوضوح، كما كانت تمارس الامتيازات لدى الطبقات الأوروبية[١].

وخلال الحكم البريطاني المباشر وضعت بريطانيا الشئون الاقتصادية الهندية بأيد بريطانية، فكانت الهند سوقاً احتكارية تجارية لبريطانيا أثناء فترة توسعها وازدياد نشاطها الصناعي، وتمكنت المصالح البريطانية من أن تفرض على الصناعة المحلية ضريبة لتحرمها من أثر وقاية تعريفة جمركية حتى تسهل لبضائعها الإنجليزية غزو أسواق الهند ومضاربة الصناعة المحلية الهندية والقضاء عليها. كما قامت الشركات الإنجليزية بإنشاء السكك الحديدية لتسهيل نقل البضائع، كما دخل رأس المال البريطاني لتمويل المزارع الكبرى، وكان الأوروبيون يمتلكون مناطق واسعة من الأراضي لزارعتها، وكان المزارعون الهنود يعملون في الأرض وكأنهم عبيد أو رقيق الأرض، ونشأ نظام شبه إقطاعي[٢].

ولم تكن مصالح الاحتكار البريطاني قائمة على المزارع الكبيرة، بل امتد ليشمل بناء السفن وإنشاء البنوك والتحكم في التجارة وإنشاء الصناعات ببلاد الهند. وكانت صادرات الهند هي المواد الخام، وظلت الهند طوال القرن التاسع عشر على هذه الشاكلة سوقاً للبضائع البريطانية، فضلا عن كونها على رأس

---

(١) بانيكار : المرجع السابق : ص ١٥١ – ص ١٥٢.

(٢) Tompson & Garet : British Rule in India, p. 474.

القائمـة في تزويد الصنـاعات البريطانيـة بالمواد الخام كالقطن والشـاي والمطاط والبن وغير ذلك من الثروة الحيـوانية والمعدنيـة ، ونتج عن ذلك أن الهند ازدادت فقراً نتيجة لاستنزاف الثروة من البلاد (١).

ولم يقف الأمر عنـد هذا الحد ، بل خـرج الأوروبيون عـامة والإنجليـز بصفة خـاصة بنظـرية التفـوق العنصري ، واعتقـادهم أن كل أوروبي بالهنـد له تفـوق عنصري دائما لا يقبل التحول ، وأن كل إنجليـزي في الهند من أعلاهم مـرتبة إلى أدنـاهم مـرتبـة ينتمي إلى جنس كتب لـه أن يحكم الشعـوب الأخـرى ويسيطـر عليها . ونتيجة لهذه النظرية العنصرية لم يكن بمقدور الهندي أن يصل إلى درجة ضابط في الجيش أو الشرطة أو إلى وظيفة مدنيـة مهمة ، فكانت الحياة الاجتماعية تباعد بين الأوروبيين وبين الهنود وتعزلهم عنهم ، ويحرم على الهنود دخول الأماكن التي يرتادها الأوروبيون ، كما أن حياة الهنود تعتبر رخيصة (٢). وظلت العنصرية مبـدأ رسميا لمدة أربعين سنـة أخرى وإن أخـذت في التنـاقص ، ونتيجة لـذلك ولمبدأ التفوق الجنسي كان الأوروبيون يظلون أغـراباً عن الهند مهما طالت إقامتهم بها .

واستطـاعت بـريطـانيا أن تقيـم أنظمة إداريـة في الهنـد متطـورة ، وأن تنشر مجموعة من القوانين شملت البلاد كلها ، وأنشـأت جهازا قضائيا ، وسنت قانون الضرائب ، ووضعت نظـامـا خاصـا بـالأراضي ووضعت خططـا ضخمة للـري فزودت المزارع بما يلـزمها من المياه ، وأنشأت شبكـة من الطرق بهدف استراتيجي غير أنها كانت تـربط المناطق المختلفة ، وتسـاعد على نهوض التجارة وازدهـارها أساسا ، ومنحت الهنـد الجهاز اللازم للدولة العصريـة بفضل السكك الحديدية والبرق والمواصلات وفتحت الجامعات والمعاهد الفنية (٣).

---

(١) Tompson and Garet : op. cit., p. 536.

(٢) Tompson and Garet : op. cit., p. 536.

(٣) Panikar, K.M. : Indian states and the government of India, p. 470 - 490.

كما أصدرت الحكومة البريطانية قانون المجالس الهندية عام ١٨٦١م للقيام بأغراض تشريعية، وممن عينوا على هذا الأساس في عام ١٨٦٢م ثلاثة من الهنود. وتأسست في الولايات مجالس مماثلة لهذه. وأخذ في عام ١٨٩٢م بمبدأ الانتخاب غير المباشر للتمثيل في تلك المجالس، وأعطيت حق مناقشة الميزانية وتوجيه الأسئلة في المسائل المتعلقة بالمصلحة العامة. وهذا الإصلاح وإن كان قليلا نسبيا، فإنه منح الناس نصيبا في سن القوانين. وقضت الإصلاحات بأن تكون بمجالس الوزراء المركزية والإقليمية أعضاء من الهنود وللمرة الأولى وبلغ عدد أعضاء المجلس التشريعي من الهنود عام ١٩٠٩م حوالي ٢٧ عضواً [١].

وأدى ذلك إلى تطوير الحكم الذاتي، ومبدأ عمل قوائم انتخابية منفصلة للمسلمين. وهو مقدمة لنظرية وجود شعبين بالبلاد. وهذا الإصلاح وضع أساس الحكم الشعبي بالهند بإنشاء نظام من لجان الأحياء وسلطات البلديات التي فيها للعنصر الشعبي الخبرة الحقيقية الأولى بشئون الإدارة. وكان وجود هذه النظم هو الذي مكن الهيئات التشريعية بالولايات من أن تقوم بعملها في يسر وسهولة، وذلك لأنها كانت هي الجهات الانتخابية التي كانت تختار الأعضاء للهيئات الإقليمية. وكان نمو أنظمة الحكم الذاتي المحلي هو الذي درب السكان الريفيين على استخدام الأنظمة التمثيلية، وبذلك أصبح حجر الزاوية في الديمقراطية الهندية التي أعقبت ذلك [٢].

وكان نظام إنشاء دوائر انتخابية خاصة بالمسلمين أول تعبير عن النظرية القائلة بقيام أمتين، وتلك سياسة تهدف من ورائها بريطانيا للفصل بين المسلمين والهندوس انطلاقا من سياستها «فرق تسد». وذلك لضمان استمرار السيطرة البريطانية بالهند. وكان نظام الدوائر الانتخابية المنفصلة يقضي بألا

---

(١) بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ص ١٦٠ - ص ١٦٢.

(٢) المرجع السابق.

يمثل المسلمين إلا المسلمون الذين لا ينتخبهم إلا الناخبون المسلمون، وفوق هذا لا يجوز لمسلم أن يمثل دائرة انتخابية هندوسية والعكس بالعكس. وأدى ذلك إلى وجود خلافات بين المسلمين والهندوس وأدت في نهاية الأمر إلى تقسيم الهند إلى دولتين هما الهند (للهندوس) والباكستان (للمسلمين) [١].

ومما لا ريب فيه أن الهند قد استفادت من هذه التنظيمات بأنها أصبحت ذات جهاز إداري كفء يتولى الحكم. حيث كانت حكومة الهند تعمل على رسم سياسة الحكومة، وخلقت لنفسها تقليداً عاماً وروحاً جماعية ألفت بينهم، كما اتخذوا موقفاً عاماً إزاء الهند لأنها البلد الذي يعيشون فيه ويقومون بتسيير أعمال الدولة، فرجال حكومة الهند البريطانيون أصبحت لهم أطماع لمناهضة سياسة حكومة لندن والتركيز على مصالحهم الخاصة التي كانت حكومة لندن لا تقرها. ونتج عن ذلك نزاع بين حكومة الهند ويمثلها الموظفون والهيئة الإدارية، وبين وزير الهند الذي يمثل سياسة الحكومة البريطانية [٢].

وأدركت بريطانيا أن مركز الهند يجعل منها كياناً إمبراطورياً، ودولة برية عظيمة يشع منها سلطان بريطانيا إلى جميع أجزاء آسيا. ذلك أن تحويل حكومة الهند إلى إمبراطورية لم يكن مجرد تحويل بالاسم أو اللقب فقط. فإن الهند كانت قد بدأت تلعب دوراً في شئون جيرانها مثل أفغانستان وبورما وفارس وغيرها. وأدرك رجال الحكومة البريطانية أن الهند تحوي موارد ضخمة وأن في إمكانهم إنشاء جيش عظيم وجهاز إداري كفء، وأن يكون لهم صوت مسيطر على شئون آسيا. فتغلغل النفوذ البريطاني في الصين وفي أفغانستان، وضمت بريطانيا بورما، وأسست بريطانيا سلطانا متفوقا على كل بلاد الخليج وبحر

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ١٦٣ - ص ١٦٥.

(٢) المرجع السابق: ص ١٦٥.

العرب وأصبحت الهند منذ عام ١٨٧٥م دولة إمبراطورية وأسست مركز نظام سياسي بجنوب آسيا[١].

وهكذا فإن إمبراطورية الهند كانت بناء سياسيا أقامته بريطانيا، وامتد من عدن إلى هونج كونج[٢]. وقد فشل البريطانيون في كسب ود الشعب بالقارة التي حكموها ونتج عن ذلك عدم الثقة بين الإنجليز والهنود؛ لأن سياستهم كانت تقوم على الاستعلاء والطبقية.

وكانت الحكومة البريطانية قد أنشأت حزب المؤتمر الوطني عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م على أن يتبادل رئاسته مسلم وهندوسي، وكان حزب المؤتمر في البداية يحترم شعور المسلمين حتى دخلت فيه أعداد منهم بل وجماعات، ثم أظهر فيما بعد عكس ذلك، فنادى بتخليص الهند من الغرباء كالإنجليز. وكانت بريطانيا تهدف من وراء إنشاء حزب المؤتمر إلى دمج العناصر في شعب واحد للقضاء على المسلمين والعمل على النهوض بالهندوس من أجل التعاون بين بريطانيا والهند[٣].

طالب الشعب الهندي بالاستقلال، وقاد المؤتمر الهندي الحركة التحررية لتخليص الهند من الاستعمار البريطاني تدريجيا، فعملت بريطانيا على إثارة الفتنة بين المسلمين والهندوس بتقسيم البنغال بين المسلمين والهندوس الأمر الذي رفضه الهندوس بحجة إعطاء المسلمين حقوقا ليست لهم. ومن هنا أدرك المسلمون أن المؤتمر الهندي هو مظهر من مظاهر التسلط الهندوسي على المسلمين، وأن على المسلمين أن يؤسسوا لأنفسهم هيئة تدافع عن مصالحهم

---

(١) Leton, Lord, Indian Administration, p. 347 - 358.

(٢) Bullard, J : Britain and the Middle East, London 1951, P. 90.

(٣) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي : جـ١، ص ٢٦٦.

ضـد المؤتمر الهندي وضـد الحكم البريطاني، فـأنشأ المسلمون «حـزب الرابطـة الإسلامية» في دكـا سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وظلت الرابطـة الإسلامية محدودة النشـاط حتى انضم لها محمد علي جنـاح عضـو المؤتمر الهندي عـام ١٩١٤م، وكان يعمل من قبل للتوفيق بين الطرفين (١).

وخلال الحرب العـالمية الأولى قـويت الدعـوات إلى استقلال الشعـوب سواء قبل صدور مبادئ الرئيس الأمريكي ولسـون الأربعة عشر أو بعدها. ولكن هذه المبادئ ألهبت حماس الشعـوب المهيضة الجناح. واتجهت الحركـة الهندية بزعـامة غاندي إلى الضغط على بريطانيا من أجل استقلال الهند، وفي الجانب الإسلامي الهندي كـان المسلمون الهنود يسعـون كذلك إلى تحرير الهنـد من الإنجليز، وإلى إنقاذ الخلافـة العثمانية الإسلاميـة، ولعلهم رأوا في سقوط الخلافة سقـوطاً لهم في أعين كل من الإنجليز والهندوس (٢).

وكـان المسلمون مستـائين أشـد الاستيـاء لقسوة شروط الصلـح المقدمـة إلى الأتراك في معاهـدة الصلح، كما أنهم كانوا غيرا راضين عن الإصـلاحات، ولذا فإن الجميع قـد هـاج ومـاج، وقضت الحكـومـة البريطـانيـة على الثـورة بقـوة السلاح، فزاد غضب الشعب، وهاجم محمد علي جناح الإنجليز، كما هاجمهم غانـدي الذي نـادى بالمقـاطعة السلميـة والعصيان المدني. إذ أدرك غـاندي أن بريطانيا في حاجة إلى الهند لتسـويق بضائعها والحصول على المواد الأولية اللازمة لصناعـاتها. فأراد غانـدي اللجوء إلى سياسـة المقاطعـة للتأثير على بريطـانيا في تحقيق مطالب الشعب الهندي في الاستقلال (٣). غير أن محمد علي جناح انتقد سيـاسة غـانـدي، واعتبر أنها تضر بالشعب الفقير أكثـر ممـا تضر بالإنجليـز،

---

(١) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : المرجع السابق : ص ٣٦٦.

(٢) المرجع السابق : ص ٣٦٧.

(٣) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية : ص ٢٨٢.

وطالب بإنشاء مصانع هندية لكي تقف أمام المصانع البريطانية . وانتقد غاندي كـذلك لأنـه يسير في طـريق هنـدوسي واضح لا يمكن أن يحفظ للمسلمين حياتهم وأرواحهم وعقيدتهم من تعـديـات المتعصبين من الهندوس . واشتـدت معارضـة محمد علي لغـاندي بسبب ارتبـاط حزب المؤتمر ببريطـانيا ، ولهذا وضع محمـد على جنـاح مبادئه الأربعـة عشر التي تتضمن سن دستـور للهنـد وتحقيق المساواة في المقاطعات ومنح المسلمين حقـوقهم وامتيازاتهم كالهندوس مع ضمان الحرية التامة للمسلمين في إقامة شعائرهم الدينية وغير ذلك من البنود الأخرى . غير أن زعماء حزب المؤتمر رفضـوا ذلك ، وانفصل الحزبان عـن بعضهما : حزب المؤتمر وحزب الرابطة الإسلامية (١).

وقامت بريطانيا بعدة إصلاحـات منها استقلال المالية في الهند ، وتطبيق مبدأ سياسة الحماية الجمركية والتمييز على أربـاب الصناعة الهندية . وبذلك سمحت هذه السياسـة لتطور الهند صناعيـا ، وأنشأت كذلك المصرف الهندي لتخليص الروبيـة الهنديـة من سيطرة سوق لنـدن . كما قامت الحكـومة الإنجليـزية بمنح الضباط الهنود رتبا عسكرية ، وطـالبت الأحزاب بتهنيد الجيش ، وأنشأت بحرية ملكية هنـدية وقـوة جوية هنـدية في عام ١٩٢٤م كما أن القـوات العسكريـة قد غلب عليهـا الطـابع الهنـدي . وفي مجال الإدارة المدنيـة تمكن الهنـود بـالضغط السيـاسي من الحصـول على خمسين في المئـة مـن عـدد الـوظـائف في المنـاصب الكبـرى (٢).

واستمرت الأحـزاب الهندية في مطـالبتها بالاستقلال ، فـدعت بريطانيـا عام ١٩٣٠م إلى عقـد مؤتمر المائدة المستـديـرة بلندن ، وطـالـب المسلمـون بوجـوب

(١) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : المرجع السابق : ص ٢٦٨ .
(٢) بانيكار : المرجع السابق : ص ٢٨٣ - ص ٢٨٤ .

تضمين الدستور النص على كفـالة حقوقهم ، ونتيجة لاستمرار المطـالبة والحركة التحررية في الهند ، اضطرت بريطانيا إلى إصدار دستور عام ١٩٣٥م الذي يقوم على وضع صيغـة لإنشـاء اتحاد فيـدرالي يقـوم على اتحاد المقـاطعـات التي تتمتع بالحكـم الذاتي . ورفض حـزب المؤتمر ذلك لأنه لا يـريد أن يمثل المسلمـون فيه بأغلبيـة مهما كان الثمن ، كما رفض المسلمـون من جانبهم هـذه الإصلاحـات ، وطالبوا بدولة مستقلـة . وأخيرا في عام ١٩٤٧م حصلت الهند على استقلالها بعد أن فصلت عن المناطق الحاوية لغالبية المسلمين لتكوين دولة باكستان الجديدة ، وذلك في ٥ من أغسطس ١٩٤٧م ، واختير غـانـدي رئيسـاً للهنـد ، كما اختير محمد علي جناح زعيماً لباكستان [١] .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٨٦ .

الفصل الثالث

تاريخ الصين الحديث

الصين دولة واسعة تزيد مساحتها على تسعة ملايين كيلو متر مربع، وتقع في شرقي قارة آسيا، ويزيد عدد سكانها على ألف مليون نسمة، وبذا فهي أول دول العالم سكاناً، وثالثتها مساحة بعد روسيا وكندا، ويسكن فيها أكثر من مئة مليون من المسلمين بحيث تشكل نسبتهم ١٠٪ من مجموع السكان[١].

كانت إمبراطورية الصين تضم عدا ولاياتها الثماني عشرة مناطق منشوريا ومنغوليا وتركستان والتبت، وكانت كوريا وفيتنام وبورما تتبع إمبراطورية الصين.

لمحة تاريخية:

يرجع تاريخ الإمبراطورية الصينية القديم إلى عام ٢٥٩٣ ق. م حين هاجر الصينيون - وهم تتر من الجنس المغولي - فما طلع القرن العشرون قبل الميلاد حتى كانوا قد استقروا في الصين، وأصبحت لهم حضارة راقية وكتابة ونظام ملكي إقطاعي عاصمته نانكين، فلما تعرضت لغارات الهون (البدو) من منغوليا في القرن الثالث ق. م أقامت في عهد إمبراطورها المشهور شي هوانج تي (٢٢٤٦ ق. م - ٢٢١٠ ق. م) سد الصين المشهور الذي يمتد في شمالها بطول يزيد على ثلاثة آلاف كيلو متر. لكن هذا السد لم يمنع المغول من غزو الصين في أوائل القرن الثالث عشر بقيادة جنكيز خان، ثم حفيده قبلاي خان، وسيطر المغول على الصين واتخذوا من بكين عاصمة للبلاد. غير أن أسرة منج الوطنية قد أخرجت المغول من البلاد بعد قرن ونصف القرن. ولم يستمر الحكم لهذه الأسرة، فقد سيطرت أسرة أجنبية جديدة جاءت من منشوريا - وهي أسرة

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: الأقليات الإسلامية: جـ ٢٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٣٦.

منشـــو - وظلت في الحكم حتى طـــرق الاستعمار الأوروبي الغـــربي أبـــواب الصين[1]. واستمرت هـذه الأسرة من عام ١٦٤٤ - ١٩١١م وتـلا ذلك العهد الجمهوري ١٩١١ - ١٩٤٩م، وأخيراً الحكم الشيوعي.

وقـد كـانت بـلاد الصين ذات تـركيب مـزدوج سيـاسي واجتماعي ولكنهما منفصلان بتأثير كـونج فوتسي (كونفـوشيوس) حكيم الحكماء الـذي أسس منذ القرن الخامس ق. م الـديانـة الصينية، وحـدد الأخلاق الفاضلـة أساسـا لحياة الإنسان حياة مطمئنة آمنة.

أما النظـام السياسي فهو نظـام مطلق إمبراطوري، فـالإمبراطور «ابن السماء» والد رعيته، فهو يحتكـر السلطات السياسية والحرية الدينيـة المطلقة، فهو سيد كل شيء، ويعيش في بكين منعزلا لا تراه الرعية في قصور كأنها مدينة قائمة على حدة (المدينة الحرام).

ويمارس الإمبراطـور سلطتـه بـواسطة جهـاز إداري يضم الحكـومـة وحكـام المقاطعـات والأقضية والنواحي والموظفين، ويسـاعد الإمبراطـور مجلس خاص يتكـون من ١٦ عضـواً منهم ٩ من منشـوريـا و٧ من الصين. وتنقسم دواوين الحكـومة إلى ستـة يديـرها وزراء للحـرب والعقـوبات والـداخلية والتشريفـات والخارجيـة والأشغال. أمـا حكومـات الأقـاليم فيقوم عليهـا حـاكم هو نـائب الملك، ويحكم كأنـه إقطـاعي مستقـل يجبي الضرائب ويـؤسس الجيش ويحفظ الأمن ويرسل الجزية السنوية إلى بكين.

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي: العالم الحديث، دمشق ١٩٥١م، ص ٣٨٧.

أمـا النظام الاجتماعي في الصين فيستنـد على حضارة زراعيـة أسرية مسـالمة ، وليس هناك طبقات متميزة أو لها امتيازات خاصة كطبقة النبلاء أو طبقة الجن أو طبقة الكهنـوت . ولكن المجتمع كله مؤلف من فـلاحين ٨٥٪ منهم يعيشون في المقـاطعـات و يعملون بـالـزراعـة ويحبون أرضهـم . وتجتمع العائلـة على عبـادة الأجداد التي توحد مع العادات الخلقية بين البلاد . وشعب الصين شعب مسالم و يكـره الحرب . وعـلاوة على ذلك فإن عـدم وجـود حضـارة راقيـة قـريبـة من الصينيين جعلهم يكـرهـون الأوروبيين في القـرنين السـابع عشر والثـامن عشر، وجعلهم يعتقـدون أنهم أرقى النـاس وأنهم حقـا أبنـاء السماء، والأجـانب شياطين[1] .

والحضارة الصينية بمكتشفـاتها العلمية (البوصلة والبارود والطبـاعة والورق) و بتفوقهـا الفني حازت إعجاب النـاس ، ولكنها لعدم اتصالها بـالخارج وتبادلها معـه انحطت . كما أن الرشـوة والفساد قـد تفشيا في الجهـاز الإداري ، ونتج عن ذلك الابتـزاز والسرقـة ، وانعدم الأمن والنظـام ممـا جعل البـلاد مهيئة لانتشـار الإسلام[2] .

انتشـار الإسـلام :

وصل الإسلام إلى الصين عن طرق ثلاث :

١ – طريق الفتح : وهو ما يخص تـركستان الشرقية التي تقع في الغرب ، ومع أنها تقع ضمن العـالم الإسـلامي إلا أنها اليـوم تخضع للصين، ويعيش سكـانها أقلية فيها .

٢ – طريق الـدعوة والانتقال في المناطق الـداخلية وخاصة الجهـات المجاورة لتركستـان الشرقية ، وربما كـان العهـد المغولي أكثـر العهـود لانتشار الإسـلام في المناطق الداخلية من الصين .

---

(١) شاكر مطفى وأنور الرفاعي : التاريخ الحديث : ص ٤٠٠ .

(٢) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : المرجع السابق : ص ٤٠١ .

٣ – طريق الدعوة والتجارة البحرية في المناطق الساحلية .

فتح المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي تركستان الشرقية ودخل مدينة كاشغر عام ٩٦هـ/ ٧١٤م، وتبعت هذه المنطقة الدولة الإسلامية حتى ضعف أمر المسلمين، وهذا ما شجع الصين على غزو تركستان، وتمكنت من دخولها بين عامي ١١٤٩هـ - ١١٩٩هـ/ ١٧٣٦م - ١٧٨٤م، وأطلق عليها اسم «سنكيانج»، واستمرت حركات المقاومة فيها وكلها ضد الصين وتطالب بالاستقلال، ولكن الصين أخضعت جميع هذه الحركات بالقوة وذلك بمساعدة روسيا[١].

وانطلق المسلمون من تركستان الشرقية لدخول الصين تجارا ودعاة، حتى وجدت جاليات إسلامية كبيرة في بعض المدن مثل مدينة يانج تشو، وقامت ثورات ضد الحكم الصيني. وزاد نفوذ المسلمين في عهد المغول، فاحتل بعض المسلمين مراكز مهمة في عهد قبلاي بن جنكيز خان، حيث بلغ عدد حكام المسلمين ثمانية من أصل اثني عشر حاكماً في الصين، واستمر وضع المسلمين في عهد أسرة منج، ولكنه تغير في عهد الأسرة المنشورية، فقاموا بحركات معادية وبعضهم تأثر بعادات وتقاليد أهل البلاد وضعف شأنهم في الصين، ومع ذلك استمر المسلمون في المحافظة علي عاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم، مما جعل حكام الصين يشعرون بأن المسلمين لا يدينون لهم بالولاء والاحترام، واستمر المسلمون يتبوءون المراكز العليا لتقدمهم فكريا وثقافيا وماديا على أتباع الديانات الأخرى من بوذية وكونفوشية. فزاد في حقد حكام الصين على المسلمين، فقامت حركات إسلامية مناًوئة لحكام الصين، ونتج عن ذلك أن قضي على هذه الثورات والحركات الإسلامية .

---

(١) محمود شاكر : العالم الإسلامي : جـ٢٢ ص١٣٨ – ص١٤٠ .

كما وصل المسلمون إلى الصين عن طريق البحر، وقد اتجهوا إليها تجارا ودعاة، بل كان التجار هم الدعاة، وما كانت التجارة إلا وسيلة للسفر والاتصال بالناس كي يدعوهم إلى عبادة الله، وكانت مدينة كانتون أول مكان استقروا فيه، ومنها توغلوا إلى الداخل، فوصلوا إلى مدن تشوان تشو ويانج تشو وهانج تشو على ضفاف نهر يانج تسي. ووصلت بعثات إسلامية إلى الصين في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وكانت للمسلمين حياتهم الاجتماعية والسياسية الخاصة بهم، فبنوا المساجد والمدارس، وأصبحوا يشكلون نسبة من السكان حتى إن الصين اعترفت بالعنصر الإسلامي كأحد العناصر الخمسة المكونة للدولة وهي : العنصر الصيني، العنصر المنشوري، العنصر المغولي، العنصر الإسلامي، عنصر التبت. ومن ثم كان العلم الصيني مؤلفا من خمسة ألوان هي : الأحمر، والأزرق، والأصفر، والأبيض والأسود، ويشير اللون الأبيض إلى المسلمين، وكانت بعض المؤسسات الإسلامية تؤدي دورها مثل جمعية التقدم للمسلمين وجمعية الأدب الإسلامي واتحاد المسلمين وغيرها[١].

الاستعمار البرتغالي والصين :

منذ أن استتب الأمر لنفوذ البرتغال وسيطرتها على مضيق ملقا، أصبح المحيط الهادي مليئاً بالسفن الأوروبية. وفي هذه الأثناء لقي البرتغاليون كثيراً من الصينيين سمعوا منهم عن ثراء الصين وتجارتها الضخمة. فقام رافائيل بيرستوللو البرتغالي الأصل بزيارة إلى الصين عام ١٥١٦م، وعاد بعد رحلة شاقة مليئة بالمغامرات، وتلاه آخر هو جورجي ماسكارتاس حيث زار ميناء تشوانج تشاو، وتاجر مع التجار الصينيين. وقد أقنعت المعلومات التي جمعها المكتشفان البرتغاليان السلطات البرتغالية بفائدة فتح باب التجارة مع الصين.

---

(١) محمود شاكر : العالم الإسلامي : جـ ٢٢، ص ١٥٢ - ص ١٥٥.

وأعدت لـذلك الغرض بعثـة سياسية، بـرئاسة فرنـاند دانترادي رئيس القـاعدة البرتغاليـة في ملقا، ووصـل إلى كانتون ومعـه رسالـة من ملك البرتغـال، وكان يحمل شحنة من الفلفل وهـي سلعة مطلوبـة في الصين، ولقي السفير استقبالا حسنا، كما سمح الموظفون بكانتون للمبعـوث أيضا ببيع ما معه من فلفل وشراء ما يلزمه من البضائع الصينية بدلا منه.

وكان الإمبراطور الحاكم في بكين هو كـانج تي من أسرة منج. وقد أسس هذه الأسرة المالكـة راهب بوذي قـوي الوطنيـة هـو تشو يـوانج تشانج، الـذي نظم المقاومة الوطنية ضد المغول الأجانب، وكانت أسرته تلك صادقة النزعة القومية، كما أنها تمثل نهضـة وبعثا جـديداً للروح الصينيـة. وفي عهد الإمبراطـور الصيني مدت الإمبراطـورية سلطانها إلى كـوريا وما حـولها من جزر، كما خضعت بـورما للصين وغيرها من الدول في الهنـد الصينية، وكان أباطرة اليابـان يتقبلون السيادة الصينية برضًا تام في مستهل أسرة منج[١].

وكانـت أسرة منج تعمل على إعادة بعث الـروح الصينية في الثقافـة، فسنت القوانين التي تـؤكد بعث الثقـافة الصينية، وأعـادت تأسيس الهيئة البيروقـراطية التقليدية بـالإمبراطورية، وتعتبر أسرة منج من الأسر التي قدمـت خدمات جلى للصين، ففي عهـد هـذه الأسرة بسطت الصين سلطـانها على فيتنـام وكـوريـا واليابان، وتم تحويل المناطق الجنوبية إلى دول تابعة بحيث غدت بكين تدعي أن لها حقوق الدول العظمى على جاوة وسومطرة والملايو وسيام.

ومنـذ مطلع القرن السـادس عشر وحتى منتصف القرن السـابع عشر تمتعت الصين بسـلام وأمن. وكـان النظام الإداري يتصـف بالكفـاءة والقـدرة، كما أن

(١) Canou, Ch., Japanese Expansion on Asia Continent, Vols. I, pp. 226-274.
نقلا عن بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية: ص ٦٨ - ص ٦٩.

الروافد (نـواب الملك) والحكام المحليين قد أوتوا من الكفـاءة والمهارة ما جعلهم يعـالجون كل المسائل التي كـانت تنشأ في الأقـاليم. ولا شك أن الولاء والقـدرة التي كان نواب الملك بـالصين ينفذون بها سياسات الإدارة المركزية كـانا من أبرز السمات التي تشكل تكوين الصين السياسي حتى عام ١٨٥٨م.

وصل مبعوث (سفير) البرتغاليين بيريز إلى بكين وسمح لـه بمقابلة الإمبراطور في الوقت نفسه الـذي وصلته أخبار سيئة عن البرتغـاليين. فإن سلاطين الملايو التابعين لإمبراطور الصين استنجـدوا به ضد البرتغاليين، وحـذر سلطان الملايو من أن البرتغـاليين جاءوا للفتـح بادعـاء التجـارة. وكان البرتغـاليـون قد أثبتـوا للسلطات الصينيـة أنه لا يجوز الثقة بهم، وخـاصة بعد أن قـام السفير البرتغالي بيريز يسـاعده رجاله في بنـاء قلعة، ولكن الأسطول الصيني هـاجمه وأجلاه عن الموقع، و إزاء ذلك رفضت الحكومـة الصينية استقبال السفير البرتغـالي وأعيد إلى كانتون، حيث مات سجينا في عام ١٦٢٣م[١].

لم يكن الصينيـون يكنون أي كـراهية لـلأجانب في ذلك الـوقت، بل إن أسرة منج كـانت مستعدة للترحيب بكل عـلاقـة تعقد أواصرهـا مع الأجانب، فقـد قامت حكومة الصين باتصالات وأقامت علاقات مع الدول المجاورة. يظهر أن الصين لم تكن تحبذ روح الاعتزال. فكان الصينيون يستقبلون السفراء الأجانب، بل إن تـومـاس بيريز سفير البرتغـال سمح لـه بالقـدوم إلى بكين، لكن سلـوك البرتغاليين نحو شعوب آسيا وغطرستهم هي التي غيرت سياسة الصين.

فمن المعـروف أن ملك البرتغـال قـد ادعى السيـادة على جميع الأراضي التي يكتشفها رجاله، واتخذ لنفسه لقب سيـد الملاحة، فلم يستطع البرتغاليون تنفيذ ادعائهم هذا في البر بعد هزيمتهم في قاليقوط عام ١٥١١م. ولكنهم استمروا في

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ٧٢ - ص ٧١.

ادعـائهم سيـادة البحـر على اعتبار أن لهم الحق في الملاحـة في البحـار الشرقيـة كسادة للمـلاحة . واحتفظـوا لأنفسهم بحق مصادرة جميع البضـائع التي تشق عبـاب البحر دون إذن منهم ، وعـلاوة على ذلك فإن البرتغـاليين كـانوا يقيمـون قواعد تجارية في البر على ساحل البحر وبناء حصون دفاعية في تلك القواعد .

ولا شك أن الصين كانت على علم تـام بقرصنة البرتغـاليين في البحار، حيث علمـوا بـذلك من حكـام الملايـو المسلمين الـذين كـانـوا يتـابعـون كل أعمال البرتغاليين البربـرية . ولذا فإن حكـام الصين رفضوا أن يقيموا أي عـلاقات مع البرتغاليين قراصنة البحار.

وبـذلت البرتغـال عدة محاولات لفتح العـلاقـات الـدبلومـاسيـة مع بكين ، وفشلت كل المحاولات ، ففي عام ١٥٢٢م وصل ألفونسو مارتنز ومعه سفينة إلى بكين فهوجم ودمـرت سفينته ، وجرت محاولـة أخرى فاشلة عـام ١٥٥٢م وكان نصيبهـا مثل سـابقتهـا . غير أن البرتغال لم تيئس، وبعـد مـائتي سنـة وصلت بعثتهم إلى بكين واستقبلها الإمبراطور، وإن السفير البرتغالي إسكندر متللو سوزا قـد سجد بـالطريقـة المقررة وتلقى هـدايا الإمبراطـور إلى مليكه وهـو راكع على ركبتيه . وعدها الصينيون سفارة تحمل إليهم الجزية .

ومع أنهم لم يسمحـوا بتطـور أي عـلاقـة سيـاسيـة ولا دبلـومـاسيـة ، إلا أن البرتغاليين واصلوا القيـام بتجارة مزدهرة مع الموانئ الجنـوبية . ولم يكن هناك أي خطر خاص على التجارة ، والظاهر أن الحكام الصينيين كانوا يشجعون الاتصال التجاري بالأجانب للحصـول على البضائع الثمينة . غير أن تصرفات البرتغاليين العنصرية المتعـالية أفضت إلى النزاع مع السكان المحليين ومع حكـومة الصين ، وما لبثوا أن طردوا من مراكز تجارتهم . ونظـرا لأرباح التجارة فقد قدم البرتغاليون اعتذاراً لإمبراطور الصين وسمـح لهم باتخاذ (مكـاو) قاعـدة لهم كنقطة تجارية . وظلت على وضعها (١٥٥٧ - ١٨٨٧م) . وظل البرتغـاليون يـدفعون إيجار تلك

الأرض بانتظـام . ويقوم الصينيـون بالإشراف على السلطتين المدنيـة والجنائيـة . وظلت المحاكم الصينية تعمل بها حتى عام ١٦٩٠م، كما أن قـاضيا خاصا ظل يقيم في مكاو يمارس سلطاته . فإذا حدثت جريمة قتل كان الفصل النهائي فيها من اختصاص محكمة كانتـون، بل لم يكن يجوز حتى عام ١٨٤٣م بناء المساكن بمكاو البرتغالية دون دفع الرسـوم المقررة على ذلك إلى السلطات الصينية . وهذا ينفي الادعـاءات التي تقول بأن البرتغاليين قد أخذوا مكاو رغم جبروت االصين وقوتها . والحقيقة أنه لم يكن وجود البرتغاليين بمكاو إلا بمثابة المتواضع لرئيسه في الصين (١) .

الاستعمار الأسباني :

وكان الأسبانيون هم القوة الأوروبية الثانية الذين اتصلوا بالصين، وقد وصلوا إلى جزر الفلبين في وقت مبكـر وأنشئوا مـدينة مـانيلا عـام ١٥٧٣م . وهناك تم الاتصـــال بين الأسبـان وبين السفن الصينيـــة . وكـــان أول من زار الصين من الأسبان قسيسين، هما مـارثن دهيرادا وجيرو نومومارين . وتأسست العـلاقات الـودية مع سلطـات الصين الجنوبيـة، وسمح لهم في نهايـة القـرن بـالاتجار في كانتون . ولكن الأسبـان لم يحققوا نجاحاً في عـلاقاتهم مع الصين، وإن ازدهرت تجارتهم مع الفلبين، وكـانت تجارة أسبـانيـا مع الصين تتم عن طـريق أمـريكـا الوسطى، حيث إن الفلبين كـانت تستخدم مستـودعا لبضـائع المكسيك، لذا كانت الفضـة المستخرجـة من المناجم الأمريكيـة يتم التقايض عليهـا في المراكز

---

(١) Wise, white, Rise of Portuguese Power in India, London 1928. pp. 268 - 288.
Tse, Chang, Siny - Portuguese Trade, Lyden 1934

مقتسبة من كتاب :

Panikkar, K.M. Asia and Western Dominance, Bombay 1936.

الصينيـة مقابل المنسـوجات الآسيـويـة المصنوعـة من القطن والحرير، ومقـابل التوابل والخزف الصيني[1].

الاستعمار الهولندي :

اضمحلت قوة البرتغاليين بالمحيط الهادي عندما تمكن الهولنديون من طردهم من أندونيسيـا في عام ١٦٠٥م. وقبل عام ١٦١٩م تمكـن الهولنديون من إقـامة مصنع بجاكرتـا وأطلقـوا عليهـا اسم «بـاتـافيـا»، وبفضل هـذا العمل تمكن الهولنديون من تأسيس مستعمرة على أرض جاوة. ولم يلبث الهولنديون أن احتلوا المكـانة نفسهـا التي كـانت للبرتغـاليين بالبحـار الشرقيـة. فقد وصل أسطـول هولنـدي مكون من خمس عشرة سفينـة في عام ١٦٦٢م، ووقـف مقابل جـزيرة مكاو (القريبة من كانتون)، ومع أنه لم يستطع طرد البرتغاليين من شبه الجزيرة، إلا أن الحملة قد احتلت فـورموزا وسيطر الهولنديون عليها، وبنـوا حصنا فيها، وسميت فيها بعد بتايوان (الصين الوطنية) وصار لها أهمية كبيرة فيها بعد[2].

لم يستعمر الهولنديون فرموزا بل استخدموها مركزا لتجارتهم، كما استخدموها ميناءً وسيطاً في علاقاتهم المتطورة مع بلاد اليابان. غير أن مركزهم قد تأثر نتيجة تغير الأسرة الحاكمة منج التي خلعتهـا أسرة المانشو التي سيطرت على فـورموزا. فهاجم زعيم أسرة المانشو هذه الجزيرة واضطر الهولنديون إلى التسليم بعد حصار طـويل. وظلت أسرة المانشـو تحكم البـلاد بعـد خلع أسرة المنج قـرابـة مـائتين وخمسين عاماً حتى عام ١٩١١م.

وكـان قـد دب الضعف في أسرة منج وتـولى حكـام ضعـاف سـدة الحكم، وانتشر الفساد مما هيأ الفرصة لاعتلاء حاكـم جديد بعد أن سادت الاضطرابات

---

(١) بانيكـار : المرجع السابق : ص ٧٤. وانظر كذلـك.

Bernard, Bery Henry, Islands of philippenes, p. 24.

(٢) المرجع نفسه : ص ٧٥.

في الصين، فتهيأت الفرصة لأسرة المانشو المنشورية لاعتلاء السلطة. وقد سيطر زعيم منشوريا نورهاتشي على قبائل المانشو وأخضع منغوليا والصين وكوريا. وكان استبدال أسرة قوية جديدة بأسرة عاجزة مدعاة لتقوية الصين في وقت اشتد الصراع فيه حول الصين، فروسيا كانت تتحرك للسيطرة على سيبريا، وحكومة الصين أخذت تمد نفوذها إلى مناطق سنكيانج والتبت.

ومن أعظم حكام الصين اثنان هما كانج هسي وتشين لنج، فقاما جميعا بإحكام الترابط بين أجزاء الإمبراطورية وأوقفا التوسع الروسي عند حده، ثم أعادا فتح إقليم سنكيانج ووضعاه تحت سيطرتهما الفعالة، وتدخلا بالقوة في بلاد التبت، ووصلت الصين إلى أقصى مدى من التوسع[١].

وكان يقيم في بكين العاصمة عدد من القسيسين الأوربيين الذين كان البلاط الإمبراطوري يستخدمهم في شئون مختلفة. ومع أنهم كانوا مبشرين دينيين، فإن عملهم في بكين كان علميا بحتا، وكان الإمبراطور كانج هسي ينطوي على تطلع عقلي عظيم، حيث زادت معرفة أوروبا كثيرا ببلاد الصين، وكان للحضارة الصينية أثر في حضارة القرن الثامن عشر وفكره.

وبذلت هولندا عدة محاولات لإقامة علاقات دبلوماسية مع الصين، وأرسلت بعثة تجارية وسياسية عام ١٦٦٥م إلا أنها لم تنجح، ولم يتمكن الهولنديون من إقامة علاقات سياسية مع الصين[٢].

الاستعمار البريطاني في الصين:

دخل الإنجليز بحار الصين عام ١٦١٩م بناء على اتفاق مع الهولنديين، وعقدت بين الشركتين (شركة الهند الشرقية البريطانية وشركة الهند الشرقية

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي: العالم الحديث: ص ٤٠٥ - ص ٤٠٦.

(٢) نقلا عن بانيكار، ص ٨٠. Balmer, I. Embassy to china, London 1897, p. 879.

الهولندية) معاهدة اتفق فيها على احتلال جزيرة على الشاطئ وعلى إجبار السفن التجاريـة الصينية على الاتجار معهما دون سواهما . واتفق الطرفـان على أن يكون لهما مجلس دفاع مشترك . ولكن هـذا الاتفاق لم يكتب لـه النجـاح بسبب محاولة الهولنديين احتكار التجـارة ، مما جعل الإنجليز يتجهون إلى البرتغـاليين للتفاهم معهم . وحصل الإنجليـز على رخصـة من ملك البرتغـال في جوا بـالتعـاون مع البرتغـاليين في جزيـرة مكـاو بـالصين إلا أن البرتغاليين لم يستطيعـوا عمل شيء بسبب القهر الـذي كانت تمارسـه السلطات الصينيـة ضد البرتغـاليين . وحاول الإنجليـز دخول الصين بـالقـوة إلا أن الصينيين قد منعـوهم من دخـول مدينـة كـانتـون . وقـد فشل الإنجليـز في تحقيق أهـدافهم بسبب معـاملتهم القـاسيـة وصلفهم وغـرورهم ممـا جعل حكـام الصين يـرفضـون منحهم أي امتيـازات ، وبالرغم من ذلك سمح لهم بالتجارة في مدينة كانتون (١) .

وفي عام ١٦٨٥ م فتحت أبواب مدينة كـانتون للتجارة ، وحصلت شركة الهند الشرقية البريطانيـة على حق إنشاء مصنع فيها ومركـز تجاري في ننجيو ، وصارت سفن الشركـة الإنجليزيـة تتردد على مدينـة كانتـون . وتم الاتفاق بين بـريطانيـا والصين على أن تكـون التجارة مقصـورة على كانتـون فقط . وكانت التجـارة تتم عن طـريق تجار وسطـاء من الصينيين هم تجار الهونج . وكانـت مصانع الـدول الأوروبية تابعة لتجار الهونج الصينيين تستأجر منهم الشركات الأجنبية . وكانت السلطـات الصينية تـراقب التجار الإنجليـز وتخضعهم للقوانين الصينيـة ، ولا تسمح لهم إلا بالاتصال عن طريق الوكلاء الصينيين (٢) .

---

(١) Hudson, E, Europe and china, London 1931, p. 241 - 242.

(٢) Ibid, p. 243 - 245.

وبتزايد ونمو موارد شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند صار للإنجليز نصيب الأسد في التجارة الصينية حيث استحوذوا على تجارة الشاي في الصين التي كانت تدر دخلا كبيرا على الشركة، وكانوا يحصلون على الشاي من ولاية فوكين ومنها يحمل إلى كانتون عن طريق تجار الهونج الصينيين.

وقبل نهاية القرن الثامن عشر أصبح الشاي شراباً قوميا بإنجلترا، ولسداد قيمة المبالغ الهائلة المستخدمة في ذلك الاستثمار، فقد شجعت الشركة على بيع الأفيون. وكان للشركة أكبر جالية من الأوروبيين المقيمين ببلاد الصين.

وحاولت بريطانيا إرسال بعثات سياسية إلى الصين منذ عام ١٧٨٧م، وحتى عام ١٨١٦م إلا أنها فشلت بسبب إصرار إمبراطور الصين على سجود السفير أمامه، فاضطرت بريطانيا محافظة على كرامتها إلى أن ترغم الصين بالقوة لفتح أبوابها للتجارة معها خاصة بعد أن قويت شوكة شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند[(١)].

دور شركة الهند الشرقية البريطانية في الصين (١٧٥٠ - ١٨٥٨م)

أدى استقرار بريطانيا في جنوب آسيا واستعمارها لهذه المناطق إلى تدفق التجارة البريطانية إلى المحيط الهادي. وكان مركز الدول الأوروبية ببلاد الصين مماثلا من نواح كثيرة لمركزهم في بلاد الهند قبل عام ١٧٤٨م. فكان لهم بضع محطات تجارية على الساحل، ولم يكن لهم أي نفوذ سياسي ولا قوة عسكرية. وكل ما كان يهمهم هو التجارة التي يتنافسون عليها مع الدول الأوروبية. ولم يتوغلوا في الداخل، بل كان لهم وسطاء يجمعون الثروات من مكاسب التجارة. وكانت التجارة ببلاد الهند تلقى تشجيعاً كبيراً حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من اقتصاد البلاد. فالمناطق الساحلية كانت تعتمد في تجارتها على المناطق

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ٨٢ - ص ٨٣.

الداخليـة، وكان لحكـام المناطق الساحليـة مصلحة مبـاشرة في تلك التجارة، وكانوا لا يرون في وجود المراكز الأجنبية أي عقبة ولم يعترضوا عليها .

أمـا الموقف في الصين فكـان مختلفاً تمامـاً عن الهنـد، حيث إن الصين لم تكن تهتم بالتجـارة البحرية كما هـو الحال في الهند . ويرى إمبراطـور الصين أن تبادل السلع مع الأقطار الأجنبية يتنافى وكرامة الصين [١] .

وهناك فـارق بين الهند والصين من الناحيـة السياسية، فقد حافظت الصين على وحدتها السيـاسية، وكان إمبراطور الصين تشين لنج يمارس سلطتـه في أشد الـولايات بعـداً عنـه، بينما كـانت السلطة الإمبراطـوريـة ببـلاد الهند ضعيفـة، وانهارت تماماً، وأصبحـت أثراً بعـد عين . أما الولايـات الساحليـة الكبيرة التي تأسست فيها المجتمعات الأوروبية التجارية تحت حماية الحصون، فقد تأسست فيها إمارات وراثيـة وغدت مستقلة عن الإمبراطور. وكانت الشركتـان البريطانية والفـرنسية في الهنـد تتعامـلان مع الحكام المحليين، وكـانتا قـادرتين على توجيـه الضغط عليهم . لكن الأمـر في الصين كان مختلفـاً تمامـاً فلم يكن هناك بـد من حل المسألة عن طريق القتال مع الحكومة المركزية [٢] .

وقد تغير الموقف السياسي في العـالم في النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ فقـد أصبحت بريطـانيـا الدولـة الأولى الجبـارة العظمى في العالم كلـه، وتتمتع بتسلط اقتصادي ومعنـوي لم تصل إليه دولـة أخرى قبلهـا ولا بعدهـا . وكانت القـوى الأوروبية تنتـابها فترة ضعف، فـالـولايات المتحـدة الأمـريكية في طـور التكـوين، وفرنسـا تبني قوتها بعـد القضاء على نـابليون، وإمبراطـورية النمسـا والمجر تعمل على المحـافظة على ميراث أسرتها الحاكمة من الضياع . أمـا إيطاليا

---

(١) د. جلال يحي : الشرق الأقصى، دار المعارف، مصر ، ص ٢٧٥ .

(٢) المرجـع نفسه .

وألمانيا فلم تشكل كل منهما أمة بل مجموعة إمارات صغيرة متفرقة. وبقيت البرتغال تملك ممتلكات صغيرة وأسبانيا تملك الفلبين، وهولندا تملك أندونيسيا، وبقيت بريطانيا فقط القوة الكبيرة في الشرق في الفترة ما بين ١٨١٥م - ١٨٤٨م.

وهكذا كان مركز بريطانيا فائقاً وممتازاً من الناحيتين الاقتصادية والمالية، فإن الانقلاب الصناعي في القرن الثامن عشر قد ساعدها على التقدم ودفعها إلى الأمام، وجعلها تسبق منافسيها أشواطا. وكان اقتصادها يتيح لها التقدم بحيث لا تستطيع دولة أن تتحداه. ولكن الصين كانت تتحدى بريطانيا وتفرض قيوداً على تجارتها. فمنعت النساء الصينيات من العمل في المصانع، كما منعت الأجانب من استخدام الخدم الصينيين، وفرضت على الأجانب السير على الأقدام بدلا من ركوب كراسي السيادة، وكانت الصين تفرض عليهم تقديم التماس عن طريق كفيل صيني.

وبالرغم من هذه الشروط المهينة، فقد قبلت شركة الهند الشرقية البريطانية هذا الوضع في الصين لأكثر من مئة عام، وإن أظهرت شيئاً من التذمر لأن التجارة كانت مربحة، ورفضت بريطانيا موقف الصين بقفل أبواب بلادها في وجه التجارة، الأمر الذي فرض على إنجلترا أن تنفذ نظام الأنصبة والحصص، وأن تمنع الاستيراد وتتولى التجارة بكل وسيلة حتى لو استخدمت القوة إذا رفضت الصين ذلك.

وكانت تجارة الصين لا تشكل أهمية للتجار الأوروبيين لأنهم لا يبيعون مقابل الحرير والشاي إلا القليل. وكانت موازنة الميزان التجاري تتم بتصدير السبائك الذهبية للصين، ثم اكتشفت تجارة الأفيون بديلا من الذهب والفضة والذي حرم عام ١٧٢٩م. وأخيراً احتكرت بريطانيا صناعة الأفيون لملء خزائنها بالذهب ودفع أثمان تجارتها بالصين، وزادت واردات بريطانيا إلى الصين [١].

(١) Costen, K.W. Great Britain and china, oxford 1937, p. 104.

حـرب الأفيــون :

وفي الربع الأول مـن القرن أصبح بيع الأفيون على نطـاق كبير، وأصبح أعظم الواردات الأوروبيـة ازدهـاراً بالصين. فقد قفـزت واردات الأفيون إلى الصين من ١٧ إلى ٥٠ في المئة. ومع أن هذه التجارة كانت محرمـة تحريماً تاما بعد منعها عام ١٨٠٠م فإن شركـة الهند الشرقيـة البريطـانية لم تحمـل الأفيون بل حملتـه السفن الصغيرة التي تبيع للتجار الخارجيين الذين لم يعودوا تحت هيمنة الشركة. فطلب نائب الإمبراطور في الصين من تجار هونج كونج أن يعينوا رئيساً للشئون التجارية وأن يحضر إلى كانتون لتولي المعاملات التجارية.

وعينت بريطانيـا اللورد نابيير مشرفاً أعلى على شئون الرعـايا البريطانيين ببلاد الصين. وقدم نابيير إلى الصين ليقف موقفاً حازماً من إمبراطور الصين، ورفض نابيير التعـامل مع تجار هـونج كونج، لكن إمبراطـور الصين اتخذ إجراء قـاسيا وحظـر على السكـان بيع المواد الغـذائية للبريطـانيين، وحـذرهم الأجـانب من تموينهم بـالبضـائع، وأرسل الجنود الصينيين إلى المصنع ليشرفـوا على انسحـاب الخدم والحمالين الصينيين منـه. فأصيب نـابيير بخيبة أمل. وقـد كـان يظن أن الصينيين سيخرون على ركبهم سـاجدين. فأمر السفن الحربيـة أن تحمي سفينته وأنزل البحارة ليتـولوا حراسة المصنع. ونجم عن تصرف نـابيير السيئ أن أصدر إمبراطور الصين تحذيـراً بعزل البريطـانيين مما اضطـرهم إلى العـودة إلى مكـاو، وتوفي نابيير بعد أسبوعين من عودتـه المذلة.

ومما لا شك فيه أن بـريطانيا كانت تريد فـرض هيمنتها وسيطرتها على الصين بـالقوة، ولـو أدى ذلك إلى خـوض حرب مع الصين، ذلك لأن الصين تـرفض الاستعلاء البريطـاني وتقف وجهـاً لوجـه أمامـه، وتعتبر الدول الأخـرى جميعها تـوابع. ونتيجة لـذلك، فقـد رفضت بـريطانيـا تصرفـات الصين، ومع ذلك

خرجت التجارة مع الصين عن كل الطرق الرسميـة والحكومية. ولجأت بريطانيا إلى أسلوب القرصنة وفرض تجارة الأفيون بالقوة [١].

وقد لجأت بـريطانيـا إلى استخدام القوة لما في هـذه التجارة من فـوائد عظيمة لإنجلترا، فقد حققت تجارة الأفيـون أرباحاً خيـالية لبريطانيا قيمتهـا أحد عشر مليوناً من أصل سبعة عشر مليوناً، واستخدمت بريطانيا السفن المسلحة لحماية السفن التجارية التابعة لشركة الهند الشرقيـة البريطانية متحدية القوانين الصينية لبيع العقار السام لأهالي الصين [٢].

إن محاولـة بـريطانيـا إجبـار الصين على شراء الأفيـون أمـر ترفضـه القـوانين الصينية، عـلاوة على أن إمبراطور الصين يـرفض هـذه المحاولات ضـد شعبه، فعزم على اتخاذ إجراءات فعالـة لإيقاف تلك التجارة. فعين نائب الملك لن تسي مندوباً خاصا لتطبيق القوانين الصينية واستئصال شأفة تجارة الأفيون.

فقد استـولت حكومـة الصين على صناديق الأفيـون (٢٠,٠٠٠) من التجار الإنجليز وأتلفتها في احتفال عام، وحصل المسئولون الصينيون على تعهدات من التجـار الإنجليز بـالتوقف عن مـزاولـة هذه التجـارة البشعة المنـاقضة لقـوانين الإمبراطورية الصينيـة. وبالرغم من توقيع التجار الإنجليـز على هذه التعهدات فأنهم أخذوا في تهريبه سرا بوساطة سفن مسلحة منطلقة من مانيلا، ثم حدثت المتاعب بعـد ذلك عندمـا قتل جماعة من البحـارة البريطانيين السكـارى رجلا صينيـا على أرض بـلاده، ورفض المشرف الصيني على التجـارة تسليم المجـرم، وهددت بريطانيا بتسليم المجرم ورحيل السفن الـراسية خلال ثلاثة أيام، فإن لم

---

(١) د. جلال يحيى : الشرق الأقصى : ص ٢٤٠ - ص٢٤٥.

(٢) حول موضوع الأفيون، انظر :

Owen, David Edward, British opium policy in china and Japan, New Havan 1934.

Davis, J.F. china, London 1857.

تفعل ذلك اضطر إلى اتخاذ ما يلزم من إجراء لتنفيذ سلطته بالقوة فحشد السفن الحربية، وجهزت بريطانيا نفسها وأغرقت السفن الصينية فكانت بداية حرب الأفيون الأولى [١].

وكان مندوب الإمبراطور الصيني لين يعتقد أن الحكومة البريطانية لم تكن طرفا في تهريب الأفيون، واعتقد أن ذلك من أعمال القراصنة، وقد أخطأ في اعتقاده ذلك، لأن بريطانيا في حقيقة الأمر كانت على علم تام به، وهي مشتركة تماما في هذه التجارة غير المشروعة وفي القرصنة التي سارت وإياها جنباً إلى جنب. ولم يعرف لين تلك الحقيقة لأن نظريته في الدولة تقوم على التمسك بالأخلاق. واعتقد نائب الملك الصيني خطأ أن الأسطول البريطاني لن يتدخل لحماية المجرمين، ولم يكن لديه فكرة عن قوة بريطانيا في البحار. وكان لين يعتقد أنه يستطيع فرض سلطانه على السفن الشراعية والمراكب التجارية وحتى الفرقاطات البريطانية، وأدى ذلك إلى الخوض في حرب خاسرة ضد بريطانيا.

طالب البريطانيون بالتعويض عن الأفيون، وعن تسليم الجزر، وطالبوا ببيع البضائع البريطانية لدى أكثر أمم العالم سكاناً. واحتلت القوات البريطانية شنغهاي في ١٣ من يونيو ١٨٤٢م، وهاجمت مدينة نانكنج العظيمة واحتلتها، وهناك عقدت معاهدة نانكنج في ٢٩/ ٨/ ١٨٤٢م، وقام الإنجليز بأعمال إجرامية قاسية، واقترفوا أعمالاً همجية وبربرية، وانتهكوا المقدسات، وكرر الأوروبيون ذلك في الصين عام ١٨٦٠م - ١٨٧٠م - ١٩٠٠م [٢].

وجاء في المعاهدة ضم هونج كونج لبريطانيا، والسماح للتجار الأجانب بالإقامة بقصد التجارة دون مضايقة، كما نصت المعاهدة على السماح للمشرفين الأجانب بالإقامة، وإنشاء تعريفة جمركية ثابتة وعادلة ورسوم جمركية مقسطة.

---

(١) Davis, J.F. China, London 1857.

(٢) انظر المراجع السابقة.

وعقـدت معـاهـدات مماثلـة لهذه مع الأمـريكيين في ٣ يـوليـو ١٨٤٤م ومع الفرنسيين في ٢٤/ ١٠/ ١٨٤٤م، كما أن البرتغاليين ادعـوا أن لهم بمكاو سلطة لم تكن لهم بأي حـال. ولا شك أن المعـاهــدات قـد أمليت على المعتمــدين الصينيين دون معرفة ما يجبرون على توقيعه. وفتحت للتجارة الأجنبية خمسة مرافئ صينية علاوة على فـرض غرامة حربية قدرهـا مليـون وربع المليون من الجنيهات الإسترلينيـة. ولكن لم يـذكر شيء في المعـاهـدة عن تجارة الأفيـون، وسرعان مـا ازدادت الموانئ المفتـوحة للتجـارة الأجنبية حتى بلغت سبعـة عشر ميناءً. ولــم تكن الحكومة الصينية ترى في هذا امتيازات محلية تسمح لها كسب الوقت، وهذا ما حمل في طياته بذور مشكلات كثيرة نجمت عن سوء التفاهم في المستقبل (١).

ومهما يكن من أمر فإن معاهدة نانكنج تعـد حجر الزاوية في صرح العلاقات الدولية الـرهيب وغير الثابت، تلك العلاقات التـي تحكمت في الصين مدة مئة عـام. والحقيقـة أن الهدف الرئيس من هـذه المعـاهـدة هو القضـاء على انعـزال الصين قهـراً وإجبارهــا على تبـادل التجــارة مع الـدول الأوروبيـة، وإفهــام الصينيين أنهم ليســوا أعلى من شعـوب الأرض بل هـم على العكس من ذلك. وأصبح للتجـار الأجانب الحق في التجـارة المبـاشرة مع الأهالي، وعملت الـدول الأوروبيـة على فتح أبـواب الصين للتنصير ورعـايـة الـدين المسيحي، وإنشـاء علاقـات ودية بين بلاد الصين والغـرب، وبذلك نجحت دول أوروبـا في فرض هذا الاتجاه على شعب الصين.

وهكذا استطـاع التجار الأجـانب تحقيق حلم كبير بحريـة التجارة في الموانئ الكبرى بجنوب الصين. وكـانت لإنجلترا وأمريكا وفـرنسا مستوطنات بمـدينة شنغهاي بـوصفها ميناء تجاريا أجنبيـا، وانتقلت البيوتات التجـارية الكبرى إلى

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي: العالم الحديث: ص ٤٠٤.

أسواق الصين، غير أن الحلم الذهبي لم يتحقق، إذ إن الصـادرات البريطانية لم تحقق الـربح المطلوب، وذلك لأن تجار الصين كـانـوا يعملون على القضـاء على حلم التجـار الإنجليز عن طـريق وضع العـراقيل ومعارضـة الموظفين الصينيين للقوانين الأجنبية وضعف الممثلين البريطانيين [1].

واقترحت الحكومة البريطانية حلا لهذه الصعوبات يتكون من ثلاثة عناصر:

أولهـا : مد التجارة إلى ما يتجاوز موانئ المعاهدة.

وثانيها : إعطاء القناصل الحق في استخدام القوة للتعويض عن الأضرار.

وثالثها : الحق في المعاملات المبـاشرة مع السلطات الموجودة بالأقـاليم بعيداً عن السلطـة المركزيـة. وقرر البريطـانيـون ضرورة مد تجارتهم إلى مـا وراء الموانئ المحددة لهـم وخصوصاً الوصول إلى وادي نهر اليانجستي.

وأدى ذلك إلى قيام حـوادث عنف واضطرابات نجمت عن سلـوك الأجانب الجامح المتغطـرس، حيث قام الإنجليـز بضرب الباعـة الصينيين المتجولين دون ذنب، ومع أن المعتـدين لم يعـاقبـوا على فعلتهم، بل بـالعكس فإن السلطـات الصينيـة قد قـامت بحمايتهم، فإن الإنجليـز قد طـالبـوا بمعاقبـة الصينيين ولم يعاقبـوا المعتدين من الإنجليز. ويتضح من المعـاهدة رغبة الحكومـة الصينية في تنفيـذ بنـود المعـاهدة وتجنب المتـاعب مـن جهة، وكبريـاء التجـار الأجـانب وغطـرستهم من أجل فـرض سلطتهـم وامتيـازاتهم، ونجم عن ذلك كلـه كـره الصينيين للأجـانب بصفة عامـة، وضعف سلطة الحكـومة الصينية أمـام القوة البريطانية.

---

(١) بانيكـار : المرجع السابق : ص ١٣٧ - ص ١٣٨.

وهكـذا فقـد عملت السلطـات البريطـانيـة بـالاتفـاق مع ممثلين فـرنسيين وأمـريكيين لتنقيح المعاهـدة في عام ١٨٥٤م بهدف الـوصول إلى دخـول الصين وحـريـة الملاحـة، وإبـاحة تجارة الأفيـون والخنـازيـر (عمال الصين)، وإنشـاء علاقات دبلوماسية مع بكين، ورفض الصينيون ذلك.

وجـدت بريطـانيـا ذريعة لإعـلان الحرب على الصين، فـاتخذت من حادثـة سفينـة القـرصـان لي منج التي وصلـت إلى كـانتـون، واعتقل إمبراطـور الصين أشخـاصها، ودفع ذلك بـريطانيـا لإعلان الحرب، فطلبت اعتـذار الصين عن الحادث، ورفض نائب الإمبراطور تقديم الاعتذار (١).

فإذا كـان سبـب الحرب الأولى الأفيـون، فإن سبب الحرب الثـانيـة الحماية البريطانية على نشـاط بعض الصينيين غير القانوني الذين وضعهـم البريطانيون تحت جنـاحهم. وانضم الفرنسيـون إلى الإنجليـز من أجل الحصول على مغـانم الشرق بحجـة مقتل قسيس فـرنسي. وهكذا أصبحت الحرب حـربـاً إنجليزيـة فرنسية، ومع أن الأمريكيين لم يشتركـوا في الحرب إلا أنهم أيدوا الموقف. وبدأت الحرب في عـام ١٨٥٧م في الوقت الـذي استعرت فيـه الحرب بالهنـد، فاستـولى الإنجليـز والفرنسيـون على كـانتون، حيث اعتقـل نائب الملك ونقل إلى الهنـد. وعندئذ طالـب ممثلـو الدول بفتح باب المفاوضـات المباشرة مع بكين فإن رفضت بكين، فإن بحـرية الحلفـاء ستستـولي على قـلاع تاكـو التي تحمي تيـان تسن. وعرض عليهم نائب الملك في تيان تسن التفاوض، ولكن ذلك لم يرض الحلفاء. فقد عقدوا العزم على إذلال الصين وهدم ما تـدعيه الصين من تعال ورفعة هدماً نهائيـاً، وأن يتفاوضـوا مع مفـاوضين كبـار، وأن يوقعـوا المعـاهـدة في عاصمـة

---

(١) جلال يحيى: المرجع السابق: ص ٢٩٠ – ص ٢٩٥، وانظر كذلك:
Costen, O.K., Great Britain and china, pp. 104-115.

الإمبراطورية . ورفض الإمبراطور أن يدخل المبعوثون الأجانب إلى بكين ، وعندئذ احتل أمراء البحر قلاع تاكو، ولم تبد القوات الصينية أي مقاومة . واضطر الإمبراطور إلى الموافقة على التفاوض .

وقد عقدت معاهدة تيان تسن مع الدول الأوروبية التي حققت أحلامها في الملاحة في نهر يانجستي ، وإضافة أحد عشر ميناء لينزل بها الأجانب ويتجروا فيها ، وخروج الأوروبيين من اختصاص القضاء الصيني ومنح الحرية للمبشرين المسيحيين ، ومنح فرنسا حق حماية المارقين من دينهم إلى الدين المسيحي . كما نصت المعاهدة على تعيين ممثلين سياسيين مقيمين في الصين ، وأصرت بريطانيا على استقبال مندوبها استقبالاً رسميا بقصد إذلال وتحقير الصين . واعتدت بريطانيا مرة أخرى على تاكو، ولكن هذا الهجوم قد باء بالفشل وإن استولى الحلفاء على الحصون في العام التالي ، واحتلوا تيان تسن . ثم بذلت محاولات لفتح باب المفاوضات ، ولكن الحليفين البريطاني والفرنسي كانا غليظين عنيدين ، فأصرا على التقدم إلى تسنج تشو بقوة عسكرية ضخمة ، فقرر الحلفاء أن يشقوا طريقهم إلى بكين قتالاً نتيجة سوء الظن بين الطرفين ؛ وما إن بلغوا تسنج تشو حتى فتحت أبواب المفاوضات .

ولما فشلت المفاوضات تقدمت القوات الحليفة وأحرقت قصر الإمبراطور الصيفي في بكين ، مما أجج نار الحقد والعداوة بين الصينيين والحلفاء . وأجبرت الصين على توقيع معاهدة بكين التي وضعت حدا للأحداث المؤسفة ، وبموجبها سمح الإمبراطور الصيني للدول الأجنبية أن تؤسس وكالاتها في بكين ، وفرضت على الصين تعويضات أعظم ، وأضيفت تيان تسن إلى قائمة موانئ المعاهدات ، كما أن بريطانيا عادت فحصلت للمرة الثانية على شيء لنفسها ، إذ أجبرت الصين على التنازل عن كولون للتاج البريطاني ، وطلبت فرنسا كذلك السماح للمبشرين الفرنسيين في أي مقاطعة أن يستأجروا الأراضي ،

وأن يبنوا الـدور لبسط سيادتها الـروحية على إمبراطـورية السماء . وقـد كان لهذه الأعمال أثـرهـا السيئ في نفـوس الصينيين الذيـن وجدوا في الهجمـة الـوحشيـة البربرية الأوروبية ما ينافي كل القيم والأخلاق [1].

وفي الوقت نفسه كانت روسيـا تستغل الفرصة للكسب، فعقدت مع الصين معاهـدة (أيجـون) عـام ١٨٥٨م التي أخذت بمـوجبها الضفـة اليمنى من نهر آمـور. وجعلت من المنطقة الممتـدة بين نهر أوسـوري والبحر إقليما تحت النفـوذ الروسي – الصيني . وكان هـذا خطوة أعقبها احتلال الـروس للإقليم كله عقب معاهـدة بكين ١٨٦٠م وسموه «بـالمقاطعـة البحريـة» وبدئ فيـه بإنشـاء مرفـأ فلاديفوستك (سيد الشرق) [2].

وخـلال هـذه الفترة اتجهت حكـومـة الصين إلى الاعتمـاد على الحكـومـات الحليفة لإعـادة النظـام إلى الإمبراطورية ، فأعيد تنظيـم الإدارة والشئون الخارجية على النمط الأوروبي ، كما أعيـد تكـوين الجيش من جـديـد على يـد بعض الأوروبيين ، وقـد استطاع هـذا الجيش أن يهاجم الثـائرين (التـايبنج) في وسط البلاد ويدخل عليهم عاصمتهم نانكين ١٨٦٤م وانتهت الثورة تماماً . كما قضى الجيش على الثورات الإسلامية التي قامت في البلاد سنة ١٨٧٨م .

وأسست الصين أسطـولاً حـربيـاً بإيعـاز من الأجـانب وبفضل إرشـادهم ، وأرسلت البعثـات العلميـة إلى أوروبـا ، كما أرسلـت بعثـة تجاريـة إلى أوروبـا والولايـات المتحدة الأمريكيـة ١٨٦٨م ، وأقيم نظام جمركي في المنـاطق الحدودية للبلاد عـام ١٨٦٣م أسسه الإنجليـزي هارت ، وفتحت المدارس الحديثـة التي تدرس علوم الأوروبيين ، واستخـرجت المعادن ، وتم تطوير صنـاعة النسيج في شنغهاي .

(١) بانيكـار : المرجع السابق : ص ١٤٢ – ص ١٤٣ .

(٢) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : المرجع السابق : ص ٤٠٦ .

ولكن هذه الإصلاحات كانت تلقى مقاومة من قبل الشعب الذي راجت عنده مختلف الشائعات عن هؤلاء الأوروبيين الذين يسرقون الأطفال، وينهبون القصر الإمبراطوري، ويهدمون دين الأجداد ومعابد «الأمة السماوية».

وقد ظهرت ردة الفعل الشعبية في حوادث عاصفة قاسية، كمذبحة تيان تسين عام ١٨٧٠م قتل فيها ٢١ أوروبي معظمهم فرنسيون، واقتلاع الجماهير (عام ١٨٧٩م) للسكك الحديدية التي كانت تقام بين بكين وتيان تسين، ووقف أعمالها .. لأنها تزعج الجد المقدس الذي ينام بسلام تحت أرض الصين. ويبدو أن الصين لم تكن مهيأة للتطور من أجل تحقيق نهضة حديثة كما فعلت اليابان[١].

الدول الأوروبية والامتيازات الأجنبية في الصين (١٨٥٨ - ١٩١٤م).

لا ريب أن المعاهدات التي وقعتها بريطانيا وفرنسا مع إمبراطورية الصين فتحت الباب لمبدأ امتيازات الأجانب، وكانت المعاهدة تتضمن حرية البعثات التبشيرية في نشر الدين المسيحي بكل أرجاء الصين وضمان حماية المبشرين وأتباعهم. وأجبر إمبراطور الصين كذلك على فتح قنصليات وسفارات أجنبية في العاصمة بكين، وبذلك خضعت الصين لنفوذ الدول الأجنبية[٢].

وهكذا فإن المعاهدات التي عقدتها الصين مع الدول الأجنبية قد فتحت الباب لاستغلال موارد الصين وإذلال إمبراطورية الصين، وسيطرت على الصين في تلك الحقبة إمبراطورة أرملة يهونالا «البوذا العجوز» حكمت الصين ١٨٦٠ - ١٩٠٨م حكماً مطلقاً لا منازع لها.

وفي عهد هذه الإمبراطورة حدثت ثورة التايبنج وهي نتيجة للمؤثرات الأجنبية ونتيجة ضعف حكومة المانشو الصينية، والذي شجع المواطنين على القيام

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : العالم الحديث، ص ٤٠٥ - ص ٤٠٦.

(٢) بانيكار : المرجع السابق : ص ١٧٥.

بـالثورة، والالتفـاف حول هنج هـو تبرير انتصـار القوات الأجنبيـة بادعـائهم انتماءهم للديانة المسيحية، فادعى هنج بأنه المسيح وأعلن ذلك للناس، وادعى الألـوهيـة، وهكـذا اختلط العنصران : التعصب الـديني المسيحي والقـوميـة المضـادة للمانشو، ونتج عن ذلك حـركة ثـورية انتشرت في جميع أنحـاء الصين، وواجههم تسنج كيـوفان، لكن الثـورة كانت قـوية، وسيطـرت على حوض نهر يـانجتسي وكـوانجسي وهيـونـان. وكـان هنج يتـولى الحكم في مـدينـة نـانكين ويساعده تشنج وانج. وساهم في كل عمليـة حربية وأحرز نصراً كبيراً على الثوار ورفع إلى منصب الملكيـة، وانتحر الملك وحل ابنـه محله وهـو تشنج وانج، ودام العصيان أربعة عشر عاماً، ودمرت الثورة جميـع مظاهر الحضارة والحياة الثقافية في البلاد من تدمير للمكتبـات، ومراكز التعليم القديم (الجامعـات المعروفة)، ودمرت كذلك رموز الوثنية من الآثار باجودا نانكين إحدى عجائب الدنيا [١].

واستولى ثـلاثة من رجال السياسـة على الإمبراطورية بعد قضـاء القوميين على الثـورة، وأنقذوا أسرة المانشـو من الانهيـار الـداخلي، وكان تسنـج كيوفـان هـو الـرئيس، ويشاركـه تسـو تسنج ولي هنج تشـانج وبفضلـه أنزلت الهزيمـة على التـايبنج، وأصبـح نـائب الملك على الـولايـة الشماليـة تشهلي ذات الموقع الاستراتيجي العظيم. كما كـان لنفوذه في البلاط الإمبراطـوري الفضل الأكبر في سير العلاقـات مع الحكـومات الأجنبية سيراً مـرضياً. كما يـرجع إنشاء مصـانع الحديد بشنغهـاي إلى كيوفـان، وأسس كذلك أول سفينـة عصرية [٢]. أما تسو تسنج تانج فهو الذي قام بـالقضاء على ثورة المسلمين التي استمرت أربعة عشر

---

(١) عن هذا التمرد انظر : Hail, W.J. Tsang Kuo fan and The Taiping Rebellion New Haven 1927.

نقلا عن بانيكـار، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) المرجع السابق : Bland, J.O. Li Hung Chang London 1917.

عـامـاً مــن ١٨٦٤م - ١٨٧٨م بقيـادة يعقـوب بك الـذي استقـل بمقـاطعـة سنكيانـج ، وشرع في إنشاء العلاقـات مع الـدول الأجنبية . وكان الموقـف الذي واجه إمبراطـورية المانشـو أخطر وأحـرج في كثير من النواحي من الموقـف الذي واجهته بسبب عصيـان التايبنج . إذ كـانت حركة التـايبنج عصيانـاً صادراً عن الصينيين ، وما كـان نجاحها ليؤثـر في أحد إلا الأسرة المالكة وحدهـا . أمـا ثورة المسلمين في الشمال الغـربي فكـانت تمثـل تمرداً على الصينيين . وقـد لفتت ثـورة المسلمين أنظار بـريطانيا بالهنـد وروسيا بآسيـا الوسطى خشية من إثارة مشـاعر المسلمين في تلك البلاد وقيام ثـورات مماثلة علما بأن بريطانيـا كانت قد اقترحت إقامـة مملكة إسلامية في الصين بـزعامة يعقوب بك ، إلا أن الصينيين قـد رفضوا ذلك . ولكن تسـو تسنج تانج قضى على الثـورة الإسلاميـة وحافظ على وحـدة الإمبراطورية الصينية[1] .

اتصل لي هنج تشانج بالأجـانب منذ وقت مبكر في مدة خـدمته التي استفاد منها في مجال الدبلوماسية التي كـان عليه فيها أن يكون المفاوض الأكبر للجانب الصيني . فقـد بـذل لي هنج جهوداً مكثفـة في الميـدان الدبلـومـاسي وفي تنظيم الجيش على الطراز الغربي بعـد أن حل السلام بالصين ، واهتم كذلـك بالشئون المالية والإدارية ، وحافظ هلى هيبة الأسرة المالكة ، ولم تحدث منازعات بين الدول الأجنبية والصين .

غير أن الـدول الأجنبيـة كـانت تعمل على تكبيل الصين بـالأغـلال والقيـود السياسيـة والتجارية والاقتصاديـة وتحويلها إلى دولة عاجـزة ضعيفة لا تستطيع مقاومة عدوانهم . وحـولت الدول الغربية الصين إلى محميات بريطـانية . وكانت الـولايات المتحـدة الأمـريكية وفـرنسا تعمـلان على فتح الصين لتجـارة أمريكـا والتبشير لحساب الكاثوليكية . وأدى ذلك كله إلى جعل الصين شبه مستعمرة .

(١) بانيكـار : المرجع السابق : ص ١٨٠ - ص ١٨١ .

وبمقتضى المعاهدات كان يسمح للأجانب بالإقامة في الموانئ المفتوحة للتجارة والقيام بالأعمال المالية وخاصة في موانئ كانتون وشنغهاي وتيان تسن . وأسس التجار المستوطنات وأقاموا البلديات والمحاكم . وهكذا ظهرت مستوطنات بريطانية وفرنسية وألمانية وروسية ، وأصبحت هذه المستوطنات بإداراتها ومحاكمها المستقلة ترفض سلطة الصين وقوة تشريعها ، كما أنها أصبحت في بعض الأحيان مراكز لكل نوع من أنواع التجارة غير المشروعة .

وفضلا عن تلك المستوطنات فقد كانت هناك مناطق الامتيازات التي كان أهمها الامتيازات الدولية والفرنسية بشنغهاي ، والامتيازات البريطانية والإيطالية والألمانية واليابانية فيما بعد في تيان تسن ، والامتيازات البريطانية والفرنسية في كانتون . وأدى ذلك إلى ظهور القنصليات الأجنبية وإلى تأسيس وكالات تجارية . وأسس موظفو القنصليات البريطانية والغربية مجلساً بلديا ، وأصدروا لائحة تنظيم الأراضي ، وبمقتضاها اتخذوا لأنفسهم الحق في جمع الرسوم والضرائب والهيمنة على النظم الصحية والشرطة وذلك فيما يسمى مرسوم شنغهاي .

وقام مجلس بلدية شنغهاي بإنشاء الطرق والسيطرة على الأراضي ، وغدت مستوطنة شنغهاي في الفترة ما بين ١٨٦٠ - ١٨٨٠م دولة مدنية ذات سيادة مستقلة عن الصين ، فالشرطة والمحاكم أجنبية ولا يسمح للسلطات الصينية بممارسة أي سيادة عليها . كما يعامل الصينيون على أنهم أقل مرتبة من البيض حيث كان يمنع الصينيون من دخول بعض الحدائق الخاصة بالأجانب ويعاملون معاملة مذلة . وقد أصبحت شنغهاي مدينة دولية بها حانات وميدان سباق وأندية ريفية ودور الملذات ومواخير الأفيون وجميع المظاهر التي يلوح أنها من مستلزمات النشاط البحري العظيم . وهكذا فقد أوشكت شنغهاي أن

تصبح دولـة مستقلــة يديـرها الأجـانب حتى كادت أن تصبح دولـة عظمى في بلاد الشرق[1].

وقد نمت مدينة شنغهاي في ميدان المال والتجارة، وتطورت وازدهـرت الحياة الاقتصاديـة فيها، وظهرت طبقـة من التجار والوسطـاء والمصرفيين ووكلاء دور الأعمال الأجنبية ونقابات التجار.

وعلاوة على ذلك فإن الدول الأجنبية قد بسطت سلطانها ونفوذها على الطرق المائيـة الداخليـة في الصين، وسمحت المعاهـدة (تيان تسن) بأن يكـون للسفن البريطانية مطلق الحريـة في زيارة جميع الموانئ الواقعة داخـل ممتلكـات إمبراطور الصين. كما حـذت الدول الأخـرى حذو بـريطـانيا، واحتفظت بأسـاطيل من زوارق المدفعية تتولى أعمال الدورية في نهر كـانتون ويانج تسي. وهكذا أصبحت المنطقـة الممتدة بين تشنـج كنج وشنغهاي مسـافـة ألف وخمسمائة ميل في داخل الصين خاضعـة لهيمنة البحريـة الأجنبية. وكان هـدفها السيطرة والتهـديد من خـلال «دبلومـاسيـة زوارق المدفعيـة» التي تتخذ لصـالح المبشرين والنصـارى والدائنين من الأفـراد، بل حتى الأهالي المعتنقين للديـانة النصرانية. فقـد أحرق الأهالي دار التبشير بمدينـة يانج تشاو، وهددت بريطـانيا نائب الملك في الصين وأجبرته على خلع حاكم المنطقة التي حدث فيها الشغب، وكذلك فعلت فرنسا مع الصين بحجة حماية بيوت التبشير[2].

وكـان نظام الحقـوق الأجنبيـة بالصين قـائماً على نظـام الامتيـازات القضائيـة بـالنسبـة للـدول الموقعة على المعـاهـدة. أمـا من حيث المستـوطنـات ومنـاطق الامتيازات فإن القنـاصل كانوا يـدعون لأنفسهم حق الولايـة وحق ممارسة كـافة

---

(١) Whealer, The Foreigner in China, Chicago 1881, pp. 73-75.

(٢) د. جلال يحيى: الشرق الأقصى: ص ٣١٥ – ص ٣١٩.

السلطات في تلك المستوطنات، فقد ادعى القنصل البريطاني حقه في ممارسة سلطات البوليس والشرطة والإشراف على السجون والمحاكم حتى على النزلاء الأمريكيين. كما احتفظ البريطانيون بالجهاز كاملا مع محكمة عليا بشنغهاي، في حين لم تتيسر هذه الإمكانات للدول الأخرى [١].

وكان قناصل الدول الكبرى يدعون أنهم مخولون محاكمة الرعايا الأجانب من الأوروبيين وحماية المبشرين الأوروبيين والنصارى، وحق بعثات التبشير في الإقامة حيث شاءوا، واقتناء ما يريدون من أملاك. وادعت فرنسا حق حماية الكاثوليك، وكذلك حصلت بقية الطوائف النصرانية على حق التقاضي. وهذا يوضح الاعتداء على سيادة الصين وسلطتها على شعبها من الامتيازات نفسها والمستوطنات والتوسع في رقعة الممتلكات.

وقد اقتطعت فرنسا من الصين كمبوديا وفيتنام، كما اقتطعت بريطانيا بورما، ولم تعد تلك المناطق إلى الصين إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وقد أثارت تصرفات الدول الكبرى ضد حكومة الصين استياء الشعب بكامله، مما دفعه إلى مقاومة هذه التصرفات وأدى ذلك إلى مذبحة تيان تسن ومعاملة بعثة براوني.

فقد أقام الفرنسيون كاتدرائية كاثوليكية في عام ١٨٦٩م دون أدنى حق قانوني في موضع المعبد الذي كان مقر الإمبراطور. وكان المبشرون يعملون على شراء الأطفال الصغار من الصينيين ليجري تنصيرهم وتعميدهم، فاحتج الإمبراطور والشعب الصيني على تلك الأعمال التي كان يمارسها الفرنسيون والراهبات بشكل لا أخلاقي، فقرر الإمبراطور تشكيل لجنة تحقيق لتفتيش ملجأ الأيتام، الذي يضم الأطفال المختطفين، ورفض القنصل الفرنسي ذلك، وأهان الإمبراطور والشعب، وهجم الصينيون على الكنيسة وأحرقوها ودمروا كل

---

(١) جلال يحيى، المرجع السابق : ص ٣٢٠ - ص ٣٢٥.

المؤسسات المسيحية ، وانتقموا من الفرنسيين وقتلوا القنصل الفرنسي واحتجت الدول الغربية وقدمت مذكرة احتجاج للإمبراطور، وطالبت بإعدام مرتكبي الحادث ، وأتبعت المذكرة بإرسال سفن حربية إنجليزية وأمريكية و إيطالية للتهديد ، ولكن الصينيين رفضوا مطالب الدول بشأن إعدام الصينيين دون محاكمة ، ووقف نائب ملك الصين لي هنج تشانج موقفاً حازماً من الأمر وتمت تسوية الأمر؛ لأن فرنسا كانت محطمة بعد حربها مع ألمانيا [1].

أما الحادثة الثانية فقد أرسلت الحكومة البريطانية بعثة تجسس من الهند تعبر حدود بورما إلى بوتان بالصين ١٨٧٤م . وجهزت حملة مكونة من ١٩٠ شخصا بقيادة الكولونيل هوراس براوني . واعتدى الصينيون عليهم وقتلوا بعض رجال الحملة ومرافقيهم من الصينيين . فاحتجت بريطانيا وطلبت إعفاء التجارة من كل رسوم الاستيراد ، وتسوية جميع المنازعات ذات الطابع المحلي ، واستخدمت جميع وسائل الترهيب للصين . وجرت مفاوضات بين الطرفين توصلت إلى اتفاق خاص بالتجارة يقضي بفتح مدن عديدة للتجارة البريطانية وأن يقدموا الحماية للبعثات البريطانية .

وبالرغم من محاولات بريطانيا والدول الغربية فرض سيطرتها على الصين بقصد إذلال الصين والهيمنة عليها ، الأمر الذي نجم عنه انهيار هيبة الحكومة والاقتصاد الداخلي ، فإن الحكومة الصينية استعادت قوتها عام ١٨٩٥م بعد الحرب الصينية اليابانية .

وأيا ما كان الأمر فإن أهداف بريطانيا والدول الأجنبية لم تتحقق في الحصول على مكاسب ضخمة من الصين ، فبالرغم من أن أبواب التجارة قد فتحت

---

(١) بانيكار : المرجع السابق : ص ١٨٩ – ص ١٩٠ .

للإنجليز والأوروبيين في موانئ الصين، فأن النتائج كانت مخيبة للآمال. فقد كانت صادرات الصين إلى بريطانيا عشرة ملايين جنيه إسترليني في حين كانت واردات الصين من بريطانيا لا تتجاوز الثلاثة ملايين، وكان الميزان يوازن بالأفيون أربعة ونصف مليون جنيه. وهذا يشكل أكبر ضربة للتجار البريطانيين بخاصة والأجانب عامة. وهكذا انتقلت التجارة الأجنبية إلى أيدي الصينيين الذين عارضوا الضرائب، وفي الوقت نفسه امتنع الصينيون عن شراء البضائع المستوردة، وطالب التجار الإنجليز حكومتهم بالضغط على الصينيين لشراء البضائع البريطانية، ولكن دون جدوى (١).

وأيا ما كان الأمر فقد ظهرت طبقة تجارية صينية قوية حيث انتقلت التجارة الأجنبية إلى أيديهم، وتولوا توزيعها في مناطق الصين الداخلية، نظراً لتفوق الصينيين ومعرفتهم باللغة والأسواق وقلة ما ينفقونه من نفقات عامة.

وقد نشأت إدارة الجمارك البحرية الصينية وهي تتبع الصين اسماً، لكن الأجانب هم الذين كانوا يديرونها، وهؤلاء كانوا يعيقون التجارة البريطانية ويقفون عائقاً في سبيل نموها وازدهارها.

ومما لا ريب فيه أن معاملة الأوروبيين للصينيين بشكل متعال ويدعو إلى الاشمئزاز هو الذي دفع الصينيين للوقوف ضدهم، وخاصة عندما كانوا يسمون العمال الصينيين بالخنازير، وكانوا يستغلونهم للعمل في المزارع والمناجم والمستوطنات ونقلهم إلى أوروبا وبيعهم بيع الرقيق. وكانوا يختطفون العمال وينقلونهم في السفن إلى أوروبا، وهي تشبه تجارة الرقيق. وقد أعدم نائب الملك بالصين ثمانية من مختطفي العمال، ومع ذلك استمرت الدول الأوربية في ممارسة عملية القرصنة واختطاف العمال وبيعهم.

---

(١) د. جلال يحيى : الشرق الأقصى : ص ٣١٥ - ص ٣٢٠.

وخـلال هذه الفترة قـررت الصين نهائيا تعيين بعثـات دبلومـاسية تمثلهـا في الخارج . فعينت برلنجهـام سفير أمريكـا في الصين سفيراً للصين في جميع الدول الغربيـة . واستقبل برلنجهام استقبـالاً حسناً في أمـريكا وتفاوض مع الحكـومة الأمريكيـة على عقد معـاهدة تقوم على أسـاس المساواة ، وتأييد أمـريكا لـوحدة الصين والحقوق المتبادلة في التجارة والإقامة . ثـم ذهـب إلى لندن وطالـب الحكومة الإنجليزية بألا تمارس ضغطاً على حقـوق تمس سيادة الصين . وقد حققت بعثة برلنجهـام نتيجتين أولاهما : حصوله على تأكيدات من كل من أمـريكا و إنجلترا بأنها لن تتعـامـلا إلا مع الحكــومـة المركـزيـة في بكين . وبـذلك جنب الصين مشكلات التـدخل في شئـونها مستقبلا . وثانيتهما : أدركـت الحكومـة الصينية ضرورة إنشاء بعثات دبلوماسية في الخارج وفعلت ذلك فعلاً [١].

واجهت الصين مشكلات وحروباً أنزلت بها هـزائم فادحة فقد اعتدت عليها من قبل فرنسا بسبب منطقة طونكين ١٨٨٤م ، حيث كانت فرنسا قد احتلتها ، ثم طـالبت الصين باستعـادتها منها ، وقد حـاربت الصين بقوة غير أنها هـزمت وحطم أسطولها وانتهت الحرب بتسليم طونكين في معاهدة تيان تسن ١٨٨٥م . وقـد حـاول إمبراطور الصين تجنـب الصدام بـالأجـانب ، ولكنـه لم يتمكن من تحاشي الحرب مع اليابان ،

فقـد نشبت الحرب الصينية اليـابـانيـة (١٨٩٤ - ١٨٩٥م) بسبب كوريـا ، وذلك لأن اليابان كانت تطمع في الاستيلاء على كـوريا لمواردها الاقتصادية التي تكمل موارد اليابان ، ولتكون مجالا لهجرة اليابانيين المتكاثرين .

---

(١) راجع كتاب : Bland, J.O.P. recent Events and Present Policies in china, London 1912.

وكان للصين نفوذ على كوريا، وحاولت اليابان مد نفوذها فيها، ففتحت اليابان بموجب معاهدة كانج هووا سنة ١٨٧٦م ثلاثة موانئ للتجارة اليابانية، ثم أقيم في كوريا بموجب اتفاقية تيان تسن عام ١٨٨٥م نفوذ مشترك صيني ياباني، ثم اندلعت الحرب عام ١٨٩٤م، لأن ملك كوريا الذي لم يعد يتحمل تدخل اليابان استنجد بالجيش الصيني فقبض عليه اليابانيون وبدأت المعارك، وانتهت بهزيمة الصين بعد قتال استمر ستة أشهر، أصبح اليابانيون فيه سادة البحر بعد معركة يالو البحرية عام ١٨٩٤م. ونزلوا في فرموزا (الصين الوطنية/ تايوان)، ثم انتصروا في بينج يانج، ودخلوا بعد كوريا منشوريا، واحتلوا قلاع بور آرثر عام ١٨٩٤م، وحصون واي هاي واي عام ١٨٩٥م، وكادوا يصلون بكين. ونتيجة لذلك طلبت الصين الصلح، وعقدت مفاوضات بين الجانبين انتهت بتوقيع معاهدة شيمونسكي التي اعترفت بمقتضاها الصين باستقلال كوريا، وتنازلت الصين عن فرموزا وبيكادورس وشبه جزيرة لياوتونج في منشوريا، فضلا عن موافقتها على دفع تعويض قدره ٢٠٠ ألف تايل. وأصرت اليابان كذلك على الحصول على جميع الامتيازات التي كانت تتمتع بها الدول الأوروبية بما في ذلك حق التقاضي في محاكمها. وقد طلبت روسيا وفرنسا وألمانيا طلباً مشتركاً إلى اليابان برد شبه جزيرة لياو تونج إلى الصين [1].

وكانت معاهدة شيمونسكي نقطة تحول في تاريخ علاقات الصين بالغرب، فقد أصيبت الصين بضرر بالغ حيث إن ضعفها عسكريا والفساد الذي استشرى فيها جعلها عاجزة تماما عن رد أي عدوان. وأصبحت تشبه الدولة العثمانية. وبدأت الدول الأوروبية تنهش في أوصالها كما فعلت مع الدولة العثمانية.

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي: تاريخ العالم الحديث: ص ٤١٢ - ص ٤١٣.

أخذت الدول الأوروبية تضغط على الصين مطالبة بمنح من الأرض، وكان أول مشروع اتجهت إليه هو إنشاء السكك الحديدية خاصة بعد انهيار حلم التوسع التجاري الغربي. وكانت الدول الغربية من خلال شركاتها التجارية تعمل على توزيع الأراضي الصينية لتصبح تحت هيمنة مختلف الدول الأوروبية.

وشعرت ألمانيا أن القطار قد فاتها بالحصول على بعض المغانم، وخاصة بعد أن تم توحيدها عام ١٨٧٠م، فقد كانت ألمانيا بحاجة إلى قاعدة ثابتة في الصين، فوجد الإمبراطور الألماني غليوم الثاني أن الفرصة سانحة واتخذ من مقتل مبشرَين ألمانيين ذريعة لمهاجمة الصين، فاحتل الألمان دون حرب ميناء كياو تشيو عام ١٨٩٨م، فأجرهم الصينيون المدينة مدة تسع وتسعين سنة. وبدأ الألمان تحصينها، كما طالبت فرنسا بضم الممتلكات المجاورة للهند الصينية عام ١٨٩٨م، فوضعت فرنسا يدها على خليج كوانج تساو، واتخذت منه قاعدة بحرية. وظفرت بامتياز مد سكة حديد تخترق مقاطعة بوتان العظيمة حتى مقاطعة تونج كونج. كما احتلت روسيا بورارثر ودالني بموجب معاهدة ١٨٩٨م، وسمح لها ببناء سكة حديدية عبر منشوريا إلى فلاديفوستك، وذلك لنفوذها الواسع في بكين، ولما أقرضه رأسماليوها من أموال للحكومة الصينية. واعتبرت روسيا بعد ذلك أن منشوريا وكوريا من مناطق نفوذها.

وكانت بريطانيا قد اعترفت رسميا بمبدأ «مناطق النفوذ» في عام ١٨٩٩م، وكانت تدعي أن لها سلطة واسعة في حوض نهر اليانج تسي. كما طالبت بامتياز خط سكة حديد بكين هانكاو. وكانت الحكومة الصينية قد وافقت على السماح لشركة بلجيكية بإنشاء ذلك الخط. وطالبت اليابان بساحل فوكين المقابل لفورموزا، وكذلك طالبت إيطاليا بمحطة بحرية بخليج شامن في تشيكيانج، ولكن الصين رفضت الطلب، وأعلنت أنها ستقاوم بعد ذلك بالقوة كل عدوان على أراضيها.

وهكذا لــم تنقضِ ثلاث سنوات بعد معاهـدتها التي عقدتها مع اليـابان، حتى تقـاسمت الـدول الصين فعــلا، التماسـاً لبـذل النشـاط الاقتصـادي بها والحصول على النفـوذ السياسي فيها ومـد السكك الحديديـة. وبذلك أصبحت أراضي الصين موزعة بين الدول.

غير أن الـولايات المتحـدة منذ أن استـولت على الفلبين صارت دولـة عظمى بالمحيط الهادي، وأعلنت عن سيـاسة الباب المفتـوح، وطلبت استناداً إلى ذلك تأكيـدات رسمية من جميع الـدول المعنية بأن ادعـــاء مناطق النفـوذ لن يؤثـر في الحقوق التي تنص عليهـا المعاهـدات الخاصة بالشعـوب الأخرى. وأن يتم جمع الرسوم الجمـركية بكل مكان على يد السلطـات الصينية. وكانت هـذه السياسة تـرمي إلى حماية المصـالح التجاريـة الأمـريكية. غير أنها سـاعدت بطـريق غير مباشر على وحـدة الصين، وبخاصـة اشتراطها أن يكون جمع الـرسوم الجمـركية بكل مكان على يد الصينيين.

وكـان خطـر التقسيم قـد أدى إلى ردة فعل لـدى الإمبراطـور الصيني الـذي أصدر تعليماته إلى نواب الملك بالأقـاليم أن يكونوا دائماً على أهبة الاستعداد لـرد كل عدوان، ذلك أن وجود الطرادات الإيطاليـة بالمياه الصينية، وإنشاء الألمـان قـوة عسكـريـة كبيرة في كيـاوشـاو قـد أزعج السلطـات أيما إزعــاج. حتى إن الإمبراطورة الـوصية عندما فشلت حـركة الإصلاح التي نادى بها كـانج أحدثت انقلاباً حكـوميا استولت به على مقاليد السلطـة، وتجمعت حولها جميع القوى الرجعية في البـلاد، على أن الدول الكبرى كانت تدرك عجـز الصين عن مقاومة السياسة الأجنبية غير أن تلك الدول تجاهلت وطنية الشعب الصيني [1].

---

(١) بانيكـار: المرجع السابق: ص ٢٠٢ – ص ٢٠٥.

أدى تدخل الدول الأوروبية إلى غضبة الشعب الصيني الموجهة ضد الأجانب عـامة والمبشرين خـاصة فضـلا عن أتباعهم المتنصرين من الصينيين . وظهـرت حركـة القبضات المتآلفــة أو البوكسر وهي ما تعـرف بالملاكمين . وظهـرت هذه الحركـة بشكل سري لأول مرة في شـان تنج ، وكان شعـارها : «اعتـزوا بأسرتكم المالكة وأبيـدوا الأجنبي» . ووجدت هـذه الحركة تأييداً مـن الشعب ومن الأمراء والإمبراطورة ، ومـا إن حل عام ١٩٠٠م حتى أصبح لحركـة البوكسر قـوة شعبية هائلة ترمي إلى تحرير الوطن من الأجانب فهي حركة وطنية قومية خالصة .

أثـارت الحركة الحقد على الأجانب وخاصة النصارى منهم ، واستغلت نقمة أصحاب العربات على السكك الحديديـة والملاحين على شركات البواخر. وكان القصر الملكي كما أشرنـا يدعم هـذه الحركة سرا ، ويعين حكـام الأقاليم الـذين يكـرهـون الأجـانب . وتكـررت الاعتـداءات على الأوروبيين ووصلت إلى بيكين واعتــدوا على حي السفـــارات وقتلــوا السفير الألماني فــون كتلــر وحــاصروا السفارات ، واقتلع الثائرون السكك الحديدية .

هبت الـدول الأوروبية فأرسلت أسـاطيلهـا وجيوشهـا إلى بكين للدفـاع عن الأجانب وهي تقاتل على طول الطـريق حتى رفعت الحصار عن حي السفارات بعد ثمانيـة أسابيع . وقام الأوروبيـون بارتكـاب الأعمال الوحشية في قمع حـركة الشعب ممـا يندى لـه الجبين ، وكشفوا القنـاع عن وجـوههم وظهروا بمظهـرهم الحقيقي مجردين من كل ما له صلة بالحضارة[١] .

وأجبرت الدول الغـربية الصين على دفـع تعويضات بـاهظة ، وفـرضت على الصين شروط صلح قـاسية مهينة تسمـى بروتوكـول البوكسر. وعـلاوة على ذلك

---

(١) ارجع إلى كتاب : Clements, P.N. The Boxer Rebellion, New York 1915.

طالبوا بإنزال العقاب على المعتدين ، وإقامة نصب تذكاري للمبشر الألماني ، وقصر الوظائف على المسيحيين ، وحظر استيراد الذخائر والأسلحة لمدة سنتين ، وأن تدفع الصين تعويضاً قدره مئة مليون جنيه إسترليني وضمان إيرادات الجمارك .

وهكذا تمكن الأجانب من التسلط على الصين ، غير أن علاقة الصينيين بالغرب كانت تتصف بالمرارة والحقد أثناء النصف الأول من القرن العشرين . ولكن الدول الغربية قد ضمنت سلامة الصين ووحدتها بموجب المعاهدة الموقعة في ٧ من سبتمبر ١٩٠١م . وتنبهت الإمبراطورة إلى ضرورة الإصلاحات ، فعملت على تجديد البلاد وإصلاحها ونهضتها لتستطيع أن تقف أمام القوى الطامعة ، وكان يعاونها نائب الملك يوان شي كاي [١] .

واستخدم الصينيون سلاح المقاطعة في المسائل السياسية ، ففي عام ١٩٠٥م قاطع الصينيون البضائع الأمريكية في كانتون احتجاجاً على معاملة الصينيين بالولايات المتحدة . وفي عام ١٩٠٨م نفذت ضد اليابان مقاطعة أقوى . هذا فضلا عن إرسال بعثات علمية إلى الخارج للدراسة ، كما أن انتصار اليابان على روسيا القيصرية قد قضى على سلطان الدول الأوروبية في آسيا . واستطاع الشعب القضاء على أسرة المانشو الإمبراطورية في عام ١٩١١م وكان ذلك بداية للإطاحة بالنفوذ الغربي [٢] .

الثورة الصينية ضد الحكم الإمبراطوري ١٩١١م :

قامت الثورة الصينية في الصين بتأثير عاملين هما : الإصلاحات الحكومية من جهة ، والعمل الشخصي للزعيم صن يات صن . فقد تأكد للإمبراطورة

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : العالم الحديث : ص ٤١٣ - ص ٤١٤ .

(٢) بانيكار : المرجع السابق : ص ٢١٠ - ص ٢١١ .

تسوهي أمام الانتصارات اليابانية أن تقليد الغرب أمر لا مفر منه لقيام نهضة في البلاد. فأنشأت الخطوط الحديدية لربط وحدة البلاد وتقويتها، وأعادت تشكيل الجيش وزيادة عدد أفراده، وأرسلت البعثات العلمية إلى الخارج، وأوجدت مجالس محلية في المقاطعات كمرحلة تمهيدية للإصلاح الدستوري. ولكن الإمبراطور والإمبراطورة توفيا في ١٤، ١٥ من نوفمبر عام ١٩٠٨م. وعلق الإمبراطور الجديد الإصلاحات وعزل الوزير يوان شي كاي.

وقد أدى ذلك إلى ظهور جماعات من الشباب المتعلم ومعظمهم من كانتون جنوب الصين، وهؤلاء كانوا ينادون بمثل عليا ويتصفون بروح ثورية وقادة، وكانوا ينظرون إلى الأسرة المالكة نظرة غير محترمة وتزعم هؤلاء الشباب صن يات صن.

أعلن «صن يات صن» برنامجه السياسي عام ١٩٠٤م، باسم الحل الحقيقي للمشكلة الصينية ثم أوضحه سنة ١٩٠٧م مرة ثانية، وأكد فيه أولاً ثقته في الصين حيث قال: «نحن نؤلف ربع سكان العالم، ونحن أقدم وأكثر شعوب العالم حضارة»، ثم أعلن ضرورة إعلان الثورة: «يجب من جهة أن نهدم عرش المانشو وهذه هي الثورة العرقية. ويجب من جهة ثانية قلب الحكم المستبد وهذه هي الثورة السياسية». وهو يرى ضرورة احترام الكنائس وموانئ التجارة كي لا يعطى للأجانب مبرراً للتدخل.

أما الهدف الحقيقي الذي يرمي إليه فهو إقامة جمهورية ديمقراطية اشتراكية تقوم على الديمقراطية والمساواة والوطنية وحق الشعب في استثمار جميع موارد الوطن. وقام الزعيم الصيني صن يات صن بدعاية نشطة بين أفراد الشعب الصيني وخاصة في مدينة كانتون حيث وضع ميثاق الثورة «كومينج تانج» الذي يقوي الحركة الجمهورية. وانتشرت دعايته في الريف بين الفلاحين، وقد ساعدت الأوضاع الاقتصادية السيئة على تهيئة الظروف لإعلان الثورة.

وقد كانت الشرارة التي أشعلت نار الثورة هي محاولة الحكومة بناء الخط الحديدي الذي كان ينشأ بين هانكر وكانتون لحسابها، فرفضت الشركة الوطنية التي تعمل ببنائه ذلك، وحركت الاضطرابات التي ما لبثت أن توسعت لتدخل جماعة كومنج تانج المؤيدة للزعيم الصيني «صن يات صن» فيها، ولتأييد طبقة العمال في هانكيو لها. وما كاد الثوار يصبحون في أكتوبر عام ١٩١١م سادة المدينة حتى تقدموا بسرعة. وفي نهاية عام ١٩١١م أعلن صن يات صن في نانكين رئيساً مؤقتاً للجمهورية الصينية، ولم يكن لدى الحكومة ولا لدى الثوار معاً من الموارد ما يتابعان معه الحرب حتى النصر. ولهذا كان كل شيء يتوقف على موقف الجيش الذي عهد به الإمبراطور إلى يوان شي كاي الذي تفاوض مع الثائرين، ونجح في إقناع الإمبراطور بالاستقالة في ٢٢ من فبراير ١٩١٢م في مقابل انسحاب صن يات صن. فانتخب يوان شي كاي رئيساً للجمهورية [١]. وقد أيد المسلمون الحكم الجمهوري في الصين بسبب اضطهاد الحكم المنشوري السابق لهم، وقامت بعض المؤسسات الإسلامية للمسلمين في العهد الجمهوري [٢].

وقد قام رئيس الجمهورية بالتخلص من المجلس الوطني عام ١٩١٣م، ومدد مدة حكمه إلى عشر سنوات عام ١٩١٤م. وحاول إصلاح الدولة على طريقته ولمصلحته !! وفاوض الدول الأجنبية للحصول على القروض دون استشارة البرلمان. وقد تساءل الناس حين نشر الدستور الذي يعطيه الصلاحيات الدكتاتورية عام ١٩١٤م. لقد بدا مصير الصين مضطرباً حين نشبت الحرب العالمية الأولى [٣]. ولكنه توفي عام ١٩١٦م.

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : تاريخ العالم : ص ٤١٩ – ص ٤٢٠.

(٢) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ ٢٢، ص ١٥٣ – ص ١٥٤.

(٣) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : المرجع السابق : ص ٤٢٠.

أوضاع الصين فيما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ - ١٩٣٩م) :

أدت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م إلى إحداث صدع لا سبيل إلى رأبه في تماسك الغربيين بآسيا. ومع أن الصين كانت مسرحا للأحداث، إلا أنها طالبت في ٣ من أغسطس ١٩١٤م باحترام حيادها وبألا تقوم أي حرب على الأراضي الصينية المؤجرة للأجانب، غير أن الدول رفضت ذلك الطلب، ونزلت على الأراضي الصينية قوة يابانية تعاونها سرية بريطانية، فاستولت على شبه جزيرة كياوتساو، واستطاعت أن تؤكد لأول مرة أن دولة آسيوية يمكنها أن تطرد دولة أوروبية عظمى وأن تبعدها نهائيا. كما حدث بعد ذلك أن حرضت بريطانيا وفرنسا الصين على القضاء على النفوذ الألماني والاستيلاء على الممتلكات الألمانية. وتم ذلك بالفعل حيث أغلقت الصين جميع المصارف والبيوت التجارية والمشروعات الألمانية وأوقفت جميع الصناعات الألمانية، كما استولت على السفن الألمانية المحجوزة بالموانئ الصينية. وألغت الصين جميع الامتيازات الممنوحة لألمانيا وكذلك أعلنت الصين الحرب على ألمانيا. ولم يكن هدف الصين من إعلان الحرب إلا القضاء على خطط اليابان العدوانية [١].

وكان لمبدأ تقرير المصير ببلاد الصين أثر كبير في القضاء على النفوذ الأجنبي وكذلك الامتيازات الأجنبية، وحق تقرير مصير الصين.

وساعد على ذلك نمو حركة قوية لليساريين بأقطار أوروبا الغربية كان لها أثر مباشر في الشرق، كما كان قيام الثورة الروسية عاملا مهماً في التخلص من السيطرة الاستعمارية [٢]. ومما لا ريب فيه أن الحركة القومية الصينية كان لها دور بارز ومهم في التخلص من هذه المعاهدات الجائرة والامتيازات الأجنبية. فقد

---

(١) بانيكار : المرجع السابق : ص ٢٧١ - ص ٢٧٥.

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٧٦ - ص ٢٧٧.

طالبت الصين عام ١٩١٩م في مؤتمر السلام بإلغاء نظام الحصانة الأرضية لصالح الأوروبيين وإلغاء المعاهدات الجائرة، فأحيلت هذه المطالب إلى عصبة الأمم. وفي عام ١٩٢٢م وعدت الدول الكبرى الصين بإرجاع استقلالها الجمركي ووعدتها بإلغاء نظام الامتيازات عندما تعمل الصين على إصلاح نظامها القضائي، وقد نجحت الصين بعد محاولات مستمرة واحتجاجات حارة في إحداث ثغرة في الجبهة الأوروبية. فقد وقعت ألمانيا معاهدة مع الصين عام ١٩٢١م تخلت بموجبها عن المعاهدات الجائرة. وفي العام ١٩٢٤م فعلت روسيا كذلك. حتى إن الحكومة الصينية طلبت من فرنسا وإنجلترا أن تتخليا بدورهما عن هذه الامتيازات [١]. وقد ساعدها على ذلك موقف الولايات المتحدة التي نادت بمبدأ «سياسة الباب المفتوح» والتوسع الياباني الذي وقف حيال الدول الأوروبية وأدى إلى الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥م. وسجلت اليابان أقصى توسع لها في الشرق الأقصى [٢].

وكانت الصين قد وقعت في حالة فوضى في أعقاب وفاة يوان شي كاي عام ١٩١٦م، وأدى ذلك إلى حرب أهلية بين الشمال والجنوب. وحاول خلالها قادة الجيش أن يوطدوا سلطتهم في هذا الإقليم أو ذاك ويقوموا بدور كبار الإقطاعيين ويستقلوا في أقاليمهم.

وفي بدء عام ١٩٢٢م كان في الصين حكومة الصين الشمالية ومقرها بكين وتشرف على أربعة أقاليم من أصل ثمانية عشر إقليما. وكان مقر حكومة الصين الجنوبية كانتون، ولم يكن لها سلطة حقيقية إلا على إقليمين. في حين كان هناك

---

(١) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين : ترجمة الدكتور نور الدين حاطوم، دمشق ١٩٦١م : ص ١٤٤ - ص ١٤٥.

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٤٤.

اثنـا عشر إقليما لا تتبع أي سلطـة ويتنـازعها القــواد، ممـا يـدل على أن الصين كانت في حالة فوضى تامـة. علاوة على أن حكومتي الصين كانتا غير مستقرتين أيضـاً.

واستطاعت الصين في عام ١٩٢٨م أن تسترجع وحدتها، حيث قامت بجهد في التربية، وذلك بفضل نشاط وجهود الزعيم صن يات صن الذي أسس حزب الكومنتانج بعد أن أعاد النظر في نظـرياته السياسية، فقد أراد أن يكون الإشراف على السيـاسة بيـد الشعب، ولكن السلطة الفعليـة بيد الحكـومة. وكـان يحلم بنظام شبه جماعي خـلال الفترة الانتقالية. وكان الطـلاب أكثر أعضاء الحزب. وقد عين الحزب لجنة مركزية ومكتبا سياسيا يرأسه صن يات صن. وقد بلغ عدد أعضـاء الحزب عـام ١٩٢٥م ٦٠٠ ألف عضـو معظمهم من الشبـاب. ولكن صن يات صن تـوفي عام ١٩٢٥م إثر انتهـائه من تأسيس الحزب. وبعد وفـاته خلفـه اثنـان من المكتب السيـاسي هما وانج شـانج وي، وتشـانج كـاي شيك واستطاع تشانج كاي شيك أن يستولي على السلطة بمفرده عام ١٩٢٧، وسيطر على حكـومة الصين الجنـوبية، وأخـذ يعمل لتـوحيد الصين ومقـاومة الأقـاليم الانفصالية، وهزيمة حكومة الصين الشمالية عام ١٩٢٨م ومقتل رئيسها تشانج تسو لن الـذي بموتـه توطـدت الوحـدة الصينية لصـالح حكومـة الجنوب التي سميت الحكومة القومية ومقرها في نانكين. واستطاع تشانج كاي شيك أن يحقق الوحـدة الفعلية، وقررت حكـومة الصين إعادة بنـاء الصين سياسيا واقتصـاديا وماليا وعسكريا وذلك في الفترة من ١٩٣١ - ١٩٣٧م[١].

وخلال هذه الفترة كانت الصين مسرحاً للتنافس بين روسيا وإنجلترا، فروسيا كانت تقـدم مساعـدات ماديـة وفنية لحكـومة الصين بـزعامة صـن يات صن،

---

(١) بيير رونوفن : المرجع السابق : ص ٢٤٥ - ص ٢٤٩.

وتؤكـد عزمها على التخلي عن المعاهـدات الجائرة أي عن الامتيازات التي حصل عليها الأوروبيون . وقد حـاولت روسيا القيام بسياسة توسعيـة في آسيا وأن تأخذ بيدها إدارة تنظيم الصين من خـلال بعثات شيوعية ونشر المبـدأ الشيوعي فيها . وقد حاول الشيوعيـون إقامة تنظيمات لهم في كانتون غير أن حكومـة تشانج كاي شيك قـد قضت على الحكـومة الشيـوعيـة في منطقـة هانكيـاو، وذلك في عـام ١٩٢٦ و ١٩٢٧م . وأغلق كـاي شيك الوكـالات التجاريـة الروسيـة، ونتيجة لـذلك قطعت العلاقـات الدبلـومـاسية بين الاتحاد السـوفييتي والصين، وشن الروس هجـوماً على تشـانج كاي شيـك، وبذلك تكـون السياسـة الروسيـة قد أخفقت في الصين [١].

أمـا بريطـانيـا فكانت قلقـة من مطـالب الصين بـالحصول على الاستقـلال القومي، وإلغاء الامتيازات الأجنبية، حيث إن صرخات الاحتجاج الصينية ضد الإنجليـز والمظاهـرات المستمـرة ضد الأجـانب، إضافـة إلى مقـاطعة البضـائع الإنجليزية في شنغهاي وكانتـون وهانكيـاو. كل ذلك دفع الإنجليز إلى أن يقفوا موقفاً معتدلا نتيجـة للظروف الدولية والمصالح البريطانيـة، وكذلك نتيجة قطع العـلاقـات بين الاتحاد السوفييتـي والصين . فتنازلت بـريطـانيـا عن عـدد من الامتيـازات منهـا الاستقـلال الجمركي، وذلـك أن بريطـانيـا كـانت تـرغب في مساعدة الصين اقتصاديا وماليا لتحافظ على دورهـا المتفوق في الصين [٢].

وقد اعترفت الدول الأجنبيـة باستقلال الصين في الجمارك، كما وافقت على أن يدفع رعـاياها الضرائب، واعترفت اليـابان بـالتعريفة الجمـركية المعدلـة ولكنها عقدت معاهـدة مع الصين ضمنت مصالحها التجاريـة لمدة ثلاث سنوات . ثم تقـدمت الصين بطلب إلى الـدول لبحث مسألـة الامتيـازات وإزالـة كل القيـود

---

(١) المرجع نفسه : ص ٢٥٠ - ص ٢٥٢.

(٢) بيير رونوفن : المرجع السابق : ص ٣٠٠ - ص ٣٠١.

المفروضة على سيادة الصين في أقرب وقت ممكن، ورفعت الأمر إلى عصبة الأمم، وردت الدول بأن إلغاء الامتيازات القضائية يبدأ من مطلع عام ١٩٣٠م، وأقرت ذلك عصبة الأمم. وبـذلك تكون الصين قد حصلت على انسحـاب السلطات الغربية من أرضهـا، وبقيت المسائل المتعلقة باستخـدام السفن الأجنبية للطرق المائية الصينيـة، ومناطق الامتياز الـدولية والوطنيـة وإلغاء الامتيازات القضـائية إلغاء تاما تؤثر على الموقف في الصين بسبب علاقتها مع اليابان التي كانت تسوء يوما بعد يوم [١].

وعملت الصين على إعـادة بنـائهـا السيـاسي والاقتصـادي من ١٩٣٧ - ١٩٤٥م إبان فترة الحرب العـالمية الثـانية تقريبـا، فمن الناحيـة السياسيـة وجد خلاف بين الحكومـة الوطنية بزعامـة تشانج كاي شيك الذي تدعمـه الرأسمالية الغـربية وتسـاعده الـولايات المتحـدة الأمريكيـة وبين الحكومـة الشيوعيـة التي انشقت عام ١٩٤٢م، واستقرت في يون نان Yun nan وكانت تتلقى مساعدات عسكـرية من روسيـا. وكانت الـدولتـان العظميان الـولايات المتحـدة والاتحاد السوفييتي تدعمان المشروعات الاقتصادية الكبرى في الصين [٢].

ونظـراً لتلقي الصين مساعـدات من الاتحاد السـوفييتي إبـان الحرب العالميـة الثانيـة ضد اليـابان والـدول الغربيـة، فقد قـوى ذلك من سلطـة الشيوعيين في البلاد، وتمكنوا مـن السيطرة على شمال غربي الصين واحتلوا تـركستان الشرقية، وسيطر الشيوعيون على معظم أراضي الصين ما عدا جـزيرة فرموزا (تايوان) التي كانت تدعمهـا الدول الغربية بـزعامة الولايـات المتحدة. وأصبح في الصين منذ ذلك الوقت حكـومتان إحـداهما شيوعية وتسيطـر على البر الصيني كله مـا عدا

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ٣٠٢ - ص ٣٠٣.

(٢) بيير رونوفن: المرجع السابق: ص ٤٨٥.

مكـاو التي تخضع للبرتغـاليين وجـزيـرة هـونج كـونج التي تخضع لـلإنجليـز. والحكومة الثـانية في تايوان وتدعى حكومـة الصين الوطنية [1]. وتزعم الحكومة الشيوعية مـاو تسي تونج الذي عمل على نهضة الصين، وغـدت من أقوى دول العالم وإحدى الدول الخمس الدائمـة في مجلس الأمن بالرغم من أن الغرب كان يدعم الصين الوطنية ويعترف بشرعيتها لكنه تراجع عن موقفه منذ أكثر من عشر سنـوات . ولا تـزال الصين الشيـوعيـة تتطـور في جميع المجـالات الاقتصـاديـة والعسكرية وغيرهـا .

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ٢٢ : ص ١٦٠ - ص ١٦١ .

الفصل الرابع

تاريخ اليابان الحديث

لمحة جغرافية

هي مجموعة جزر تمتد من الشمال إلى الجنوب، أربع منها كبيرة، وهي هوكايدو، وهونشو وهي أكبرها، وشيكوكو، وكيوشو. وتقع إلى أقصى الشرق من قارة آسيا، وتبلغ مساحتها ثلثمائة وسبعين ألف كيلو متر مربع، وعدد سكانها حوالي مائة وخمسون مليونا وعاصمتها طوكيو. وهي من أكبر العواصم في العالم وأكثرها سكاناً. ومن مدنها المهمة كانزوا، كيوتو، كوتشي ونجازاكي وهيروشيما. وتجاور روسيا والصين وكوريا، ويطلق عليها بلاد الشمس المشرقة[1].

لمحة تاريخية:

اليابانيون من العرق المغولي في معظمهم، عدا شعوب الإينو في الشمال، ولا يعود تاريخ اليابان القديم إلى أبعد من القرن السادس قبل الميلاد أي قبل عصر الرسالة المحمدية. وقد تشكلت وحدة اليابان ببطء، وتوطدت الأسس الكبرى لنظامها السياسي والاجتماعي في القرن السابع عشر فأصبحت إمبراطورية إقطاعية تقوم على مجتمع ذي طبقات متسلسلة المكانة.

فالإمبراطور المقدس (الميكادو) يعرف بابن الشمس وممثل الآلهة الحي على الأرض، كما أنه يمثل القانون، كانت سلالته تتحكم منذ قرون طويلة في اليابان، لكن سلطته كانت منذ القرن السابع عشر قد تضاءلت إلا في الدين، فهو يعيش منعزلا في كيوتو مع جمهور من نبلاء البلاط (الكوجة) عيشة تقليدية فقيرة. أما السلطة والغنى فكانت للطبقة النبيلة الثانية طبقة الدايميو المؤلفة

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ٢٢: ص١٦٩.

من ٢٥٠ عشيرة تسيطر تقريبا على كل الأراضي اليابانية. وتستغل الصناعات الريفية التي فيها. وقد أتى الدايميو إلى السلطة (بالشوغون) منذ القرن الثاني عشر، وهو أشبه بالحاجب في البلاطات، لكن له كل السلطات عدا الأمور الدينية ويورثها لأولاده ويقيم الشوغون في بيدو (طوكيو) فيها بعد. ويحكم بمساعدة مجلس الـ «باكوفو» المؤلف من رؤساء العشائر. وغالبا ما كانوا يتناحرون، وينتقى منهم الموظفون القلائل(١).

ويتكون المجتمع في اليابان من عدة طبقات، ولكل طبقة مجلسها ورؤساؤها المنتخبون ومحاكمها الخاصة، ومجموع الطبقات يكون نوعاً من النظام الإقطاعي اللامركزي. فهناك طبقة النبلاء (الساموراي)، وطبقة البورجوازية (طبقة التجار)، وطبقة الفلاحين، وجماعة (رونان) التي احترفت اللصوصية، وكان خطرها شديداً على المجتمع(٢).

تأثر اليابانيون بحضارة الصين، وكانوا على استعداد لاتخاذ حضارة أجنبية إذا اقتنعوا بقيمتها وتقدمها. ولقد كانت الصين هي المعلم الأول لليابان في الفنون والآداب، وفن الحكم والدين والفلسفة لفترة كبيرة من تاريخ اليابان(٣).

ويغلب على الظن أن الشعب الياباني مزيج عنصري من الملايو والكوريين والصينيين والمغول يضاف إلى عنصر الإينو، وهم سكان اليابان الأصليون، ولا يتجلى هذا المزيج العنصري في مظاهر الخلقة فقط، بل يتعداها إلى الحضارة واللغة اليابانية(٤).

---

(١) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : تاريخ العالم : دمشق ١٩٥٩م، ص ٤٠١.

(٢) شاكر مصطفى وأنور الرفاعي : المرجع السابق : ص ٤٠٢.

(٣) تشستر بين : الشرق الأقصى : ترجمة حسين الحوت، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٢١.

(٤) المرجع نفسه.

ديانات اليابانيين:

تعددت ديانات اليابانيين فمنها البوذيـة التي ظلت الديانة الرئيسة في اليابان عهداً طـويلا، وتعددت مـذاهبها بمرور الـزمن عن طريق إدخال مـذاهبها من الصين وكـوريا. ومنهـا الكونفـوشية التي أدخلت في اليـابان، ولكنهـا لم تنتشر كـدين، غير أن المبادئ الخلقيـة الإنسانيـة أصبحت جـزءًا لا يتجزأ من النظـام الاجتماعي الياباني.

وتعـد الشنتو (طـريق الآلهة) هي ديـانة اليـابان المحليـة قبل دخـول البوذيـة والكونفـوشية. وأكبر آلهة الشنتـو قوى الطبيعـة، وعلى رأس مجموعـة الآلهة إلهة الشمس. وتنقسم هذه الديانة إلى عدة مـذاهب تبدأ بالمذهب الرسمي للدولة، ثم تتفرع إلى عـدة فروع ثانويـة تشبه مذهب الطب الروحـاني. فهم يعتقدون أن أول إمبراطور لليـابان هـو حفيد آلهة الشمـس وقد ورث الـرمز المقـدس لديـانة الشنتو (المرآة والسيف والجوهرة) وهـذا الرمز يرمز إلى طهـارة الضمير والشجاعة والإخلاص في أداء الواجب، وهذا الرمز مقدس لدى اليابانيين.

ثـم انتشرت المسيحيـة في اليابـان إثر تـوافـد البرتغاليين على اليـابان لـلاتجار، فازدهـرت المسيحية، وظلت البعثات التبشيريـة الأجنبية تصل إلى اليـابان لنشر الديـن المسيحي (النصرانية) هنـاك. وقد أدى نشر النصرانية في تلـك البلاد إلى تصادم أهل البـلاد اليابانيين مع الأوروبيين ومع البعثات التبشيريـة التي كانت تقوم بهذا الـدور، وحارب اليابانيـون المسيحية باعتبارهـا وسيلة لتشجيع الاتجار مع الأجانب، وحرمت اليابان نشر المسيحية في البلاد عام ١٦١٢م[1].

وجرت حوادث عنف كثيرة و إراقة دماء ضد المسيحيين الأوروبيون، وقاومها الأوروبيون بضراوة وأخمدوها لكي ينقذوا تجارتهم مهما كان الثمن. ونتيجة لذلك

---

(١) تشستر بين، الشرق الأقصى، ص ٣٩ - ٤٠.

صدرت مراسيم يابانية عام ١٦٣٨م تفرض قيودا على المسيحية، وتنزل العقوبات بأتباعها، فحرم الاتجار مع الأجانب عدا الهولنديين والصينيين، وقضى على الديانات الوافدة من الخارج، ومنع استيراد الكتب الأجنبية[١].

انتشار الإسلام في اليابان:

إن الانغلاق الذي كان قائماً في اليابان حال دون وصول الإسلام إليها رغم وصوله إلى الصين القريبة منها، فلما تم الانفتاح بدأ يصل إلى اليابان بعض التجار المسلمين وخاصة من الهند، غير أن عدد هؤلاء المسلمين لم يكن ليزيد على بضعة أفراد لا يصل عددهم إلى الأربعين، وليس لديهم الإمكانات الكافية للعمل الإسلامي، وبعد الانفتاح الياباني وخاصة بعد الانتصار على روسيا عام ١٩٠٥م، شعر اليابانيون جميعاً أن ديانتهم الشنتوية متخلفة جدا لا يقبل العقل طقوسها، ولا ينسجم الفكر مع تعاليمها، إذ لا يمكن أن يكون الإمبراطور ابناً للإلهة الشمس، لذا اجتمع كبار رجال اليابان للبحث في هذا الأمر بعد أن رأوا فشل الجماعات التنصيرية في اليابان، وبعد أن واجهوا ازدراء الشعب الياباني لهم لأن اليابانيين يكرهون الأجانب ولأن تعاليم النصرانية لا تتفق مع الفطرة البشرية. فاقترح أحد رجالات اليابان النظر في كتاب قدم به مؤلفه إلى اليابان وهو حسان ينوس أحد مسلمي الصين في عام ١٩٠٥م، إلا أن زعماء اليابان رأوا أن تكون الدعوة عامة لأصحاب مختلف الديانات، فوجهت الدعوات إلى الدولة العثمانية، وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا لترسل من تختار للدعوة لدينها، واستبعدت روسيا لكراهية اليابان لها. وهكذا غاب أنصار المذهب الأرثوذكسي في حين حضر أنصار المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي[٢].

---

(١) تشستر بين: الشرق الأقصى: ص ٣٩ – ص ٤٠.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ ٢٢: ص ١٦٩ – ص ١٧١.

ولبت الدول المختلفة الدعوة إلى المؤتمر، وأرسلت مبعوثيها، وعقد المؤتمر برئاسة الإمبراطور الياباني الميكادو مونسوهيتو، وتم الاتفاق على إعطاء الشعب حرية الاختيار للدين الذي يراه، ولكل فرد الحق بما يقتنع ويهوى. ولكن رأى مندوبو الدول النصرانية أن الاتجاه العام لدى اليابانيين قد انصرف نحو الإسلام وذلك من خلال ما لقيه كلام المندوب العثماني من قوة الحجة، وانسجام التعاليم الإسلامية مع الفطرة البشرية. وشاع أن إمبراطور اليابان سيعتنق الإسلام وسيتبعه شعبه فأثار هذا الدول الصليبية عامة والكنائس والبابوية خاصة، فعملت جميعها متكاتفة لتثني الإمبراطور عن عزمه.

ولما كان الإمبراطور الياباني مدركاً للأحوال السياسية، فإنه لم يرغب في مواجهة الدول الكبرى لأنه لا يتمكن من معاداتها جميعها، وإنما أعطى حرية الاختيار للشعب لكي يعتنق الديانة التي يراها مناسبة له، فاتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني، وطلب منه أن يبعث إلى اليابان معلمين للإسلام ومرشدين كي يقوموا بالدعوة هناك.

وتأسيساً على ذلك انطلق الدعاة المسلمون من مصر أمثال أحمد الفضلي، وعلي أحمد الجرجاني، وكذلك اتجه من روسيا (سيبيريا) عبد الرشيد إبراهيم للدعوة للإسلام، وكان ذلك في مطلع القرن العشرين وتحديداً في عام ١٩٠٨م[١].

اتصل عبد الرشيد برجالات من اليابان فأسلم عدد منهم من الرجالات البارزين، وقاموا ببناء مسجد للمسلمين في طوكيو، وتأسيس جمعية للإشراف على شئون المسجد وشئون المسلمين في تلك الديار. ولما قام الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني انقطع الدعم عن المسلمين لزوال السلطان الذي كان يحمل فكرة الجامعة الإسلامية وينادي بها، ويعمل لها. واضطر عبد الرشيد

---

(١) محمود شاكر، : التاريخ الإسلامي : جـ٢٢ : ص ١٧٩ - ص١٧٣.

إلى مغادرة اليابـان بعد أن أمضى بها سبعة أشهر وضع فيهـا بعض ركائز العمل الإسـلامي التي كـانت تعـوق تقـدمهـا مشكـلات منهـا الاستعمار، وأوضـاع الشعب، وتوقف الدعاة والمرشدين .

غير أن اليابـان بعد انتصارها على روسيـا فكرت في التوسع في قارة آسيـا ، لذا فكـرت اليابـان في الاستفادة من المسلمين الـذين يشكلون ثلث القـارة تقريبـاً ، وأظهـرت اهتمامهـا بـالإسـلام لحفـز المسلمين على مقـاومـة الكفـار والـدول الاستعمارية . وبدأ التوسع في الصين وكوريا ، وأنشأت اليابان اتحاد المسلمين في الصين وعملت على دعم نشـاطهم . ولكن لم يكن لهذا كلـه أثـر في الدعـوة إلى الإسلام ؛ لأن الدعاة المسلمين لم يكونـوا مؤهلين ، ولم تكن لديهم خبرة أو معرفة في هذا المجال ، فالدعاة كانـوا من مذاهب إسلامية مختلفة مما أدى إلى خلافهم ، علما بأن خـلافاتهم في الاجتهـاد وليست في الأصـول ، وحـال هذا دون اعتنـاق اليابانيين الإسلام .

ويقدر عـدد المسلمين اليوم في اليـابان بأكثـر من عشرين ألف مسلم، ولهم بعض المؤسسـات الإسـلامية وأكثـرهـا في طوكيـو، ومنهـا الجمعيـة الإسلاميـة اليـابانيـة، والجمعيـة الثقافيـة الإسـلامية ، والمركـز الإسـلامي الدولي، والمركـز الإسلامي في اليابان وله مجلة شهريـة اسمها «السلام» . ويقوم في طوكيو مسجد للمسلمين، كما افتتح في طوكيو معهد لتدريس اللغـة العربية يتبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية . كما توجد مساجد أخرى في بعض المدن مثل كيوتو، كوتش ، كوبي [١] .

الاستعمار البرتغالي والأسباني (١٥٤٥ - ١٦٠٠م) :

وصل البرتغـاليون إلى اليـابان في عـام ١٥٤٢م ، وكان أول من نـزل على تلك الجزر هم أنطـونيو دي مـوتو وفـرانسيسكو زيمـوور وأنطونيـو بيروتـا . وكـانت

(١) محمود شاكر، : التاريخ الإسلامي : جـ٢٢ : ص ١٧٤ - ص١٧٩ .

اليابان آنذاك تمر في فترة من الحرب الإقطاعية وأدت إلى القضاء على نفوذ وسلطة كل من الميكادو والشوجن، وانتهت الحرب بانتقال السلطة إلى أسرة التوكوجاوا، وتولى السلطة زعيم عسكري هو أودانوبيوناجا الذي استطاع أن يكبح جماح سلطان نبلاء الإقطاع، وأن يتولى السلطة العليا في البلاد(١).

ورحب بعض أمراء البلاد الذين كانوا يقاتلون من أجل استقلالهم المحلي بهؤلاء الأجانب، وكان الأمل يحدوهم - الأمراء - في أن يحققوا استقلالهم بمساعدة البرتغاليين.

ومهما يكن من أمر فإن البرتغاليين لم يحققوا باليابان أي مكاسب في النصف الثاني من القرن السادس عشر، حيث إن الصراع بين الأسر الحاكمة جعل من الصعب على البرتغاليين أن يحتفظوا بسلطانهم في تلك البلاد، إذ سرعان ما طردهم الهولنديون من ممتلكاتهم. وفضلا عن ذلك، فإن نمو قوة أسرة نوبيوناجا أزال كل احتمال في نجاح العصيان الذي يقوم به الحكام المحليون.

أما الخطر الحقيقي فكان مصدره البعثات التبشيرية التي كانت ترتبط مباشرة بالقواد البرتغاليين الذين كانت تدعمهم حكومة البرتغال، حيث إن القيام بالتبشير مهمة من مهام الدولة توكل في البرتغال إلى موارد التاج المالية، وهذا يؤكد تطابق المصالح القومية والنشاط التبشيري.

غير أن النشاط التبشيري كاد أن يدمر اليابان لولا حكمة ورزانة القائد هيدوشي الذي عمل على إقامة علاقة طيبة مع البرتغاليين بادئ الأمر، إلا أن هذه العلاقة قد تغيرت بعد أن شعر أن البرتغاليين يحاولون السيطرة على اليابان وإنزال الأسلحة على البر لحماية المبشرين بالمسيحية. وفي عام ١٥٨٧م حظر هيدوشي على المبشرين القيام بأي نشاط في أرجاء اليابان. كما استطاع هيدوشي

---

(١) بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية: ص ٨٣.

منع الأسبان من إقامة وكالات تجارية لهم وأي نشاط تبشيري في البلاد، وذلك بالرغم من وجود علاقات تجارية مع الفلبين [1].

وبعد هيدوشي تولى القيادة أياسوتوكو جاوا في عام ١٦٠٠م، واستمر منصب الشوجنية في أسرة توكوجاوا مائتين وخمسة وستين عاماً، وهي تمارس السلطة العامة على اليابان بأكملها، ولكنها كانت تحافظ على شكليات اللقب الإمبراطوري وهيبته، في حين كان الشوجن هو الحاكم الفعلي في البلاد. وكان على أمراء البلاد (الدايمونات) أن يقسموا يمين الولاء لكل شوجن جديد. وقد استطاعت أسرة توكوجاوا أن تؤسس دكتاتورية دامت أكثر من قرنين من الزمان، إلا أن طابع حكمهم الإقطاعي وعدم تمكنهم من إخضاع الأمراء والرؤساء الإقطاعيين جعل اليابان عرضة للتآمر الخارجي. ومن هذه الأسر الإقطاعية أسرة تشوتشو وأسرة ساتشوما التي كانت تتحدى أسرة التوكوجاوا، ولذلك أصدر الشوجن قراراً عام ١٦٣٧م يمنع الاتصال فيه بالأجانب من أجل ضمان أمن النظام القائم من ثورات النبلاء الأقوياء، وعقد معاهدات مع الدول الأجنبية أو الحصول على أسلحة وعتاد، ومن جهة أخرى، كان هذا القرار له تأثير خارجي بمنع كل اتصال مباشر بين الأجانب والشعب، وهذا يوضح محاولات البرتغال وأسبانيا الوصول إلى اليابان، وإقامة علاقات تجارية مع اليابانيين من خلال النبلاء والأمراء الإقطاعيين.

وقد أظهر معتنقو المسيحية من اليابانيين عطفاً على معلميهم ومستشاريهم الأجانب، فدفعوا من أجل ذلك ثمناً فادحاً جدًّا، وقد أظهر العصيان المسيحي الذي نشب في اليابان عام ١٦٣٧م مدى ذلك الخطر، واستدعى قمع العصيان

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ٨٤ – ص ٨٥.

الـذي كـان يتلقى الـدعم مـن البرتغـاليين تجهيـز جيش ضخم وبـذل نفقـات باهظـة. وكان اليابـانيون على علم تـام بنشاط البرتغاليين والهولنـديين والأسبان والإنجليـز بجـزر المحيط الهادي (الفلبين وملقـا وجـاوة). وقـد علمتهم تلك الأحداث ضرورة معـالجة أمر الأجانب بحـزم، وحرمانهم من كل فـرصة تمكنهم من الحصـول على موطئ قـدم باليابـان. لذا نشـط اليابانيـون في التجسس على الأوروبيين في المنطقة، وخاصة بعد أن علموا بمحاولة أسبانيا غزو اليابان ذاتها. ولكن حكومة اليـابان أمرت بإبعاد جميع الأسبان من البـلاد، ثم وضعت سياسة حازمة بالقضاء على اليابانيين المسيحيين، وانتهت هذه الإجراءات بإغلاق البلاد في وجه جميع الأمـم الأوروبية على السواء (١).

وهكـذا تمكنت اليابـان من إعـادة السلام إلى نصـابه بعـد مـدة طويلـة من الصراع الداخلي، وبفضل قيام نظـام إداري ذي كفاية معقولة وحكومـة مركزية قوية، استطاعت اليابان أن تواجه العالم دون خوف.

وبالرغم من سيـاسة الاعتزال التي اتبعتها اليابـان فترة طويلة، حيث نعمت اليـابان بـالهدوء والسلام، فإنها قـد سمحت للهولنـديين بإنشاء دار تجاريـة في هيرادو ١٦١١م، وكـان البرتغـاليـون يبـاشرون التجـارة في نجـازاكي، وسمح للإنجليـز بإقـامة مـركز تجاري في اليـابان (وشيها). وعـادت هذه المنـافسة بين الشركات التجـارية الأجنبية على اليـابان بالفائدة إذ إن اليـابانيين كانـوا يطلبون السـلاح، وخاصـة المدافع من الإنجليـز والهولنـديين، مما مكن اليـابـانيين من الحصول على أجود الأسلحـة.

ومنعت اليـابـان الأجـانـب أن يحضروا زوجـاتهم ولا أي نسـاء أوروبيـات. وعليهم أن يتقـدموا إلى الشـوجن ضارعين، ومع ذلك فإن الهولنـديين لم يكونـوا محبوبين من الشعب.

---

(١) Wise, white, R.S : Rise of Portuguese Power in India, London 1931, p. 150 - 160. Panikar, K.M. Malabar and the portuguese Bombay 1928, p. 95 - 115.

ومهما يكن من أمر فقد استطاع اليابانيون أن يتعلموا كيف يصنعون المدافع، وهذا مكن اليابان على أن تكون عليمة بمسائل الدفاع، وذلك ساعدها على إدراك ضعفها بالنسبة للأمم الأوروبية. وظل أمر الاعتزال قائماً حتى وصلت السفن السوداء التي يقودها القومودور بري Perry أمام الساحل الياباني في عام ١٨٥٣م. ونجحت السلطات اليابانية في أن تتعلم من الشركات التجارية الأجنبية قدراً كبيراً من علومها ولغاتها لمعرفة التطورات العلمية في بلاد الغرب[١].

اليابان والدول الأجنبية (١٨٥٣ - ١٩١٤م) :

نعمت اليابان بالسلام مائتي عام بعد تطبيق سياسة العزلة وفقد الشواجنة وأتباعهم اهتمامهم بفنون الحرب، أما حكام الأقاليم فقد بدءوا يزدادون قوة، ورغم عناية الساموراي بالأمور الأدبية، فقد احتفظوا بنشاط كبير في مهنتهم الحربية[٢].

وقد أدت سياسة العزلة إلى ظهور طبقة التجار (الطبقة الوسطى)، حيث اقترن منع تموين البلاد بالبضائع المستوردة إلى ظهور نهضة ثقافية عامة، وزيادة في الثروة، مما أدى إلى انتعاش الصناعة والتجارة الداخلية، وجعل طبقة التجار تسيطر على الطبقات الأخرى، ونجم عن ذلك سخط طبقة المزارعين، وارتبط التجار بطبقة النبلاء والأمراء.

اليابان والأجانب:

في العقود الأولى من القرن التاسع عشر أصبح من الصعوبة بمكان احتفاظ اليابان بسياسة العزلة بسبب التوسع الغربي المستمر، فصيادو الحيتان وأصحاب

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ٨٥ - ص٩١.
(٢) تشستر بين: الشرق الأقصى: ص ٩٣.

السفن من الأمريكيين والروس كانوا في حاجة إلى الموانئ اليابانية للحصول على التموين ولعمل الإصلاحات اللازمة للسفن، غير أن اليابانيين رفضوا بعناد دخول أي سفن أجنبية في موانيهم، وعمدوا إلى قتل البحارة الذين نجوا من السفن الغارقة في المياه اليابانية أو أساءوا معاملتهم.

وبدأت أولى المحاولات لفتح أبواب اليابان للتجارة عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد أن أصبحت دولة مطلة على المحيط الهادي بعد ضم كاليفورنيا، فعند منتصف القرن التاسع عشر رأت السلطات الأمريكية ضرورة فتح الأبواب المغلقة قسراً في وجه الغربيين. وكان اليابانيون يعلمون نوايا الدول الغربية ويقدرون قوتها. كما أن ملك هولندا لعب دوراً بارزا لإقناع اليابانيين بفتح أبواب البلاد للتجارة الأجنبية.

حاول التجار الأمريكيون ابتداء من عام ١٧٩١م إنشاء علاقات تجارية مع اليابان، ولكنهم لم ينجحوا في محاولاتهم، وفي السنوات التالية اتخذ الروس إعادة البحارة اليابانيين الناجين من السفن الغارقة ذريعة للدخول في علاقات دبلوماسية مع اليابان، ولكن هذه الخطة وما تبعها من خطط مماثلة قام بها البريطانيون والروس باءت بالفشل. وفي سنة ١٨٣٧م تقدم التجار الأمريكيون مرة أخرى ولكن نيران المدفعية اليابانية ردتهم على أعقابهم. وقد سبب فشل أول بعثة دبلوماسية أمريكية تحت رئاسة القبطان بيدل عام ١٨٤٦م زيادة الضغط في الولايات المتحدة لإرسال وفد أقوى إلى اليابان، ولما امتدت إساءة اليابانيين للأمريكيين الناجين من السفن الغارقة وافقت الحكومة الأمريكية على إرسال بعثة جديدة[١].

(١) تشستر بين: الشرق الأقصى: ص ٩٤ - ص ٩٥.

بعثة بري Perry الأمريكية :

عهد إلى القبطان بري سنة ١٨٥١م برئاسة بعثة جديدة إلى اليابان، وبعد أن قام بدراسة مستفيضة لكل موضوع خاص باليابان وشعبها، صمم على إرغام اليابان على احترامه فاتخذ لنفسه مظاهر العزة والأبهة، وخصص أسطولا قويا لمرافقته بناء على إلحاحه، ثم أصدر أوامره إلى مرءوسيه مؤكداً أن بعثته ذات أغراض سلمية، ولكنه أباح استخدام القوة عند الحاجة.

وصل بري إلى خليج يدو Yado في يوليو ١٨٥٣م، ومعه أربع سفن من بينها سفن بخارية لم تسبق لليابان رؤيتها من قبل، وقد رفض بإصرار مقابلة الموظفين اليابانيين، اللهم إلا أرفعهم مقاماً، كما رفض أن يرحل إلى ناجازاكي كما طُلب إليه، وهذا اضطر الشوجن إلى إرسال مندوب عنه لتسلم أوراق الاعتماد التي بعث بها الرئيس فيلمور، وبعد إتمام مراسم تقديم أوراق الاعتماد أعلن بري عن أن نيته العودة في العام التالي للمفاوضة في عقد معاهدة [١].

عجل بري بالعودة إلى اليابان في فبراير ١٨٥٤م بعد أن أشيع أن أسطولاً روسيا كان يقوم بمناورات قرب اليابان، فعقد معاهدة كاناجاوا مع اليابان في ٣١ من مارس ١٨٥٤م بعد أن قضى أسابيع يفاوض بأناة وحذر. وقد نصت المعاهدة على :

١ - فتح موانئ شيمو دا وهاكوداتي لإصلاح وتموين السفن الأمريكية.

٢ - معاملة البحارة الأمريكيين الناجين من السفن الغارقة معاملة لائقة وإعادتهم إلى وطنهم.

٣ - الموافقة على تعيين ممثلين قنصليين إذا رأت أي من الدولتين ذلك ضروريا.

---

(١) Walwarth, Arther, Black Ships of Japan, New York 1946. p. 35-55.

٤ – تعد اليابان بمنح الولايات المتحدة حق الدولة الأولى بالرعاية.

ولم تثر المعاهدة وقت المصادقة عليها اهتماماً كبيراً في الولايات المتحدة أو في أوروبا، ولكنها اعتبرت حدثاً مهماً في اليابان؛ لأنها أنهت سياسة العزلة التي كانت رائد اليابانيين طوال قرنين، وقد تبعت المعاهدة الأمريكية سلسلة من المعاهدات التي منحت اليابان بموجبها الامتيازات نفسها للبريطانيين سنة ١٨٥٤م، وللروس ١٨٥٥م، وللهولنديين سنة ١٨٥٦م[١].

وقد عرض الشوجن هذه المعاهدات على الإمبراطور للموافقة عليها، ولم يحصل على هذه الموافقة إلا بعد جهد، غير أن رجال الحكومة والبلاط الإمبراطوري أظهروا رغبتهم في إبقاء التجارة في أضيق الحدود.

وطبقاً لنصوص معاهدة كاناجاوا أرسلت الحكومة الأمريكية أول قنصل لها هو المستر تاونسند هارس Townsend Harris ليمثلها لدى حكومة اليابان، واستقبل استقبالاً فاتراً من اليابانيين، وقوبل بروح عدائية ضد القناصل الأجانب، ورغم هذا الاستقبال العدائي استطاع تاونسند أن يفوز بثقة اليابانيين وصداقتهم بما اتصف به من اللباقة الفائقة والصبر والدهاء والأمانة. ورغم ما شعر به من عزلة وما ظهر من أن دولته قد أغفلت شأنه – إذ بقي ثمانية عشر شهراً في اليابان دون أن يتسلم أي رسالة من وزارة الخارجية الأمريكية – فقد حظي بالمثول بين يدي الشوجن، وهي ميزة لم يسبقه إليها أحد، ولم تمنح لأجنبي منذ عام ١٦١٣م. ولما اكتسب ثقة الشوجن بدأ يلقنه مبادئ العلاقات الغربية كما يفهمها الغربيون، ورفض تاونسند دائما أن يستغل اتصاله باليابانيين، فنال مكانة سامية في تاريخ اليابان لم يحظ بها من الأجانب إلا القليل[٢].

---

(١) San sam, G.B. The Western World and Japan. London, 1950, p, 325.

(٢) Ibid.

وكان خير ما حققه تاونسند هو المعاهدة التجارية سنة ١٨٥٨م التي حققت ما يلي :

١ - فتحت أربعة موانئ جديدة للتجارة وهي : كاناجاوا، ونجازاكي، نييجانا، وكوبي .

٢ - أعدت العدة لتبادل التمثيل الدبلوماسي .

٣ - منحت الأمريكيين المقيمين باليابان حق امتداد القوانين سواء في القضايا المدنية أو الجنائية .

٤ - حرمت تجارة الأفيون .

٥ - منحت الأجانب حرية التدين .

٦ - أعدت العدة لوضع اتفاقية للتعريفة الجمركية، ولكنها أعطت حق الأفضلية للمنتجات الأمريكية .

٧ - الاستمرار في منح أمريكا حق الدولة الأولى بالرعاية .

وقد عقدت على وجه عاجل معاهدات مماثلة مع الهولنديين والروس والبريطانيين والفرنسيين بعد المعاهدة الأمريكية اليابانية [1].

رد الفعل الشعبي للمعاهدات مع الدول الأجنبية :

لم يستطع الشوجن تنفيذ معاهدة تاونسند دون استشارة الإمبراطور، ولما عرضت المعاهدة على الإمبراطور رفض المصادقة على المعاهدة، وانتهز أعداء توكوجاوا الفرصة فأيدوا الميكادو (الإمبراطور) ضد الشوجن المغتصب لسلطته، وهكذا بدأ توازن القوى يتحول نحو البلاط الإمبراطوري . وقد أمر الإمبراطور

---

(١) بين، تشستر : الشرق الأقصى : ص ٩٧ .

بطرد الأجانب واستئناف سياسة العزلة، ولكن الشوجن أغفل تنفيذ أوامره تحت تأثير الضغط الأجنبي (١).

فقد اتبع أعداء شوجن تـوكوجاوا سياسة معاديـة للأجانب في السنوات التي تلت توقيع المعاهـدات التجارية مباشرة. وتعالت صيحـات المواطنين اليابانيين ضد الأجانب والمعاهدات وامتيـازات الأجانب، وأصبح مفهوما لدى الجميع أن الأجانب لن يلبثوا حتى يطردوا، فهاج الرأي العام وطالب بطردهم، وكان زعماء القوات المعـارضة هم عشائر سـاتسوما، تشوشـو، هيزن، توسـا، ويشار إليهم غالباً أنهم مجموعة ساتشوهيتو (٢).

وقد بدأ الوطنيون الموالـون للإمبراطور في مهاجمة الأوروبيين والموظفين التابعين لهم بين عـامي ١٨٥٨ و١٨٦٥م، وبلغ هـذا الهجـوم الـدرجـة القصـوى سنـة ١٨٦٢م فقتل ريتشـارد سن الإنجليزي على أيـدي سامـوراي عشيرة ساتسـوما وطالـب البريطـانيون الشوجن والـدايميو من عشيرة سـاتسوما، بـدفع تعويض ومحاكمـة القتلـة وإعـدامهم. سببت حـادثـة ريتشـارد سن ارتبـاكـاً جـديـداً للشوجن، فقد رفض تنفيذ مرسوم إمبراطـوري صدر لطرد الأجانب، ولكنه من جهة أخرى رفض العـروض المقدمة لمساعدتهم، ووافقت حكـومة الشوجن على دفع التعـويض، ولكنها اعترفت بعجـزها عن معـاقبة الجنـاة، وعلى ذلك اتخذ البريطانيـون موقفـاً عدوانيـا فضربوا مينـاء كاجـوشيما التابـع لعشيرة ساتسـوما بالقنابل سنـة ١٨٦٣م، ودمروا جانباً كبيراً من المدينة، وتـرتب على هذا الإجراء العنيف قيام سـاتسومـا بدفع الغرامـة المطلوبـة للبريطانيين، بل التمست منهم مساعدتها في شراء سفينة حربية أوروبية تضاف لأسطول ساتسوما.

---

(١) المرجع السابق: ص ٩٧ - ص ٩٨.

(٢) بانيكار: المرجع السابق: ص ٢١٥ - ص ٢١٦.

وقد قامت الأساطيل الأجنبية بضرب ميناء شيمونوسكي بالقنابل والذي كان تابعا لعشيرة تشوشو المعادية للأجانب، ففي عام ١٨٦٤م دمر أسطول مشترك من الفرنسيين والبريطانيين والهولنديين والأمريكيين وسائل الدفاع الساحلية التي أقامتها عشيرة تشوشو تدميراً تاما. ونتيجة لذلك تخلت هذه العشيرة عن موقفها المعادي للأجانب، وطلبت منهم المساعدة في الحصول على أسلحة أجنبية.

وإزاء هذه الأعمال العنيفة من قبل الدول الغربية ضد اليابان وتهديداتها المستمرة، ونزولا على رغبتها في عقد المعاهدات التجارية، فقد وافق الإمبراطور على المصادقة على المعاهدات سلميا عام ١٨٦٥م. ومما سهل تغيير السياسة موت الإمبراطور والشوجن في العام التالي ١٨٦٦م. وكان الشوجن الجديد هو كيكي، أما الإمبراطور الجديد فهو مينسوهيتو الذي تولى الملك باسم مييجي - أي عصر النور والتنوير -.

وهكذا أسقطت أسرة توكوجاوا وتولت الحكم مكانها عشائر ساتشوهيتو، واستعاد الإمبراطور سلطته في عام ١٨٦٨م، وأصدر أمرا يسمى بـ «الميثاق التعاهدي» لكي يهدئ شعور القلق في البلاد، ويعلن أهداف الحكومة الجديدة، والتزم في ميثاقه بتطبيق المبادئ السياسية والاجتماعية لصالح الجميع، وحل المشكلات من خلال المناقشات العلنية، وإلغاء النظام الإقطاعي واستخدام أكفأ الرجال لتطوير وتجديد اليابان [1].

كما أعلن الإمبراطور عن إنشاء علاقات دبلوماسية مع الدول الأجنبية، وحذر من قتل الأجانب. وذلك لكي يقيم علاقات ودية مع الأجانب، وأنها كانت تود إقامة إصلاح شامل لكي تنهض اليابان وتتطور لتصبح قوية ومواكبة لركب

---

(١) San Som, G.B. The western world and Japan, p. 325.

الحضارة الغربية، فأرسلت مجموعة من الطلاب لكي ينهلوا من معارف الغرب وعلومه، ونجحت اليابان في الأخذ من حضارة الغرب والتعلم من علومه والاستفادة من خبراته ومخترعاته، واهتم الإمبراطور بالمتعلمين ووضعهم في الوظائف المناسبة، كما استدعى الخبراء من جميع الجنسيات لكي تصبح اليابان دولة قوية تساوي أقوى الأمم في العالم. فبدأت مسيرة الإصلاح في اليابان.

حركة الإصلاح والتنوير في اليابان:

قفزت اليابان قفزة سريعة في الإصلاح، وتطورت بسرعة أكبر مما قطعته أوروبا في عدة قرون، وكانت تلك القفزة في ظل حكم دكتاتوري. وتولى حركة الإصلاح جماعة من المثقفين من أهل البلاد ويساعدهم خبراء ومستشارون أجانب. وتميزت هذه الإصلاحات بالعمل على تقدم اليابان وفق النظم الغربية دون أن تفقد اليابان تقاليدها وشخصيتها، وتناولت هذه الإصلاحات جميع نواحي الحياة:

أ- **سياسياً**: أعلن الإمبراطور في مرسوم صادر بتاريخ ٢٩ من أغسطس ١٨٧١م ضرورة تركيز السلطة في مركز واحد، ولهذا ألغى نظام العشائر (الشوغوني الإقطاعي) واستعاض به نظام المقاطعات، فأسست إثر ذلك المجالس المحلية في المقاطعات، وعين لكل مقاطعة حاكم يستمد سلطته من الحكومة المركزية المؤلفة من الإمبراطور ومن وزارة بجانبه ومجلس دولة.

وفي عام ١٨٩٩م - أي بعد حكم مطلق دام عشرين عاما - أعلن الإمبراطور (الميكادو) النظام النيابي الذي كان قد وعد به منذ تسع سنوات بعد أن وضع الوزير (ايتو) دستوراً لليابان استوحاه من الدستور البروسي، وبموجبه يصبح للدولة برلمان مؤلف من مجلسين: مجلس أعيان يعين تعيينا، ومجلس نواب ينتخب أعضاؤه ممن يدفعون مقدارا معينا من الضرائب. ويرأس السلطة

التنفيذية (الميكـادو) الإمبراطور الذي ينتخب الـوزراء ويعزلهم، وينشر القوانين ويعين الموظفين . . إنـه ليس بنظـام برلماني حقيقي فـلا مسئـوليـة وزارية فيـه، والحريات العامة أعلنت نظريا ولكنها لـم تحترم (فالصحف كانت مراقبة بشدة ولم تكن خـلافات الأحـزاب أكثر من بقـايـا للخلافـات العشائريـة الإقطاعيـة القديمة). وأنشأ الإمبراطور مجلسا للبـلاط الإمبراطوري مكون من الشخصيات الممتازة والسيـاسيين ذوي الخبرة على غرار المجلس البريطاني حيث إن الـدستور اليابـاني تأثر كـذلك بالـدستور الإنجليـزي إضافـة إلى الدستـور الألماني، وكان الدستور يهدف إلى المحـافظة على سلطة العرش، وإقناع العالم بأن اليـابان دولة متحضرة[1].

وتشكلت الأحزاب السياسية في اليابان في عام ١٨٨١م حيث كون إيتاجاكي حـزب الأحرار «جيـوتو» لتشجيع الحكـومـات الدستـورية والنيـابية، وفي عـام ١٨٨٢م كون الكونت أوكوما الحزب التقدمي (كايشنتو) للغرض السابق نفسه. ورغم أن حزب الأحـرار كان يستند إلى تأييـد المناطق الريفيـة، والحزب التقدمي يستند إلى تأييد الطبقـة البورجوازية فإن تكوين حـزبين لهدف واحد يفسر لنا أن اليابانيين كـانوا يتجهون إلى اتباع الـزعماء لا المبادئ. ولم تحل سنة ١٨٨٣م حتى اتهمت الحكومة هذه الأحزاب بإثـارة الفوضى، وأمرت بحلها. وقد أدى ضعف الأحزاب السيـاسية إلى أن أصبح الدايت (البرلمان) في ظل الدستـور الجديد أداة لتعطيل الأعمال بدلاً من أن يكون هيئة إنشائية بناءة[2].

وأنشأت حكومة اليابان إدارة للقـانون الجنائي، كما نظمت الإدارة القضائية، ووضعت قـانونـا آخـر للإجـراءات الجنـائية. وعمل النظـام الحاكم على فصل

(١) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى : تاريخ العالم : ص ٤٠٩.

(٢) بين، تشستر : الشرق الأقصى : ص ١٠٤.

السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، ووضع على رأس السلطة القضائية محامين مدربين، وقد تمت هذه الإصلاحات سنة ١٨٨٩م بعد أن أضيف إليها قانون الإجراءات المدنية (المرافعات) (١).

وجاءت هذه الإصلاحات القضائية من جانب حكومة اليابان لكي تتخلص من قيود الامتيازات الأجنبية والمعاهدات غير المتكافئة، فحاولت بريطانيا مع الدول الغربية من أجل إلغاء هذه القيود، ونجحت في محاولاتها، ففي عام ١٨٨٧م تنازلت المكسيك عن قضائها القنصلي، كما عقدت معاهدة بين اليابان وأمريكا جعلت لليابان الحق في الاستقلال بوضع تعريفتها الجمركية، وعقدت بعد ذلك معاهدة تسليم المجرمين، ومع ذلك لم تعقد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مع اليابان معاهدات تنص على إلغاء الامتيازات الأجنبية إلا في عام ١٨٩٤م وتبعتهما الدول الأخرى. وفي عام ١٨٩٩م أصبحت المعاهدة نافذة، وصار من حق اليابان تطبيق نظامها القضائي على كل الأجانب المقيمين على الأرض (٢).

ومما لا ريب فيه، أن الدستور قد ركز على أن الإمبراطور مقدس ولا يجوز المساس به، والإمبراطور سليل السموات، وهو إلهي مقدس. فكيف يتفق هذا الإعلان مع ضمان حريات الشعب، ومع تحقيق رغبات الشعب؟

ب - **اجتماعيا** : حطمت طبقة النبلاء تحطيما قويا، فمنذ عام ١٨٧١م فقد الدايميو (النبلاء) حقوقهم، وخاصة حق ضرب النقود، وفقدوا أملاكهم وفرض عليهم تهديم قصورهم المحصنة. ثم صودرت أملاك الكهان البوذيين ووزعت بعد ذلك الأراضي على الفلاحين الذين تحرروا من القنانة (العبودية) سنة

---

(١) بين، المرجع السابق ص ١٠٤.

(٢) بانيكار : المرجع السابق : ص٢٢٣ - ص ٢٢٤.

١٨٧٢م. وقـد فتح بـاب العمل على مصراعيـه لجميع الـرجـال على السـواء، وانـدمج النبـلاء (الدايميـو) في الـدوائر المالية الكبرى بما لـديهم من رأس مـال ضخم من معاشاتهم المستبدلـة.

وأما الساموراي فقد انضموا إلى جميع مراتب الطبقة المتوسطـة، وطبقة الزراع تبعا لما يمتـازون به من قدرات ومـا لديهم من رأس مال، وأصبح للـرجل المعتاد ولأفراد الطبقة المتوسطة مطلق الحريـة في اختيار كثير من المهن التي كانت أبوابها مقفلة في وجوههم من قبل، وهـذا ما جعل من اليابان دولـة صناعية عظمى في بضع عشرات من السنين. كما فقـد السـامـوراي امتيـازاتهم القليلـة كحق حمل سيفين، وأضحـوا نـواة الجيش الجديـد. ولكن الانقـلاب لم يجر هينـاً لينـاً فإن النبلاء عبروا عن استيائهم بثورات كان أخطرها ثـورة (ساينو) التي سحقت سنة ١٨٧٧م، وباغتيالات كان أقساها اغتيال الوزير المصلح أوكوبو ١٨٧٨م [١].

جـ - اقتصاديا: عملت الحكومة على ربط البلاد بشبكـة مواصلات حديثة كالتلغـراف بين طوكيـو ويوكـوهامـا عام ١٨٦٩م، والسكـة الحديد بينهما سنـة ١٨٧٢م. وعملت اليـابـان على إنشـاء أسطـول كبير لتنشيط حـركـة التجـارة والتبادل التجـاري في الداخل والخارج. كما عملت حكومة اليـابان على تنشيط الصناعة الحديثة، فشجعت الصناعـات بتقديم المعونات المالية، وشراء الأسهم والسندات وتكوين الشركات الحكومية، كما ركـزت جهودها في إنشاء مؤسسات مـالية وبـورصة للبضـائع. وأسست الحكـومة شركـة مـلاحية وسكك حديـد وخطـوط بـرق لتسهيل التطـور الصناعـي. وبعد أن تمت الصنـاعـات الثقيلـة الأساسيـة كالتعـدين والصلب وبناء السفن لسـد الحاجات العسكـرية أقيمت

---

(١) أنـور الـرفـاعي وشاكـر مصطفى: تـاريخ العـالم: ص ٤٠٩، وانظـر كـذلك تشستر بين: الشرق الأقصى: ص ١٠٥.

الصناعات الخفيفة كصناعة المنسوجات بقصد إنتاج سلع التصدير، واقتحمت الحكومة ميدان الأعمال التجارية، وقد ساعدها على ذلك وجود أيد عاملة ماهرة كثيرة، ووجود اختصاصيين من الأجانب، وكذلك وجود المواد اللازمة للصناعة كل هذه العوامل مكنت اليابان من التقدم والتطور الصناعي.

فقد ظهرت في اليابان أول آلة غزل ميكانيكية سنة ١٨٧٠م، وأول معمل للورق سنة ١٨٧٤م، ولكن التطور كان بطيئاً ووصل هذا التطور ذروته في عام ١٩١٣م حيث بلغ عدد العمال اليابانيين في المناجم حوالي ربع مليون عامل [1].

د - **النهضة التعليمية** : أعادت الحكومة اليابانية النظر في نظم التعليم اليابانية بحيث تترسم خطى أحسن النظم التعليمية الأجنبية، فاستدعت الحكومة الإمبراطورية عدداً كبيراً من رجال العلم، والأجانب للمساهمة في إنشاء المدارس والجامعات الجديدة، وجعلت الحكومة التعليم إجباريا، وفتحت أبواب المدارس والجامعات لجميع الطلاب، وأرسلت البعثات العلمية إلى الخارج للتخصص، كما استقبلت اليابان مبعوثيها في الخارج ليشاركوا في النهضة التعليمية في البلاد، وليقوموا بالتدريس في المدارس الجديدة. وانتشرت الصحف والمجلات والكتب ونشطت حركة التأليف والترجمة.

هـ - **إصلاحات أخرى** : قامت اليابان بسن قوانين مدنية وجنائية بعد دراسة القوانين الغربية، وأعلنت المساواة أمام القانون وحرية الاعتقاد.

وأبطلت حكومة اليابان الاعتراف بالبوذية دينا رسميا للدولة، وحلت محلها الشنتو. ولكن دستور عام ١٨٩٩م كفل حرية العقيدة للجميع ما دام الدين لا يعرض السلام أو النظام للخطر.

---

(١) تشستر بين، الشرق الأقصى : ص ٤١٠.

ونظمت الحكومة الجيش على أسس النظام الغـربي، وخاصة النظام البروسي (الألماني)، وقـام على تـدريبـه وتنظيمـــه ضبـاط أوروبيـون، وجعلت الخدمـة العسكريـة إجبارية، وأنشئت الكليـات للضباط، وأسس أسطـول بحري على غـرار الأسطـول البريطـاني، كما أقيمت معـامـل الأسلحـة والبـارود ومسـابك الحديد.

وقامت الحكومة اليابانية بإصلاح السجون وتنظيمها، وإصلاح الطرق ونظم البريد والهاتف وألغت الغرف التجارية.

كما شمل الإصـلاح المظاهـر الخارجيـة، فدخلـت الملابس الأوروبية البـلاد وكانت أول الأمر مضحكة حتى لبسها الإمبراطور والإمبراطورة.

وهكذا فإن اليابـان قد تطورت وأصبحت أوروبية لتقـاوم أوروبا ولتبقى أكثر يابـانية ممـا كانت، وكان جـل اهتمامها منصرفا لتقـوية الجيش، غير أن اليـابان واجهتها أزمـات ومصاعب ماليـة وزيادة عدد السكـان مما أوجد لـدى السكان حبا للهجرة، مما جعل الحكومة اليابانية تميل إلى الفتح الاستعماري [١].

التطورات السياسية في اليابان ١٩٠٠ - ١٩١٤م :

الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤م :

كان الروس يهتمون بمنشوريا منذ عام ١٨٦٠م، وازداد اهتمامهم أكثر عندما احتلت اليابـان كوريـا، وقضت على النفوذ الصيني فيهـا. وقد تبين لـروسيا أن سيطرتها على كوريا ومنشوريا ضرورية لكي تستثمر إمبراطوريتها في آسيا استثماراً ناجحاً، إذ لم يكن لـديها ميناء ذو مياه دافئة، كما أن إكمال سكة حـديد سيبيريا التي تمر عبر منشوريا شيء أسـاسي، ذلك لأن إكمالها في أراضٍ روسية سيكلفها الكثير من المشقة والنفقـات، وفي الوقت نفسـه كانت منشـوريا قليلـة السكان غنيـة بمواردهـا، أمـا كوريـا فكـانت كثيرة السكان ممـا مهـد الطريق لاحتـلال روسيا.

(١) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى : المرجع السابق : ص ٤١٠ - ص ٤١١.

وكانت روسيا قد عقدت حلفاً عسكريا مع الصين حصلت بموجبه على حق مـرور سكة حـديـد سيبيريـا عبر منشوريـا بمـوجب اتفاق لي هـونج شـانج - لوبانوف ١٨٩٦م . وقد دعم الروس هـذا الامتياز ووسعوا مداه باستئجـار بورت آرثر والحصول على امتيازات إضافيـة خاصة بالسكك الحديد ١٨٩٨م ، واتخذوا من ذلك ذريعة لاحتلال منشـوريا بقواتها العسكريـة . وترتب على تنقل القوات الروسية من مكان إلى آخر في منشوريا عقد اتفاق مع الصين سنة ١٩٠٢م . وفي أبريل ١٩٠٣م تقـدمت روسيا إلى حكـومة بكين الصينية بـاقتراحات لـو قبلتها لأصبحت منشوريا ومنغوليا تحت حماية روسيا (١) .

وخلال هـذه التطورات احتلت اليابان كـوريا وسيطرت عليهـا تماما ، والتجأ ملكها إلى روسيا بعد مقتل زوجته ، وطلب الحماية من روسيا ، وبدأ يحل الموظفين والمستشارين الروس بدلا من اليابـانيين ، ولما قضى على النفوذ الياباني عاد ملك كوريا إلى بلاده ليحكـم مستقلا . ونتيجة لذلك عقدت اليابان اتفـاقاً مع روسيا يقضي بتقاسم المصالح في كوريا ، وتم ذلك في عام ١٨٩٥م (٢) . وبموجب هذا الاتفاق اعترفت الـدولتان باستقلال كـوريا كما اتفقتا على الامتناع عن مسـاعدة الجيش الكـوري ، واعترفت روسيـا بمصالح اليـابـان التجـارية والصنـاعيـة في كوريا .

وأدت هذه الأعمال إلى عقـد تحالف بين اليابان وبـريطانيا ضد روسيـا هدفـه الاحتفـاظ بالـوضع الـراهن في شرق آسيـا وعدم تمكين روسيـا من الاعتـداء على الصين وكوريا وذلك لوجود مصالح إنجليزية في تلك البلاد (٣) .

وعملت فرنسا وروسيا على مناهضة التحـالف البريطاني الياباني ، وأعلنتا عن تمسك الـدولتين بسياسـة الباب المفتـوح والمحافظـة على الأوضاع في شرق آسيـا

---

(١) تشستر بين : الشرق الأقصى : ص ١٥٥ - ص ١٥٧ .

(٢) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى : تاريخ العالم : ص ٤١٦ .

(٣) بانيكـار : آسيا والسيطرة الغربية : ص ٣٠٥ .

وسلامة الصين وكوريا، وحاولت روسيا استئجار ميناء في كوريا، غير أن اليابان قد أحبطت محاولاتها، وفي الوقت نفسه سيطرت اليابان على تجارة كوريا وسككها الحديد، وحصلت على تسهيلات في الموانئ.

وفي عام ١٩٠٣م عرضت اليابان على روسيا أن تعترف بمنطقة النفوذ الروسي في منشوريا إذا قبلت روسيا أن تعترف بمركز اليابان الممتاز في كوريا، وردت روسيا بأنها توافق على الاعتراف لليابان بمركزها التجاري والصناعي الممتاز في جنوب كوريا، ورفضت اليابان هذا الرد، وتوتر الموقف بين الطرفين، وقدمت اليابان اقتراحات بشأن حرية الملاحة في كوريا، وإنشاء منطقة محايدة بين كوريا ومنشوريا على طول الحدود، وربط سكك حديد كوريا منشوريا بعضها ببعض، والاعتراف بمركز روسيا الممتاز في منشوريا ومركز اليابان الممتاز في كوريا[١].

وقد رفضت روسيا هذا الاقتراح وما تلاه من اقتراحات، ومدت أجل المفاوضات حتى نفد صبر اليابان. وفي ٦ من فبراير ١٩٠٤م غادر الوزير الياباني المفوض موسكو مهددا بأن بلاده ستلجأ إلى استخدام القوة، وبعد ذلك بيومين هاجمت الأساطيل اليابانية الوحدات البحرية الروسية في شملبو وبورت أرثر.

الحرب الروسية اليابانية:

دارت المعارك الحربية على أرض الصين وبالذات في منطقة منشوريا التي أضحت منطقة قتال. وقد بادرت اليابان القوية بصناعاتها وأسطولها وجيشها بالسيطرة على منشوريا بعد أن هزمت القوات الروسية في معركة دموية قصيرة على نهر يالو، وسقطت بورت أرثر في أيدي اليابانيين في ٣ من يناير ١٩٠٥م أي

---

(١) تشستر بين: المرجع السابق: ص ١٦٠ - ص ١٦٢.

بعد ثمانية أشهر من القتال العنيف. وتصدى اليابانيون للروس بعد ذلك في مكدن حيث وقعت أكبر معركة منفردة في الفترة من ٢٣ من فبراير إلى ١٠ من مارس ١٩٠٥م، وانتصر اليابانيون في هذه المعركة بعد أن تكبدوا خسائر فادحة. وساعدهم على ذلك تفوق قوتهم البحرية وتدمير الأسطول الروسي واتباع أسلوب المباغتة في القتال[١].

ويعزو العسكريون أسباب هزيمة الجيش الروسي إلى فقدانه للقيادة القوية الحازمة المدربة، وإلى قلة تجهيز وإعداد وتدريب الجيش الروسي علاوة على أن الأساطيل الروسية كانت في بحر البلطيق والبحر الأسود، وهما بحران مغلقان[٢].

وهكذا فإن الحرب التي أنهكت قوى الطرفين أدت إلى قبول كل من الطرفين لوساطة الولايات المتحدة الأمريكية لوقف القتال وعقد صلح بين الطرفين، وبعد مفاوضات طويلة، عقدت معاهدة بورتسموث ١٩٠٥م، والتي بمقتضاها نالت اليابان نصف شبه جزيرة سخالين غرامةً حربية، كما حصلت اليابان على شبه جزيرة لياوتونج وسكة حديد بورت أرثر، وأن تعترف روسيا بمصالح اليابان في كوريا، كما تحصل اليابان على حق الصيد في مياه سيبيريا. وانتهت الحرب بخنق آمال روسيا في الشرق الأقصى وتحولها إلى البلقان. وبذلك تكون اليابان قد حققت استراتيجيتها الحربية في تحقيق نصر عاجل، وعقد صلح سريع قبل أن تعبئ روسيا قواتها العسكرية الكاملة، وكانت انتصاراتها الأولى عظيمة ولكنها غير حاسمة، وساءت حالتها المالية، ولم تشأ الدول الغربية أن تقدم لليابان قرضا خشية إذلال روسيا إلى حد الخطر مما يهدد مصالح

---

(١) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى : المرجع السابق : ص ٤١٦.

(٢) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين، ص ١٢٥ - ١٢٧.

الدول الغربية، لـذلك تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بـوساطة لعقد صلح بين الجانبين في مدينة بورتسموث [1].

نتائج الحرب:

١ - أحرزت اليابان نصراً رفع شـأنها في الخارج، وزادها اعتداداً بقوتها، ومع ذلك فإنها لم تحصل على كل ما طلبته.

٢ - جددت اليابان المعاهدة الإنجليـزية اليابانية ١٩٠٥م، وشملت الهند، واعترفت لليابان بمركزها الممتاز في كوريا.

٣ - لم تفقد روسيـا نفوذها كـاملا، كما لـم تفقـد سمعتها في الخارج رغم أن الثورة الداخلية أضعفتها، ولذا ظل نفوذها قويا في شمال منشوريا.

٤ - تفاوضت اليابان مع الصين، وعقدتا الاتفاق الصيني الياباني ١٩٠٥م، ولم يقتصر هـذا الاتفـاق على اعتراف الصين بمكـاسب اليـابـان في الحرب، بل سمح لها بامتيازات جديدة كإنشاء خط حديدي من أنتونج إلى مكدن، وفتحت مدن أخرى في منشوريا لتجارة اليابان، كما وافقت الصين على ألا تنشئ خطوطاً حديدية تنافس الخطوط الحديدية اليابانية في منشوريا.

٥ - ضم كـوريـا إلى اليـابان وتأييـد الـدول الكبرى لـذلك، وذلك في عـام ١٩١٠م بعد محاولات مستمرة لإلحاقها باليابان.

٦ - خولت معـاهدة بورتسموث حق دخـول منشوريا وإنشاء سكك حـديد برءوس أمـوال صينية ويـابانيـة مع الاحتفاظ لليـابان بـالإشراف، لكن أمـريكا حاولت الحصول على بعـض الامتيازات بشأن إنشاء سكك حديـد في منشوريا،

---

(١) تشستر بين: الشرق الأقصى: ص ١٦٢.

ولكن هذه المحاولات قد باءت بالفشل بسبب معارضة الدول الغربية (بريطانيا وفرنسا) وروسيا واليابان [1].

الحياة السياسية في اليابان (١٨٩٠ - ١٩١٣م) :

ولم تتغير الحياة السياسية في اليابان، فقد بقي أربع أخماس الشعب محروماً من حق الانتخاب، وبقي وزراء الحربية والبحرية مستقلين عن كل رقابة. وحرم كل عمل اجتماعي فمنع حزب اشتراكي من الظهور عام ١٩٠١م.

وكانت قد ظهرت أحزاب سياسية بعد انتخابات عام ١٨٩٠م، فقد ظهر حزبان جديدان هما حزب الأحرار (جيوتو)، وحزب كايشنتو (الحزب التقدمي)، وقد عجزت الأحزاب عن السيطرة على سياسة الحكومة التي كان يوجهها زعماء العشائر تحت زعامة إيتو، فطالبت بإقامة حكم دستوري وفشلت في ذلك. واتخذ إيتو من الحرب الصينية اليابانية ذريعة للقضاء على معارضة الأحزاب، وبدأت الروح الحربية تأخذ طريقها في السيطرة على أمور البلاد، وأصبح الجيش هو الذي يسيطر على الحياة السياسية، فيشكل الوزارات ويسقطها.

وفيما بين عامي ١٩٠١ - ١٩١٢م أوقفت الأحزاب تنافسها مع الحكومة، وعملت على التحالف مع الحكومة لاقتسام الغنائم، غير أن الإمبراطور توفي في عام ١٩١٢م، وتولى الوزارة الأميرال ياماموتو، وخلفه أوكوما ١٩١٤م الذي نادى بالتوسعين الصناعي والتجاري السلميين وخفض الضرائب، وظل رئيساً للوزراء حتى عام ١٩١٦م [2].

---

(١) تشستر بين : المرجع السابق : ص ١٦٤ - ص ١٦٦.

(٢) المرجع نفسه : ص ١٦٦ -ص ١٦٨.

أما الحياة الاقتصادية في اليابان فقد أعطت أعظم المردود، فقد تقدمت الزراعة باستعمال السماد وتنظيم الري. وظهرت بجانب الصناعات الحكومية معامل خاصة للغزل والنسيج والصناعة الثقيلة والمنتجات الكيماوية. وقفز عدد الآلات بين ١٩٠٠ - ١٩١٠م من ٢٠ ألفاً إلى ١٢٥ ألفاً. وقد ساعد على هذا التطور توفر الأيدي العاملة الرخيصة الأجور، وبلغ عدد السكان في ذلك الوقت ٥٣ ألفاً.

وهكذا صعد خط التطور التجاري بقوة في السنوات الأولى من القرن العشرين، وارتفعت أرقام التجارة الخارجية من ٥ ملايين جنيه سنة ١٨٧٧م إلى ١٤ مليونا سنة ١٨٩٠م ثم إلى ٥٠ مليونا سنة ١٩٠٠م، ووصلت إلى ١٣٥ مليونا سنة ١٩١٣م. وكانت البضائع تنقل بسكك حديد بلغ طولها قبل الحرب العالمية الأولى عشر آلاف كيلومتر، وعلى أسطول تجاري بلغت حمولته إذ ذاك مليونين ونصف المليون من الأطنان [١].

ومع ذلك فقد تتابعت الهجرة من اليابان إلى أستراليا ونيوزيلندة والولايات المتحدة، واتجهت بعض الهجرات إلى كوريا وفورموزا حيث أخذت شكل استعمار حكومي، وبعضها اتجه إلى الصين وأمريكا الجنوبية. وكانت هذه الهجرات تشكل طلائع التدخل والاستعمار.

ومن الطبيعي أمام هذا النصر الواسع أن يثور الغرور القومي في اليابان، فتظهر رأسمالية استعمارية (إمبريالية) جديدة تطالب بسيادة المحيط الهادي، وتنادي بمبدأ آسيا للآسيويين على غرار أمريكا للأمريكيين [٢].

---

(١) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى: تاريخ العالم: ص ٤١٧.

(٢) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى: تاريخ العالم: ص ٤١٧.

دخول اليابان في الحرب :

اعتبرت الحرب العالمية الأولى في العرف الحربي مسألة أوروبية، ولكن صداها لم يلبث أن تردد في شرق آسيا، وكانت النزعة الاستعمارية الأوروبية حينئذ قد وصلت إلى حد الركود نظراً لتقارب التوازن بين الدول. وأصبحت أملاك ألمانيا في آسيا غنيمة سهلة لليابان التي استندت إلى تحالفها مع بريطانيا.

لم تقض شروط التحالف الإنجليزي الياباني بدخول اليابان في الحرب، وقد رفضت بريطانيا نهائيا العرض الذي تقدمت به اليابان للمساعدة، غير أن اليابان صممت على الاستيلاء على ممتلكات ألمانيا في الشرق الأقصى. ففي ١٥ من أغسطس ١٩١٤م أرسلت اليابان إنذاراً نهائيا للحكومة الألمانية بتسليم ممتلكاتها في خليج كياو تشاو وسفنها الحربية في مياه الصين[1].

ولما كانت الصين تأمل تجنب التدخل الياباني فقد وازنت احتمال تسليم ألمانيا كياو تشاو أو إعلان الحرب عليها، فاعترضت اليابان بعنف على الاقتراحين، ولهذا عمدت الصين إلى تحديد دائرة النزاع بإقامة منطقة حربية حول خليج كياو تشاو، ولكن القوات البريطانية واليابانية استمرت في الاستعداد القوي لمحاصرة تسنج تاو المعقل الألماني في كياو تشو فسلمت الحامية الألمانية الصغيرة في نوفمبر. وهاجم اليابانيون الصين واحتلوها أو عاملوها معاملة البلد المهزوم، واستولوا على جميع سكة حديد تسنجتاو - نسينان الألمانية رغم أنها تدار برءوس أموال خاصة صينية وألمانية. ولكن اليابان عجزت عن الاستيلاء على الأسطول الألماني المحلي في تسنجتاو؛ لأنه فر إلى جزر كارولين، فتوجه أسطول ياباني بريطاني للاستيلاء على هذه الجزر الألمانية وعلى السفن الألمانية التي تهاجم طرق

(١) San Som, G.B., Westren world and Japan, London 1950, p. 390.

التجارة البحرية، ولم ينته عام ١٩١٤م حتى كانت اليابان قد استولت على جميع الجزر الألمانية في شمال خط الاستواء، بينما استولت أستراليا ونيوزيلندة على الجزر الواقعة جنوب خط الاستواء بما فيها غينيا الجديدة، ومع ذلك لم تتطهر مياه المحيط الهادي من السفن الألمانية إلا في ديسمبر ١٩١٦م[(١)].

سعت الصين بعد تسليم تسنجتاو إلى إخلاء أراضيها من الجنود اليابانيين، فعمدت إلى إلغاء المنطقة الحربية، ولهذا ادعت اليابان أن هذا إجراء غير ودّي، واتخذته حجة لتقديم عدة مطالب إلى الصين تقضي بحل كل المشكلات المتعلقة بالممتلكات الألمانية في الصين، ومنح اليابانيين امتيازات واسعة في شانتونج، وزيادة سيطرة اليابان الاقتصادية والسياسية في منغوليا ومنشوريا، ومد عقد إيجار بورت أرثر إلى تسع وتسعين سنة، واحتكار اليابان للمناجم والمعادن والصناعات الحديدية في حوض نهر يانجتسي المهم في الصين. وأخيراً اشترطت اليابان على الصين أن تكون اليابان هي الدولة الوحيدة صاحبة الحق في تقديم المشورة للصين في شتى المجالات، وأن تشتري الصين أسلحتها ومعداتها من اليابان، وأن تمنح اليابان امتيازات واسعة لإنشاء السكك الحديد، وأن يمنح اليابانيون حق تملك الأراضي الصينية، ويمنحون كذلك حقوقا خاصة بالبعثات التبشيرية، كما تمنح اليابان حق استئجار إقليم فوكين[(٢)].

رفضت الصين هذه المطالب بادئ الأمر، وحاولت الحصول على دعم خارجي من الدول الكبرى، غير أنها لم تتلق دعماً من أحد بسبب انهماك هذه الدول في الحرب ما عدا الولايات المتحدة التي لم تتخذ موقفاً حازماً من اليابان. فوافقت الصين أخيراً على مطالب اليابان في ٧ من مايو ١٩١٥م، وقبلت معظم

---

(١) تشستر، بين : الشرق الأقصى : ص ١٧٠.

(٢) بانيكار : المرجع السابق : ص ٣١٠ - ص ٣١٣.

المطـالب ، وفي مقابل ذلك تعهـدت اليـابان بإعـادة كيـاو تشو إلى الصين بعـد الحرب ، على أن تصبح ميناء تجاريا تحتفظ اليابان لنفسها فيه بامتياز، يضاف إلى ذلك أن اليابان حصلت على امتيازات في منشوريا ومنغوليا ، وعلى مد عقد إيجار بورت أرثـر [١] .

اتخذت اليابان إجراءات عاجلة لتثبيت مكاسبها في الصين والمحيط الهادي . ولما كانت الغواصات الألمانية تهدد الحلفاء ، فقد وافقت كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليـا وروسيا على أن تعترف بمغـانم اليابـان الحربية في مـؤتمر الصلح المقبل مقابل إرسال اليـابان من مدمراتها لمسـاعدتها في البحر المتوسط . وقـد تظاهرت اليابان للصين بالصداقة لتهدئ ثـائرتها ، فالعسكريون الشماليون في الصين كانوا في حاجة إلى المال ، وقد استطاعت اليـابان كسب ودهم بمنحهم القروض المالية في عامي ١٩١٧ و ١٩١٨م التي استطاعوا بها أن يـوحدوا قواهم ، وزاد هذا من خطر اليـابان ونفوذها السيـاسي في شمال الصين . وبعد قيام الثورة الشيـوعية في روسيا استغلت اليابـان ذلك لتعقد اتفاقاً مع الصين يقضي بـالتعاون العسكري المشترك بين البلديـن ضد الشيـوعيين . وقد وضع هـذا الإجراء الجيـوش الصينية تحت الإشراف الياباني الفعلي [٢] .

وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة حليفـة لليابان بإعلانها الحرب على ألمانيا بادرت اليابـان بانتهاز هذه الفرصـة والحصول على موافقة الـولايات المتحدة على مكاسبها الحربية في الصين ، فأرسلت الكونت إيشي على رأس بعثة عسكرية إلى واشنطن ، واستطاع إيشي الوصول إلى اتفاق مع لانسنج Lansing وزير الخارجية الأمريكية يقضي بتأكيد البلدين سياسة الباب المفتوح وسلامة الصين ، واعتراف

---

(١) جلال يحيى : الشرق الأقصى : ص ٣٤٥ - ص ٣٥٠ .

(٢) المرجع السابق .

الـولايات المتحـدة بالعـلاقـات الخاصة بين اليـابان والصين على أسـاس الجوار والتشابه العنصري .

وقد قررت وزارة الخارجية الأمريكية أن هـذا انتصار لسياسة الباب المفتوح في حين نظرت إليه اليابان على أنه تدعيم لمركزها الخاص في الصين [١] .

وكما أشرنـا فقـد اتجهت اليـابان إلى تنميـة صنـاعتهـا في الفترة من ١٨٩٠ - ١٨٩٣م، إلا أنها ظلت حتى عـام ١٩١٤م متأخـرة عن الـدول الأوروبيـة، ولم تكن هذه الصنـاعة قـادرة على التصدير. إلا أن الحرب العـالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م جعلت اليابان دولـة متقدمة جدا لأن المنـافسة الأوروبية زالت فجأة في أسواق الشرق الأقصـى . حتى إن اليابـان باعت منتجـاتها الصناعيـة إلى روسيا التي بـاعتهـا أسلحة، وبـاعت منتجـات صنـاعية إلى شيلي وبيرو في أمـريكـا الـلاتينية . كما استطـاعت أن تبيع منتجـات صناعيـة إلى الـولايات المتحـدة في كـاليفورنيـا . وشوهـد في اليابـان نمو سريع جـدًّا في الصناعـة، فبين ١٩١٤ - ١٩١٨م زاد استهـلاك الفحـم ٤٣٪ وعـدد العمال في المعـامـل ٦٧٪، وإنتـاج الحديد الخام ٢٨٪، ونمت الصـادرات نموا عظيماً، فقبل ١٩١٤م كـان الميزان التجاري في اليـابان في حالة عجـز دائم، وإذا به يصبح فائضـا فجأة . وخلال أربع سنـوات بلغ هــذا الفـائض ١٤٠ مليـون ين يـابـاني . غير أن الأوسـاط الاقتصـادية اليـابانيـة كانـت تدرك أن هـذا الخصب الاقتصادي لن يكـون إلا موقـوتا، وأن المنـافسة الأوروبيــة ستعـود في سـوق الشرق الأقصى بعــد نهاية الحـرب [٢] .

---

(١) تشسترين : الشرق الأقصى : ص ١٧٢ - ص ١٧٣ .

(٢) بييـر رونـــوفن : تاريخ القرن العشريـن : تعريب الدكتور نـور الدين حـاطوم، دمشـق ١٩٦١م، ص ١٢٨ .

اليابان بين الحربين العالميتين ١٩١٩ - ١٩٣٩م

اشتركت اليابان في الحرب العالمية الأولى لأغراض استعمارية تحت زعامة رئيس وزراء من الأحرار هو الكونت أوكوما. وقد اتفق الزعماء السياسيون اليابانيون على أهداف السياسة الخارجية. أما في الداخل فقد بذل الأحرار جهداً كبيراً لتحقيق مزيد من الحكم الديمقراطي، واختير هارا زعيم حزب الميبوكاي رئيساً للوزراء عام ١٩١٨م لكي يساير الدعاية العالمية للديمقراطية إبان الحرب العالمية الأولى. ولكن الصراع بين السياسيين والعسكريين قد أدى إلى اغتيال رئيس الوزراء، ومع ذلك حقق حزب الأحرار عدة انتصارات في مجال السياسة الداخلية والخارجية، وانتهى الأمر بسيطرة العسكريين على السلطة بعد أن تمكن البارون تاناكا وهو أحد العسكريين المحبوبين لدى الضباط من أن يكون زعيماً لحزب سيبوكاي، ثم اختير رئيساً للوزراء.

وقد نجحت اليابان كدولة منتصرة في الحرب العالمية الأولى في الحصول على مكاسب بموجب مؤتمر الصلح في فرساي ١٩١٩م من أهمها الحصول على مقاطعة كياو الألمانية في الصين، وكذلك في مقاطعة شانتونج الألمانية، ونجح اليابانيون كذلك في الحصول على الجزر الألمانية في شمال المحيط الهادي وهي مارشال وكارولين، وماريان. وأخيراً في عام ١٩١٨ كسبت كل سيبيريا الشرقية، وأخيراً استقر اليابانيون في فلاديفوستك سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠م.

لكن هذه المكاسب أثارت استياء الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأن نمو القوى اليابانية في الشرق الأقصى أقلقها لسببين :

أولاً : بسبب السوق الصينية، إذ كان الأمريكيون يؤملون إنماء تجارتهم في الصين، ولذلك فإنهم يخشون منافسة اليابان.

ثانياً : بسبب سلامة جزر الفلبين، إذ كان الأمريكيون يشعرون بأنهم سيواجهون متاعب جمة بسبب حماية الفلبين في حال وقوع هجوم عليها من قبل

دولـة أجنبية وخـاصة اليـابان . فقـامت الصحف الأمـريكية بمهـاجمة اليابـان ووصفتها بأنها ألمانيا ثانية فهي محبة للعسكرية ، وتشكل خطراً على سلام العالم .

وفي نوفمبر ١٩٢٠م انتخب هـاردنج رئيساً للولايات المتحـدة ، واستلم مهام الرئاسة في مـارس ١٩٢١م . وقد أرادت إدارة الرئيس الأمريكي أن توطـد نفوذها في الشرق الأقصى وتضرب اليابان ، فاستمرت في تنفيذ بـرنامج المنشآت البحرية الذي أعدته خلال الحرب . كما نجحت الولايات المتحدة في جعل إنجلترا تتخلى عن تحالفها مع اليابان ولا تجدد معاهدتها التي انتهت في يوليو ١٩٢١م [١] .

عنـدئذ اقترحت الـولايات المتحـدة عقـد مؤتمر دولي تجتمـع فيه الـدول ذات العلاقـة ، وتبحث في قضايـا المحيط الهادي ، وترمي الـولايات المتحـدة من هذا المؤتمر إلى الضغط على اليابان لكي تتخلى عن بعض النتائج التي كسبتها ، وهذا مـا حصل في مـؤتمر واشنطن الذي انعقـد في ١٢ من نـوفمبر ١٩٢١م إلى ٦ من فبراير ١٩٢٢م ، حيث وجـدت اليابان نفسهـا في عزلة تـامة ، ووجدت أمـامها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، ولذا اضطرت إلى التساهل والتنازل [٢] . وقد طـالبت الـدول الغـربيـة بتحديـد التسلح البحـري بحيث يجب أن تكـون قـوة الأسطول الأمريكي والأسطـول الإنجليزي بالنسبة إلى الأسطـول اليابـاني كنسبة ٥ إلى ٣ ، ونصت على الشروط الخاصة باحترام الأوضـاع المتعلقة بالمحيط الهادي التي تقضي بـاحترام الأوضـاع المكتسبـة في أرخبيـلات المحيط بما يحقق لليـابـان المحافظة على مكـاسبها . كما وعدت بعض نصوص المعاهـدة باحترام استقلال الصين والمحافظة على سلامة أرضها .

---

(١) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين : ص ١٦٠ - ص ١٦١ .

(٢) بانيكـار : آسيا والسيطرة الغربية : ص ٣١٠ - ص ٣١٤ .

ووعدت اليابان بالجلاء عن أرض كياوتشو والإقليم البحري، وأعادت الخط الحديدي (عابر منشوريا) إلى الصين. وهكذا فقد فقدت اليابان جميع مكاسبها ولم يبق معها إلا الأرخبيلات الألمانية في المحيط الهادي. غير أن اليابان اضطرت إلى التخلي عن برنامج توسعها في آسيا الشرقية، ولذا فإن الأوساط السياسية والعسكرية والبحرية المناصرة لسياسة التوسع أبدت استياءها الشديد عقب مؤتمر واشنطن. وكان هذا المؤتمر بداية حقد اليابان على الولايات المتحدة الأمريكية [1].

وإزاء هذا الموقف الصعب عملت اليابان على الاعتماد على قوتها الذاتية بطريقة تمكنها من صيانة مركزها حتى يحدث تحول جديد في الموقف الدولي يجلب لها حلفاء جدداً. فبذلت كل جهد لتصبح دولة صناعية عظمى، ولتنهض بقواتها الجوية والبحرية دون اعتماد على الغير، ولتزيد من إنتاجها في الأغذية، ولترفع من حجم تجارتها. ولجأت الحكومة إلى خطة الاقتصاد الموجه الذي يهدف إلى تقوية الشعب من جميع نواحيه فنفذتها بنجاح تام. ولم يكن الحصول على الموارد الأولية ميسوراً إلا في منشوريا التي اتخذت منها اليابان مخزنا ودار صناعة [2].

وكانت سياسة اليابان تقوم على العدوان، فقد خطط تاناكا رئيس الوزراء لاحتلال منشوريا ومنغوليا وتنميتهما اقتصاديا تمهيداً لغزو الصين، وبعد غزو الصين يصبح من السهل غزو آسيا كلها. كما كانت تهدف خطة تاناكا إلى سحق الولايات المتحدة، وهذا يوضح نواياه العدوانية وأهدافه من التصنيع والتنمية في اليابان.

---

(١) بيير رونوفن : المرجع السابق : ص ١٩١.
(٢) بانيكار : المرجع السابق : ص ٣١٠.

وتطبيقاً لهذه السياسة قام تاناكا بنقل الجنود اليابانيين من منشوريا إلى شانتوج، ولكنه أوقف ذلك نتيجة الضغط الدولي. كما أن اليابان اضطرت للتوقيع على معاهدة الصلح في باريس والمسماة ميثاق كيلوج بريان ١٩٢٨م التي تدعو إلى نبذ الحرب، إضافة إلى تردي الأحوال الداخلية وسقوط وزارة تاناكا عام ١٩٢٩م، وخلفه شيديهارا الذي ينبذ الحرب ويدعو إلى سيطرة الاقتصاد الياباني على آسيا عن طريق التوغل السلمي مع عدم المساس بسيادة الصين وسلامة أراضيها، واتباع سياسة التعاون الدولي من خلال المؤتمرات الدولية. كما حصل في مؤتمر نزع السلاح بلندن ١٩٣١م. وكانت هذه الوزارة اليابانية التي أسسها الحزب الديمقراطي قد تعرضت للانتقادات من قبل العسكريين حتى أقيلت عام ١٩٣١م(١).

قررت اليابان خوض حرب بسبب منشوريا بسبب إنشاء الصين ثلاثة خطوط حديد مولتها من الموارد الصينية البحتة، وافتتحت ميناءين جديدين بقصد منافسة اليابان. فعزمت اليابان على القتال، واتخذت من حادث انفجار في الطريق الحديدي بمنشوريا ذريعة لبدء الحرب. وفي مساء ١٨ من سبتمبر ١٩٣١ احتل اليابانيون مكدن، ولم تنقض بضعة أيام حتى احتلت جميع المراكز الاستراتيجية بمنشوريا. والتجأت الصين بشكواها إلى عصبة الأمم، ولم تحقق شيئاً من شكواها، واستمرت اليابان في احتلالها لمنشوريا، وشرعت تنظم جماعات من الصينيين لمناصرتها، وقامت اليابان باحتلال شنغهاي الصينية وهي مركز الأجانب في الصين، وأدى ذلك إلى تدهور العلاقات بين اليابان والدول الغربية. ورفضت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة الأمر الواقع التي اتبعتها اليابان، وتزايد عداؤها لليابان بشكل كبير، فدعت إلى عقد مؤتمر من الدول الكبرى لبحث الموقف، غير أن اليابان انسحبت من شنغهاي، ولكن موقفها

---

(١) تشستر بين : المرجع السابق : ص١٩٦ - ص١٩٧.

من منشوريـا كان مختلفا حيث إن اليـابان عملت على استقلال منشـوريا . وفي ١٨ من فبراير ١٩٣٢م أعلن عن إنشاء دولة منشو كو وتنصيب بويي وصيا على العـرش ثم إمبراطوراً لهـا . ولـم تعترف الـدول الأعضاء في عصبـة الأمم بدولـة منشو كـو. وهكذا نجحت السياسـة الأمريكية بنصر عظيم نجحت بـه في عزل اليابان، فقـررت اليابان الانسحاب من العصبـة حتى لا تلتزم بقراراتها . وظلت منشو كو تابعة لليابان وتحت سيطرتها .

وعلى العموم فقـد أصبحت اليابان معـزولة سيـاسيا بعد معـاهدة واشنطن ، وكان طبيعيـا أن يكون موقفهـا عدائيا من الأمم الغـربية الحرة . فعندمـا صارت ألمانيا بقيادة هتلر دولة عظمى في أوروبا ، أدركت الدبلوماسية اليابانية أن الموقف المتطور في الغرب يمكن تحويله لمصلحتها . وبـدت أوربا في ذلك الوقت متفرقة الكلمة ، وقد ظهـر محور روما برلين بعد حرب الحبشة . وتحالفت ألمانيـا و إيطاليا وأسبانيا في عام ١٩٣٦م ضد الشيوعيـة . وظنت اليابان خطأ أنها قد استطاعت أن تحطم الحصار الدبلـوماسي ، وأنها أصبحت بمركز يمكنهـا من معالجة شئون الصين كما تريد [(١)].

الحرب الصينية اليابانية ١٩٣٧م

في عام ١٩٣٧م حاولت حكومة اليابان أن تحصل على نتيجة حاسمة فأثارتها حربـاً كبرى ضد حكومـة الصين الوطنية . وادعت أن الأسبـاب التي قامت من أجلها الحرب هي أسباب اقتصادية لحاجة اليابـان إلى منافذ تجارية ، ولذا كانت تـريـد من الصين أن تقبل التعـاون مع البلـدين ، غير أن الصين رفضت ذلك . وهناك سبب آخـر هو الأمن ، فقد تـذرعت اليابان بحجـة الأمن لحماية رعايـاها

(١) بانيكار : المرجع السابق : ص ٣١٥.

اليابـانيين الذين يعيشون في الصين مهـددين وعددهم (٨٠,٠٠٠) وقتل منهم عشرة قتلى. كما أن الخلاف بين العسكـريين والمدنيين كـان سبباً لهذه الحرب. ولكن السبب الحقيقي هـو تنـامي قـوة الصين، فأرادت اليـابـان أن تقضي على الحكومة الصينية قبل أن تكتمل قواتها[1].

انفجرت الحرب على إثر حادث اعتـداء على الجنود اليابانيين في بكين، وذلك يوم ٧ من يوليـو ١٩٣٧م، فقام الجيش الياباني واستـولى على مدينة وانج بينج، وطلبت اليابـان من الصين سحب جيشها من الصين الشماليـة. وأن تبقى هذه المنطقـة تحت رعـايـة اليـابـان فـرفضت الصين ذلك، وقطعت العـلاقـات بين الطرفين. فاستولى اليابانيـون على بكين وطردوا الجيش الصيني نحو الجنوب بعد أن فقـد ثلثه. كما استـولى اليـابـانيون على شنغهـاي ثم نـانكن واحتلـوا جزيـرة شانتونج. وفي عـام ١٩٣٨م وصلوا إلى وادي يانج تسي، واستولـوا على هانكيو وهـو أكبر مركـز تجاري في الصين الـوسطى. وفي عام ١٩٣٩م قـام اليـابانيـون باحتلال ١/ ٥ الأراضي الصينية في شمالها وبها ٤٢٪ من السكان.

وقد أحـرزت اليابـان نصرا حاسماً، وكـانت تريـد أن توطـد وضعاً في الصين يحكم فيه رجل دولة مـوال لليابان. ولذلك كـان هم اليابان هو إسقـاط حكومة شانج كـاي شيك، وإيصال أناس للسلطة مستعديـن للتعاون الاقتصادي بين الصين واليابان، ومساهمة الصين في مناوأة الشيوعية.

لقـد كانت الحرب الصينيـة اليابـانية حـادثـاً له أهميتـه العالميـة. فمنذ عـام ١٩٣٨م كـانت اليـابان سيـدة جميع المراكـز الصنـاعية والتجـاريـة في الصين، وترغب في إبعـاد النفوذ الاقتصادي للـدول الغربية في هـذه البلاد. ولا شك أن اليابانيين احترموا الامتيازات الأجنبية (الأحيـاء الغربية) في شنغهاي وتيان تسن.

---

(١) بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ص ٣٦٥ - ٣٧٠.

ولكن هذه الأحياء قد عزلت من قبل اليابانيين الذين حرموا على السفن التجارية المرور من نهر يانجستي الصالح للملاحة في الصين الوسطى مما يهدد المصالح التجارية الإنجليزية والأمريكية بالخطر [١].

اليابان والحرب العالمية الثانية :

شهدت اليابان تطوراً سياسياً مهماً قبل الحرب العالمية الأولى، فقد نهضت الروح العسكرية في اليابان، وتكونت جمعيات متطرفة بعد الحرب العالمية الأولى، ونادت بالسير في الطريق الإمبراطوري، كما نادت بخليط متنوع من التفوق العنصري والثقافي والسيطرة العدوانية والوقوف موقف العداء من المذاهب الغربية، كمذهب الأحرار والديمقراطية والرأسمالية والمذهب الفردي. وكانت الفكرة التي بنيت عليها هذه المذهبية اليابانية مضطربة غامضة، ولكنها في جملتها أيدت اشتراكية الدولة التي تتضمن إلغاء الحكومة النيابية والاحتكارات الرأسمالية الفردية.

وكان الخلاف الرئيس بين هذه الجمعيات الوطنية المتنوعة هو الطبقة الخاصة التي يجب أن يعهد إليها الحكم دون علم الإمبراطور، وكانت الطبقة الأرستقراطية (الخاصة) غالباً ما تتزعم الأحزاب السياسية اليابانية التي غالباً لا تتمتع بالقوة أو الشعبية.

قبل حادثة بيرل هاربور بشهرين استقالت الوزارة اليابانية التي يرأسها كونوي أحد نبلاء البلاط الإمبراطوري، وتولت الحكم بعدها وزارة يرأسها الجنرال هيديكي توجو، وقد استطاع السيطرة على اليابان دون أن يصبح دكتاتورا عسكريا. وتولى وزارة الحربية عام ١٩٤٣م ورئاسة أركان حرب الجيش عام ١٩٤٤، وتولى المسئولية كاملة إبان الحرب العالمية الثانية [٢].

---

(١) بانيكار : المرجع السابق : ص ٣١٥ - ص ٣١٩.

(٢) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين : ص ٣٩٨ - ص ٤٠١.

وقامت الحكومة اليابانية بجهد عظيم في إقناع الشعب الياباني بأهمية الدفاع عن الوطن، وغرست في ذهنه ضرورة النضال للدفاع عن وجود الدولة، ولذا يجب أن يكون السيف المثل الأعلى للإمبراطورية اليابانية.

اشتركت اليابان في الحرب العالمية الثانية إلى جانب دول المحور (ألمانيا، إيطاليا، اليابان) لتحقيق أهدافها الاستراتيجية والاستعمارية في الشرق الأقصى، فوجدت فرصتها في هذه الحرب بعد أن رأت أن الدول الغربية تحاول عرقلة مسيرتها ومحاولاتها في فرض نفوذها وهيمنتها عليها.

لقد وسعت اليابان مشروعاتها في الشرق الأقصى إبان الحرب العالمية الثانية، وكانت تسيطر قبل عام ١٩٤٠م على قسم عظيم من الأرض الصينية، وتوسعت جنوب المحيط الهادي في عام ١٩٤٠م، ووطدت أقدامها في الهند الصينية بعد توقيع الاتفاق مع حكومة فيشي ١٩٤١م الذي يسمح لليابانيين بأن تكون لهم قواعد بحرية وجوية وعسكرية في فيتنام وتونكين وكوشنتين. وفي الوقت ذاته قام اليابانيون بتغلغلهم الاقتصادي نحو جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) التي تعد مستودعاً للمواد الأولية الأساسية.

وإزاء ذلك ضغطت الحكومة الأمريكية على اليابان ضغطاً دبلوماسياً للحيلولة دون هذا التوسع الذي يمكن أن يكون خطراً على المصالح الاقتصادية الأمريكية. وأدى هذا الضغط إلى توتر أخذ يزداد شيئاً فشيئاً بين الدولتين، ووصل أخيراً إلى قطع العلاقات بينهما في شهر نوفمبر ١٩٤١م. ولذا قررت اليابان خوض حرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية (١).

وفي ٧ من ديسمبر بدأت اليابان بإعلان الحرب دون مقدمات، وذلك بضرب ميناء بيرل هاربور Pearl Harbour في جزر هاواي بالقنابل. واستطاع

---

(١) بيير رونوفن، المرجع السابق، ص ٤٠٢ - ٤٠٤.

السلاح الجوي الياباني أن يدمر ٩٥٪ من القوة البحرية والجوية في هاواي، ويجعلها غير صالحة للعمل مؤقتا، كما قتل وجرح نحو أربعة آلاف رجل، ولم تفقد اليابان في هذه المعركة سوى مئة طائرة وخمس غواصات صغيرة. وأعجز الهجوم الياباني القوة البحرية الأمريكية عن العمل، فقد استطاعت الجيوش اليابانية خلال أربعة أشهر أن تحرز انتصارات كاسحة، فقد احتلت جزيرة جوام في ١٥ من ديسمبر ١٩٤١م، واحتلت جزيرة هونج في ٢٥ من ديسمبر ١٩٤١م، واحتلت الفلبين في ٣ من يناير ١٩٤٢م، واحتلت ملقا في ٨ من ديسمبر ١٩٤١م، وسنغافورة في ١٥ من فبراير ١٩٤٢م، واحتلت بورما في ٩ من مارس ١٩٤٢م، واحتلت ماندلاي في أول مايو ١٩٤٢م، وكذلك تم احتلال جزر سالومون وغينيا الجديدة في ربيع عام ١٩٤٢م.

ولم يخفف هذا الهجوم إلا بعد معركة المرجان في مايو ١٩٤٢م. إذ كانت معركة المرجان نهاية تقهقر الحلفاء، حيث بدأت قوات الحلفاء في ٧ من أغسطس ١٩٤٢م تتخذ خطة الهجوم برا وبحرا وجوا وأحرزت انتصارات كاسحة، وأخذت تسترد جميع الجزر والبلدان التي احتلتها اليابان خلال عامي ١٩٤٣ - ١٩٤٤م. وفقدت اليابان جميع الجزر والبلدان التي استولت عليها في بداية الحرب. ولم تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من خوض الحرب في قارة أوروبا، بل اقتصر دورها على الشرق الأقصى فقط.

وقد عقدت إبان الحرب عدة مؤتمرات دولية كمؤتمر يالتا (فبراير ١٩٤٥م) ومؤتمر بوتسدام ٢٥ من أبريل ١٩٤٥م بشأن القضاء على دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان). وقد وجهت دول الحلفاء إنذاراً إلى اليابان بالاستسلام، غير أن رئيس الوزراء الياباني سوزوكي لم يوافق على شروط الحلفاء، فقامت الولايات المتحدة الأمريكية بإلقاء قنبلة ذرية في ٦ من أغسطس ١٩٤٥م على مدينة هيروشيما وقضت على ٧٥ ألفاً ودمرت معظمها وشوهت عدداً لا يحصى

من سكانها. وفي ٩ من أغسطس ١٩٤٥م دمرت قنبلة ذرية أخرى مدينة نجازاكي وقضت على ٤٥ ألفاً من سكانها. وقد انتهت المقاومة اليابانية بإعلان الإمبراطور في ١٤ من أغسطس الاستسلام مع المحافظة على امتيازات الإمبراطور. واحتل الحلفاء اليابان في ٣٠ أغسطس ١٩٤٥م، وقضت شروط التسليم بالقضاء على نفوذ كل المسئولين عن العدوان الياباني، وتسريح الجنود ونزع السلاح، ومعاقبة مجرمي الحرب، وإخلاء الجزر الخارجية، وإقامة حكم ديمقراطي مسئول، وكفالة الحريات كافة. وفي عام ١٩٤٦م أقر البرلمان الياباني الدستور الجديد الذي منح الشعب السلطات، وجعل الإمبراطور رمزاً للدولة.

وهكذا زالت الإمبراطورية اليابانية بعد أن أخذت من اليابان جميع ممتلكاتها الخارجية، وألحقت جزر كوريل وجزيرة سخالين بالاتحاد السوفييتي بموجب اتفاق يالطا. أما الجزر التي تملكها اليابان في المحيط الهادي الأوسط بصفة انتداب فقد ألحقت بالولايات المتحدة وعادت منشوريا إلى الصين، ولكن الاتحاد السوفييتي استعاد تقريبا جميع الفوائد التي كانت تملكها روسيا القيصرية في هذه المنطقة حتى حرب ١٩٠٤ - ١٩٠٥م.

وأخيراً قسمت كوريا بين منطقة احتلال روسية (كوريا الشمالية) ومنطقة احتلال أمريكية (كوريا الجنوبية). على أن تصبح كوريا بعد بضع سنوات دولة مستقلة، ولكنها بقيت منقسمة حتى يومنا هذا [١].

وحصلت اليابان على حق الدفاع عن نفسها، وعقد اتفاقات مع الدول الأخرى لوضع قوات أجنبية يحتمل أن تكون أمريكية على أراضيها، أما العلاقات بينها وبين الصين الوطنية، والصين الشعبية فتحدد بمعاهدة تعقد

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ٣١٥ - ٣١٩.

مع كل من البلـدين، وعليها أن تضع كل مـواردها تحت خـدمة دول الحلفـاء، وكذلك صنـاعاتها للقيام بـالخدمة الصناعية التي تحتـاجها قوات الحلفـاء. أما ممتلكـات اليـابـان فتئول ملكيتهـا إلى الصليب الأحمر الـدولي لتـوزع على أسرى الحرب. وفقدت اليـابان جميع المكاسب التي حصلت عليها قبل الحرب العـالمية الثانية، كما وقعت تحت احتلال الولايـات المتحدة الأمريكية، وأصبحت أرحب ساحة لنفوذ الولايات المتحدة في المحيط الهادي[1].

وأصبح التطور السياسي في اليابان مـرتبطاً بحركة التطهير التي شملت الزعماء السياسيين الذين اشتركوا في الحرب اليابانية، وتشكل حزب الأحرار الديمقراطي في عام ١٩٤٨م واختير رئيسـه يوشيـدا رئيساً للـوزراء في اليابـان، وضم الحزب أعضاء موالين لأمريكا. وعقدت معـاهدة صلح مع اليابان تم التوقيع عليها في سان فـرانسيسكو ١٩٥١م. ولكن اليابـان خطت خطوات واسعة في الصنـاعة والتكنولـوجيا، وغـدت من الدول الصناعيـة الكبرى في العالم في أواخـر القرن العشرين[2].

---

(١) تشستر بين: المرجع السابق: ص ٢٤٣ - ص ٢٤٤.

(٢) المرجع نفسه.

الفصل الخامس

تاريخ أندونيسيا الحديث

(جزر الهند الشرقية)

لمحة جغرافية :

يطلق اسم أندونيسيا على مجموعة الجزر الواقعة في جنوب شرقي آسيا التي تضم سومطرة وجاوة، وبورنيو، وسيليبس، وتيمور، وجزائر الملوك، وغينيا الجديدة، وشبه جزيرة الملايو، وبعض الجزر الأخرى المبعثرة. وقد أطلق على مجموعة الجزر هذه أسماء متعددة، فسميت باسم جزر الملايو، وباسم جزر الهند الشرقية وغيرها، وأطلق عليها العرب اسم جاوة ، وما زالوا حتى اليوم يحتفظون بتلك التسمية.

ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي أخذ اسم أندونيسيا يغلب على ما عداه من الأسماء، ومعناه جزر الهند لأن كلمة أندونيسيا تتكون من جزأين هما : أندو ومعناها الهند ونيسيا ومعناها الجزر. ويطلق هذا الاسم حاليا على مجموعة الجزر التي كانت خاضعة لحكم هولندا، ولكن اسم أندونيسيا من الناحية الجغرافية يشمل أيضا جزر الفلبين التي كانت تابعة للولايات المتحدة الأمريكية.

وتنقسم تلك الجزر إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : وتتكون من جزيرة سومطرة وجاوة وبورنيو وسيليبس، وتسمى «صوندا الكبرى».

المجموعة الثانية : وهي مجموعة الجزر الصغرى التي تقع بين جزيرة غينيا الجديدة شرقا، وجزيرة جاوة غربا وتسمى «صوندا الصغرى».

المجموعة الثالثة : وهي مجموعة الجزر التي تقع بين سيليبس غربا وغينيا الجديدة شرقا، وتسمى جزر الملوك أو البهارات التي ورد ذكرها في كتب االتاريخ[1].

---

(١) محمود شاكر : جغرافية العالم الإسلامي : الرياض ١٩٧٨م، ص ٨٤.

فهذه الجزر إذن تتمتع بموقع ممتاز ذي أهمية خاصة، هذا فضلا عن وجود الموارد الأولية الضخمة، والأيدي العاملة التي تستخدم في استغلال هذه الموارد لصالح الصناعات الأوروبية، كما أنها تشكل سوقاً لتصريف المنتجات الصناعية الأوروبية. فلا عجب إذا ما بدأ التنافس الاستعماري عليها من أجل ذلك.

وتعد أندونيسيا من أكبر الدول الإسلامية في قارة آسيا إذ يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٨٠ مليون نسمة، أكثر من ٩٢٪ منهم يعتنقون الإسلام، وعدة ملايين يعتنقون النصرانية، وباقي السكان يدينون بديانات مختلفة كالبوذية والكونفوشية والهندوسية. وهي تمثل بذلك أكبر تجمع للمسلمين في العالم الإسلامي، ورغم بعد هذه البلاد عن العالم العربي فإنها تحاول على الدوام أن تكون قريبة الصلة به. وقد أسهم الإسلام بدور كبير في تكوين هذه الدولة وتوحيدها والإبقاء على كيانها[(١)].

لمحة تاريخية:

لما كانت الجزر الأندونيسية تنتشر على مناطق واسعة، لذا فقد نشأت فيها عدة ممالك منذ قبل الإسلام وحتى مجيء الاستعمار، ومن هذه الممالك ما كان سلطانها يمتد على رقعة صغيرة من الأرض، ومنها ما يتعدى ذلك حتى يشمل الجزر كلها، بل يمتد ليشمل جزراً أخرى غير الجزر الأندونيسية. ومن هذه الممالك:

١ - إمبراطورية سري ويجايا: وتأسست جنوبي سومطرة في أوائل القرن السادس الميلادي، وازدهرت هذه الإمبراطورية، ونشرت سلطانها على أكثر الجزر الأندونيسية، وعلى شبه جزيرة الملايو، ووصل نفوذها إلى الفلبين شمالا، وإلى جزيرة سيلان في الغرب، وبقيت هذه الدولة حتى انتشر الإسلام بين أهلها.

---

(١) د. إسماعيل ياغي، ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر: جـ١: ص ٢٨٥.

٢ - مملكة تاروماناجارا : وتأسست في غربي جزيرة جاوة في القرن السابع الميلادي، وبقيت حتى القرن الثاني عشر الميلادي.

٣ - مملكة صوندا : وقامت عام ١١٠٠م، وحلت محل السابقة.

٤ - مملكة متارام : وقامت في جاوة الوسطى، وبقيت حتى انتشر الإسلام بين أبنائها.

٥ - مملكة جاوة الشرقية.

٦ - إمبراطورية ماجافاهيت، وقامت في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي واستمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي. وبسطت سلطانها على الجزر الأندونيسية كلها، إضافة إلى الفلبين والملايو وجزء من الهند الصينية حتى ضعفت. وقد انفصلت بعض الممالك عنها مثل مملكة ميتنكايو في سومطرة الوسطى، ومملكة آتشيه في شمال سومطرة، وانتشر فيها الإسلام، وكانت أقوى الممالك الأندونيسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبقيت حتى عام ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ، وكان لها دور كبير في قتال الهولنديين.

كما قامت ممالك أخرى في جزر أخرى في جنوب شرقي آسيا، مثل مملكة بروني وسرواك، وممالك أخرى في جزيرة سيليبس وجزر الصوند الصغرى، كما تعرضت أندونيسيا للغزو الصيني الذين احتلوا جزيرة جاوة سنة ١٣٦٢م[١].

انتشار الإسلام :

يعتقد أن الإسلام انتشر في أندونيسيا بعد أن توقفت موجة الفتوحات الإسلامية، حيث انصرف الناس بعدها إلى مختلف نواحي الحياة (الزراعة والصناعة والتجارة)، وانطلقت السفن التجارية من سواحل جزيرة العرب إلى

---

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ ٢٠ : ص ٣٧١ - ص ٣٧٢.

المشرق تحمل معها البضائع، وإلى جانبها أخلاق التجار المسلمين التي تنبع من العقيدة، إلى جانب الدعاة، وكثيرا ما كان التجار يتخذون بضاعتهم وسيلة للاتصال بالناس والعمل على هدايتهم[١].

كما زار بعض التجار الأندونيسيين بغداد في أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، وعندما عادوا إلى بلادهم كانوا يحملون بين جوانحهم عقيدة الإسلام، وعندما وصلوا إلى بلادهم قاموا بدعوة واسعة النطاق له، وبدأ الإسلام ينتشر بين السكان ولكن على شكل أفراد وجماعات بسيطة، ونجحوا في تأسيس مملكة برلاك الصغيرة المسلمة.

ونجح التجار والدعاة في نشر الإسلام في أندونيسيا، واتخذت كل الوسائل لهداية الناس، وانخراطهم في الإسلام، فالمسلم يحب الخير للناس جميعا. كما عامل الدعاة سكان البلاد معاملة طيبة تدل على الخلق الإسلامي الرفيع الذي ساهم في إقبال الناس على الإسلام. فقد اتخذ بعض الدعاة التجارة وسيلة للصلة والتعامل معهم، فكانوا يتعاملون بصدق ونزاهة وأمانة وعدم تعال، وكانوا يشترون العبيد ويعتقونهم، ويتزوجون من سكان البلاد فتدخل المرأة في دين زوجها، ثم لا يلبث أن يتبعها أهلها وأقرباؤها، ويحرص السكان على تعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن ولغة المسلمين التجار.

وكان أهالي البلاد يحترمون التجار والدعاة ويكرمونهم لأخلاقهم الرفيعة، كما أنهم كانوا بحاجة إلى أموال التجار لزيادة النشاط التجاري في البلاد، ولزيادة دخل البلاد من عائدات التجارة، وكانوا يقدمون الهدايا للمسئولين الأندونيسيين. ونجم عن ذلك كله تأثر أهل البلاد بالتجار المسلمين، فكانوا

---

(١) محمود شاكر، المرجع نفسه: ص ٣٧٤.

يقبلـون على الإسلام، فإذا مـا أسلم أحـد الحكام تـوسع انتشار الإسـلام؛ لأن الشعب يقلـد أمـراءه، وكذلك تعتنق القبـائل الإسـلام بمجـرد اعتنـاق أحـــد كبارها لـه.

ومهما يكن من أمر فإن السكـان قد تأثروا بـالعقيدة الإسلاميـة ويسرها، وبما فيهـا من المساواة بين النـاس والعدل والإخـاء والحريـة بخلاف الـديانـات التي كانت تسود أنـدونيسيا، وكان الشعب يعاني الكثير من ذلـك، ويريد الخلاص ممـا هو فيـه، ووجد الإسـلام منقذاً لـه؛ لأنـه دين الفطرة حيث يحقق رغبـات الإنسان الفطرية، لذا فقد أقبل السكان على الإسلام بشكل واسع لا نظير لـه، إذ اعتنق الإسـلام في أنـدونيسيـا عشرات الملايين في مـدة لا تتجـاوز القـرن من الزمن، وكانت المناطق الداخلية أكثـر إسراعاً في الدخول في الإسلام من المناطق السـاحليـة. وكانـت المناطق السـاحليـة أكثـر تقبـلا لـلإسلام لكثـرة التجـار المسلمين. ولم يبق بعيداً عن الإسلام إلا تلك القبائل المعزولة في الغابة، ولم يكن بالإمكان الاتصال بها[١].

ولما دخل الكثير من السكـان في الإسـلام وحـدوا صفـوفهم، وأسسـوا عـدة ممـالك إسلاميـة في أندونيسيـا منهـا مملكة بـرلاك في سومطـرة، ومملكة بنتـام في جاوة، ومملكة ديماك في وسط جاوة، ومملكة متارام في شرقي جاوة، ومملكة آتشبه في شمال سـومطرة. وتم القضـاء على إمبراطوريـة مـاجافـاهيت، وانتهى حكم الهندوس فيها[٢].

وعلى العمـوم فقـد انتشر الإسلام في أنـدونيسيـا عن طـريق التجـارة وحسن المعاملة، ومكارم الأخلاق واحترام المبـادئ، وتقدير القيم وأدب التصرف. فقد

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ ٢٠ : ص ٣٧٤ - ص ٣٧٨.
(٢) المرجع نفسه : ص ٣٧٨ - ص ٣٨٠.

أعجب السكان بهذه القيم وتمثلوها، وبهرتهم الأفكار فقبلوها، فوجدوا أنفسهم مسلمين.

وأحس سكان جنـوب شرقي آسيا بعد انتشار الإسـلام أنهم يعيشون في كنف الإنسانيـة، وبدءوا يشعـرون بآدميتهم، فقـد انتقلوا من الجاهليـة إلى الإسلام، ومن الهمجية إلى الإنسـانية، ومن البـدائية إلى الـرقي والحضارة. هـذا ما قـدمه الإسلام لسكان هذه المنطقة من حرية ومساواة وعدل ونظام ومحبة [1].

وفي الـوقت الذي بـدأ فيه المسلمـون يثبتـون أقدامهم في أنـدونيسيا، كـانت مخالب الأوروبيين من جهة ثانية تنشب فيها لتجـد لها مركزاً ثابتاً مستقراً، وذلك لحقـدهم الصليبي على المسلمين ولحاجتهم إلى البهـارات المرتفعـة الأثمان في أوروبا، فكانت بداية الغزوة الصليبية على أيدي البرتغاليين والأسبان والهولنديين والإنجليز والفرنسيين [2].

---

(١) علي الطنطاوي : أندونيسيا، مكـة ١٣٨٠هـ، ص ٣٥.

(٢) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ ٢٠ : ص ٣٨١.

الاستعمار الأوروبي

أولاً : الاستعمار البرتغالي :

قام البرتغاليون لتحقيق أهدافهم الكبرى وهي نشر النصرانية ومقاومة الإسلام والحصول على تجارة الأفاويه والتوابل والبهارات. وصارت هذه الأهداف هي محور السياسة البرتغالية طوال قرن من الزمن.

فقد احتل البرتغاليون ملقا عام ٩١٧هـ/ ١٥٠٩م، واتخذوا منها قاعدة لشن الحملات على الجزر الأندونيسية وخاصة جزر الملوك (جزر التوابل)، وقد تمكنوا من السيطرة على شمالي سومطرة عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٠م، ووصلوا إلى جزيرة سيليبس عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤١م [١]. كما أن الأسبان قد وصلوا إلى جزيرة بورنيو وإلى جزر الملوك عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٠م، بعد مقتل قائدهم ماجلان في جزر الفلبين بعد أن أظهر تعصبه الديني علناً وأراد فرضها على السكان. ولم تستطع أسبانيا تثبيت اقدامها في أندونيسيا

وكانت أحوال أندونيسيا موائمة لما يحقق أهداف البرتغاليين، حيث كان الصراع على أشده بين الحكام المسلمين والممالك الهندوكية القديمة. واستغل البرتغاليون هذه الأوضاع، واحتلوا تلك البلاد بعد تحقيق نصر على أهل البلاد، ولكنهم لم يستطيعوا تثبيت أقدامهم إلا بعد أن عقدوا معاهدات مع حكام البلاد المسلمين [٢].

بعد أن استولى البرتغاليون على أندونيسيا عملوا على إنشاء القواعد الحصينة في الجزر، وأقيمت الحراسة البحرية لمنع السفن الأجنبية من الوصول إليها،

---

(١) تشستر بين : الشرق الأقصى : ص ٤٥ – ٤٧.

(٢) بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ص ٦٧ – ٧٠.

وتركزت كل التجارة في ملقا، وعادت هذه التجارة بأرباح وفيرة، ولكن البرتغال كانت تعوزها اليد العاملة للمحافظة عليها [١].

وقد نشبت معارك شديدة بين الأندونيسيين المسلمين من ناحية وبين البرتغاليين من ناحية أخرى. وقد اتخذت تلك الحروب شكل الحروب الصليبية، وذلك نظراً لقرب عهد البرتغاليين بمحاربة المسلمين والقضاء عليهم في الأندلس وإخراجهم منها. وكان البرتغاليون يهدفون إلى ضرب اقتصاديات المسلمين والسيطرة على تجارتهم، ومحاولة نشر النصرانية، ولذا فإن المقاومة ضدهم كانت عنيفة من قبل المسلمين، وقام المسلمون بثورات ضد البرتغاليين، وقاوموا نشر النصرانية، وخاصة بعد أن قتل أحد ملوك أندونيسيا غدرا عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م وهو هارون سلطان جزيرة ترنات الذي امتدت سلطته حتى الفلبين.

وتوالت حملات البرتغاليين على شرق آسيا بهدف الاستيلاء على البهارات واحتكارها لصالحهم، واستخدموا كل أنواع القمع والإرهاب ضد المسلمين، ومنها إعدام دفعات متتالية من الأهالي، وبناء حصن بحجارة انتزعوها من قبور المسلمين. وظل البرتغاليون يحتكرون نقل تجارة التوابل إلى أوروبا حتى عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م حيث استولت أسبانيا على البرتغال، فآلت إليها البرتغال بكل مالها من ممتلكات غير أن أسبانيا لم تستطع الاحتفاظ بممتلكات البرتغال، وذلك بعد هزيمتها أمام إنجلترا في موقعة الأرمادا البحرية عام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م. وهذا ما هيأ المجال لدول أخرى أن تتقدم، فأسرعت هولندا التي كانت في حرب مع أسبانيا لتسيطرعلى أندونيسيا [٢].

---

(١) تشستر بين : الشرق الأقصى : ص ١١٨ - ص ١١٩.

(٢) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث: جـ١ : ص ٢٨٨ - ص ٢٨٩.

ويلاحظ أن الاستعمار البرتغالي كان دافعه دينيا، واقتصر على المناطق الساحلية، واهتم ببناء الحصون والقلاع الحصينة، واحتكر تجارة الشرق، وضرب المسلمين اقتصاديا، وأصبحت لشبونة عاصمة البرتغال مركزاً رئيساً للسلع الشرقية. وليس هذا فحسب بل انفتح المجال أمام الجمعيات التبشيرية لنشر النصرانية (١). ومع ذلك فإن البرتغال لم تحقق كل أهدافها بعد القضاء على استقلالها ومنافسة الدول الأوروبية لها، ومقاومة المسلمين لها (١).

الاستعمار الهولندي:

وصل الأسطول الهولندي إلى سومطرة وجاوة عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م لأول مرة، وحدث بينهم وبين السكان معارك، وحاول البرتغاليون الوقوف في وجه الهولنديين، فحركوا سفنهم وأساطيلهم من الهند إلى أندونيسيا لمقاومة الهولنديين، وعدوا كل سفينة ليست لهم غنيمة يأخذونها ومنها السفن الأندونيسية، فاصطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين، وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه عدّ الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تتزحزح عن مراكزها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز ملقا مدة أربعين سنة (٢).

وأنشأت هولندا شركة تجارية في ٢٠ من مارس ١٦٠٢م سميت بشركة الهند الشرقية الهولندية لاحتكار تجارة التوابل والأفاويه في الشرق، وقد خولتها حكومة هولندا عقد معاهدات ومحالفات لفتح ما تشاء من الأراضي وبناء الحصون وغير ذلك. وقد عقدت الشركة الهولندية معاهدة مع البرتغاليين من أجل طرد البرتغاليين من الهند ومن أندونيسيا، ولذلك كانت أول محاولة بذلها الهولنديون

---

(١) د. شوقي الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٩٨، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ ٢٠: ص ٣٨٣.

للحلول محل البرتغـاليين في جــزر أندونيسيا التي كانت قبضة البرتغـاليين عليها لا تزال ضعيفة .

وحققت الشركـة أربـاحاً كبيرة ، ووطـدت أقـدامهـا في أندونيسيـا بعـد فتح جاكرتا واحتلالها عام ١٦١٩م على يد مدير الشركة جان بيترزكوين ، وإليه يرجع الفضل في إرساء سلطان هولندة بجزر الهند الشرقية ، كما أن أنطوني فـان ديميين الذي عين حاكماً عاماً في عام ١٦٣٣م هـو الذي شاد صرح الإمبراطورية وقضى نهائيـا على البرتغـاليين . وفي سنـة ١٦٤١م انتزع من البرتغـاليين ملقـا صـولجان عظمتهم في الشرق ، وما لبث أن سقطت كوتشين في عام ١٦٦٠م ، ثم سقطت المحطات التجـارية الصغيرة الأخـرى في يد الهولنـديين الواحـدة تلو الأخـرى . واحتكـرت الشركة الهولنـديـة التجـارة بجزيـرة جـاوة ، وحافظـت على نفوذهـا السياسي ، وانتـزعت الأملاك من أيـدي ملاكهـا ، فلما قاومهـا السكان أخمدت مقاومتهم بالقوة[1] .

ومهما يكن من أمـر ، فإن الهولنـديين قـد جاءوا إلى أنـدونيسيـا مستعمـرين ، ولكن استعمارهـم كـان ذا صفة تجاريـة صرفـة ، واصطدم الأهـالي معهم غير أن الأهالي خـدعوا بهم واعتبروهم منقذين لهم من البرتغـاليين ، ذلك أن الهولنديين حاولوا بطرق مخادعة كسب ود الشعب وعطفه ، فأقـاموا معه العلاقات الودية ، وأزالوا من مخيلتـه الصورة البشعة للبرتغاليين ، مما دفـع الأندونيسيين إلى الاعتقاد بأن القادمين الجدد حلفاء لهم أمام البرتغال فـرحبوا بهم . ولذا فإن الأندونيسيين قد عقدوا معـاهدة تحالف سنة ١٦٠٠م ، وتنص على منح الهولنديين حـق إقامة الحصون للدفاع عن الجزيرة ، (أمبونيا) مقابل احتكارهـم لتجارة البهارات ، وقد

---

(١) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية : ص ٥٦ - ص ٥٨ . انظر كذلك
Panikar, K.M. : Malabar and the Dutch, Bombay 1930.

سارت هولندا على سياسة عقد المعاهدات بين الملوك والسلاطين من حين لآخر توطيداً لنفوذها وسيطرتها على هذه الجزر [١].

لم تراع هولندا التحالف الذي تم ضمنا بينها وبين الأندونيسيين، فما إن خرجت البرتغال من الساحة القتالية حتى انقض الهولنديون على الجزر الأندونيسية، وعلى السكان يعملون سلباً ونهباً وقتلاً وشنقاً، فالهولنديون جاءوا طامعين في الثراء، ولنهب خيرات البلاد، حاقدين على الإسلام وأهله. وبدأت المعارك بين الممالك الإسلامية وخاصة مملكة متارام وانجه وترنات، واستطاعت هولندا توطيد نفوذها في أندونيسيا، وقضت على مقاومة المسلمين في هذه الممالك، وإن كانت قد عجزت عن القضاء على السلطان عبد الفتاح سلطان بنتام لولا أنها اتبعت أسلوب الغدر والخيانة ضده. وبدأت توسع سلطتها تدريجيا وتقيم القلاع والحصون ومن أهمها حصن بتافيا (جاكرتا) حاليا. ومع ذلك لم تستطع هولندا بسط نفوذها على المناطق الداخلية. واتخذ الهولنديون جزر المحيط الهادي أساساً لنشاطهم، فعملوا على تنمية تجارتهم مع الصين واليابان، واحتل أسطولهم جزيرة فرموزا بعض الوقت، وكانت لهم علاقات تجارية مع الصين، وبفضل هذه العلاقة أدخل الشاي إلى بلاد الغرب، كما كان لاتصالهم باليابانيين أثر في إثارة الرغبة لدى الأوروبيين لمعرفة تلك الجزر [٢].

وهكذا فقد نجح الهولنديون في السيطرة على ملقا وسيلان وكوتشين بالهند وأندونيسيا وأقاموا منها إمبراطورية تقوم على الاحتكار التجاري.

بدأت المنافسة بين إنجلترا وهولندا في أندونيسيا منذ عام ١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م. واستمرت الحرب بين الجانبين حتى انتهت على أساس

---

(١) تشستر بين: الشرق الأقصى: ص ١٢١.

(٢) بانيكار: المرجع السابق: ص ٥٨ - ص ٥٩، وانظر كذلك:
Panikar, K.M., Malabar and the Dutch, Bombay 1930.

إلغاء هولندا احتكاراتها التجارية في الهند وفي أندونيسيا، فتضاعفت بذلك خسائر شركة الهند الشرقية الهولندية، وفقدت الشركة سلطانها التجاري، وتحولت إلى السياسة والحكم، وانتهت الشركة عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م، وحلت الحكومة الهولندية محلها في تسيير أمور البلاد.

ومنذ ذلك الوقت أخذت الحكومة الهولندية تستعمر أندونيسيا، وتسير على السياسة التعسفية نفسها التي سارت عليها الشركة في حكمها لتلك البلاد. واتبع الهولنديون نظام الحكم غير المباشر ليسهل لهم السيطرة على هذه المساحات الواسعة، فكانوا ينصبون الأمراء والزعماء المحليين بحكم الأهالي ويعرضونهم لسخط المواطنين وتذمرهم، وأدخلت هولندا بعض المحاصيل الجديدة إلى أندونيسيا وأجبرت الأهالي على زراعتها، وتسليم محصولها إلى السلطات الحاكمة بالثمن الذي تحدده، كما استنزفوا ثروات البلاد وخيراتها [1].

وفي خلال الحروب النابليونية التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر استولت القوات الفرنسية على هولندا، ومدت فرنسا نفوذها إلى أندونيسيا للاستيلاء على مستعمرات هولندا عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، ولكن بريطانيا سبقتها إلى أندونيسيا بسبب المنافسة المستمرة بينهما، فاحتلت إنجلترا مراكز الشركة الهولندية في أندونيسيا (جاوة، تيمور، مكسر، سومطرة). وبانهزام نابليون وعودة استقلال هولندا مرة ثانية عادت ممتلكاتها في أندونيسيا بموجب اتفاق عقد بين هولندا وبريطانيا عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م تنازلت بموجبه هولندا عن سيلان (الهند) والكاب في جنوب أفريقيا وبعض جزر الهند الشرقية والغربية. كما استولت بريطانيا على سنغافورة والملايو. وانتهى التنافس بينهما في

(١) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١: ص ٢٩٠.

الشرق الأقصى عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م، ورفع الهولنديون رايتهم من جديد فوق بتافيا (جاكرتا)[١].

ونتيجة للحروب التي خاضتها هولندا في القارة الأوروبية وفي أندونيسيا، تراكمت الديون على الحكومة الهولندية، فزادت الضرائب على الأندونيسيين، وأجبرت الأهالي على زراعة محاصيل تحتاجها السوق العالمية، فثار الشعب وقاوم المستعمر، وقد مر نفوذ هولندا في أندونيسيا بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى ١٨١٧ - ١٨٥٠م وهي مرحلة البناء والتشييد، وفيها خاضت هولندا حروباً ضد بريطانيا وبلجيكا وضد الأندونيسيين، فارتبكت ماليتها واشتدت حاجتها إلى المال، ففرضت ضرائب باهظة على السكان، واقتصر دور السلطات الهولندية على توطيد نفوذها في جزيرة جاوة.

المرحلة الثانية ١٨٥٠ - ١٩٠٤م وفي خلال تلك المدة بدأت الأوضاع تستقر بالنسبة للهولنديين في جزيرة جاوة، فبدءوا ينطلقون إلى توسيع ملكهم، فحدثت بينهم وبين مملكة آتشيه في شمال سومطرة حرب مقدسة كبدتهم خسائر كبيرة في الأموال والأنفس.

المرحلة الثالثة ١٩٠٤ - ١٩١٤م وفي هذه الفترة بلغ النفوذ الهولندي أوج قوته، فاستطاعت هولندا أن تخضع معظم ملوك أندونيسيا لسلطانها، إما بطريق الحرب أو بطريق الخدعة. ولكنها لم تحاول أن تظهر للشعب الأندونيسي بوجهها الاستعماري البغيض، فحكمت البلاد عن طريق حكامها وسلاطينها القدامى، مع الاحتفاظ لهم بما كانوا يتمتعون به من أبهة وجاه[٢].

وكانت الأوضاع الاقتصادية في أندونيسيا تزداد سوءًا بسبب تكالب الدول الصناعية على الحصول على المواد الخام من أندونيسيا، حيث إن هولندا قد

---

(١) محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ أندونيسيا : ص ٣٢ - ص ٣٥.

(٢) علي الطنطاوي : أندونيسيا : ص ٥٥.

شجعت الشركات ورءوس الأموال الأجنبية على استثمار أموالها في أندونيسيا، فزادت هجرة الأوروبيين والآسيويين إلى أندونيسيا، وتضاعف نشاطهم الاقتصادي لاستغلال موارد البلاد، ونتيجة لذلك ساءت أحوال الشعب الأندونيسي بسبب امتلاك الأجانب للشركات والأراضي، وزادت أوضاع الناس سوءًا إبان الحرب العالمية الأولى، وذلك نظراً لوقوف هولندا على الحياد بين الكتلتين المتنازعتين فكانت تبيع الإنتاج للمتحاربين على حساب الشعب الأندونيسي الذي وعدته بالاستقلال بعد الحرب، ولكنها لم تنفذ وعودها، وخيبت هولندا آمال الأندونيسيين، ولم تعر مطالبهم أذناً صاغية، كما أن مؤتمر الصلح لم يقرر شيئاً بشأنهم، ولم يكن أمامهم من مفر سوى المقاومة [١].

المقاومة الأندونيسية منذ الاحتلال وحتى الاستقلال :

شعر الشعب الأندونيسي باستغلال المستعمر لموارده وثرواته منذ أن وطئ أرض بلاده، وأدرك أبعاد السيطرة الاستعمارية وأهدافها ضد دينه. ولم تهدأ مقاومة الشعب الأندونيسي للمستعمر منذ قدومه وحتى رحيله، فكانت المقاومة تسكن تارة وتشتد أخرى، ويقابل البطش والجبروت بروح مؤمنة بالحق والإسلام فيزداد الشعب عناداً و إصراراً على التحرر والاستقلال.

ولم ينقذ سكان أندونيسيا (جاوة) من وهدة الإذلال التي ترددوا فيها إلا إلهام الإسلام وروحه المنطبعة في نفوسهم التي رضي بها معظم سكان جاوة وسومطرة وقبلوا الإسلام ديناً. ونتيجة للضغط المتزايد عليهم من الهولنديين، فإن تمسك الناس بدينهم الإسلامي كان يزداد يوماً بعد يوم عن طريق الوعاظ والعلماء الذين كانوا ينشرون العلم بين أتباع المسلمين في البلاد، هذا فضلا عن موسم الحج الذي كان يلتقي فيه معظم المسلمين من كل أنحاء العالم، وكان الحجاج

(١) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي جـ١، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

الجاويون العائدون من مكة يجلبون معهم العلماء إلى بلادهم. كما كانت الدولة العثمانية تمثل مركز الإسلام في العالم، وكانت قوتها تعطي أهل البلاد قوة دفع في مقاومة الهولنديين حيث إن أوروبا كانت تخشى قوتها، وكذلك قوة الإمبراطورية المغولية في الهند في مطلع العصور الحديثة. وبفضل كل ذلك قوي مركز الإسلام في أندونيسيا، وقضى على الهندوسية، كما كان لوصول العلماء والأئمة من مكة والعالم الإسلامي أثر في إحداث تحويلات جذرية في الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية بأندونيسيا [1].

وقد شهدت فترة اشتداد الدعوة الإسلامية قوة المبادئ الإسلامية بهدف إبعاد الناس عن التقاليد الهندوسية والديانة النصرانية، كما كان تأثير مكة الروحي على الناس دافعاً للناس لتطبيق شريعة الإسلام وأحكامه. أما من الوجهة السياسية فكانت قوة الإسلام دافعاً للشعب لمقاومة المستعمر الهولندي.

ولما كان الهولنديون لم يهتموا بتعليم الأندونيسيين، فكان ذلك دافعاً لتقوية مركز الإسلام، ومن ثم أصبح التعليم مجالاً خصباً لعلماء الدين المسلمين، وكانت المساجد هي المراكز الطبيعية التي يشع منها ضياء العلوم الإسلامية ويؤثر في الجماهير. وقد ظل المعلمون المسلمون يعززون باستمرار من مكة والهند، فتمكنوا بفضل ذلك من المحافظة على روح الأهالي مشبوبة نابضة بالحياة. وهكذا كان موقف الهولنديين سبباً دعا الأندونيسيين إلى إنقاذ أرواحهم ومقاومة المستعمرين الدخلاء [2].

ومما لا ريب فيه أن الهولنديين اتبعوا سياسة أخذت تنزل شعباً بأكمله إلى منزلة العمال دون أدنى اعتبار خلقي أو قانوني. فكانوا يظهرون استبداداً

---

(١) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية : ص ١١٨ - ص ١٢٠.

(٢) Cobden, Richard, Political Writings of Cobden, London 1867 Vol. 2, P. 25-106.

نقلا عن بانيكار، ص ١٢٠.

لا يتصوره عقل نحو الشعب الذي يستمدون منه أعظم الغنائم بخلاف البرتغاليين الذين ألهبتهم الحماسة الروحية لنشر الديانة النصرانية، وبخلاف الإنجليز الذين كانوا لا يتدخلون في شئون الداخل في الهند بشكل مباشر، وكذلك بخلاف الفرنسيين الذين ادعوا نشر ثقافتهم. وظل الهولنديون يعملون على استغلال موارد البلاد دون أدنى التزام برعاية مصالح الشعب، غير أنهم اضطروا نتيجة ظروف خارجية لتغيير سياستهم(١).

وسنستعرض الآن حركات المقاومة الإسلامية في أندونيسيا ضد الاستعمار الهولندي.

فقد أظهر السلطان عبد الفتاح سلطان بنتام عام ١٦٣٠م عزماً شديداً وبذل جهداً أكيداً لتحويل دولته إلى مركز للنشاط الإسلامي، فأرسل ابنه نفسه لأداء فريضة الحج في مكة، وزوده بالتعليمات بالتوجه إلى استانبول عاصمة الدولة العثمانية لمساعدته أثناء حربه مع الهولنديين فجمع حوله الآلاف من الرجال الأشداء، وكون جيشاً من الفدائيين أقض مضجع الاستعمار، وبنى أسطولاً قوياً، كما تحالف مع الدولة العثمانية غير أن الهولنديين لجئوا إلى الخيانة والخديعة ليقوضوا حركته، وتمكنوا في النهاية من القضاء على ثورته وأسره.

وبعد ذلك قاد سرياتي حركة مقاومة في جاوة، واستمرت هذه الحركة عدة سنوات وانتهت بمقتله، ونفي زعماء وقادة تلك الحركة. وقاد الشيخ يوسف حركة جهاد ضد الكفرة، وجمع أسطولاً كبيراً، وحارب الهولنديين ببسالة فائقة، وكان إمبراطور الهند المسلم يساعده، لكن هولندا استطاعت القضاء عليه.

---

(١) بانيكار: المرجع السابق: ص ١٢٢، وانظر كذلك هذه المراجع التي تبحث في النشاط الهولندي الاستعماري في أندونيسيا.

Angelino, A.D : Colonial policy, London 1931.
Arny Vandenbosh, The Dutch East Indies,

وفي القرن التاسع عشر (١٨٢٥م) قاد الأمير ديبونيجيرو حركة المقاومة ضد الهولنديين لتعسفهم وظلمهم للسكان، فتطورت المقاومة إلى حرب طويلة الأمد حيث بدأت في منتصف عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م، واستمرت حوالي خمس سنوات، تكبدت هولندا خلالها خسائر فادحة في الأموال والأنفس، ويقدر عدد القتلى من الهولنديين خمسة عشر ألفاً. ولما يئست هولندا من التغلب على الأمير لجأت إلى سلاح الخديعة، فطالبت بالدخول في مفاوضات معه لوضع حد لهذا النزاع بالطرق الودية، وذلك في سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م، ولكنها غررت به، وقبضت عليه أثناء المفاوضات، ونفته إلى جزيرة سيليبس حيث بقي مسجوناً فيها حتى وفاته عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٤م. وتحولت حركته إلى نضال عام قاده الأهالي لسنوات، وأصبح ديبونيجيرو بعد ذلك من أعلام الكفاح في أندونيسيا، وقد أطلق اسمه على أهم شوارع العاصمة جاكرتا [١].

وتلا ذلك حروب جماعة بدري الإسلامية التي قادها مؤيدوها وأنصارها وأعلنوا الجهاد، واستطاعوا الانتصار، وأقاموا حكماً يرأسه ثمانية علماء، ومن أشهر الأبطال فيها الشيخ مصطفى سحاب، ثم أشعلت هولندا الحرب الأهلية، بينما أعلنت الحرب على جماعة بدري، واستمرت الحرب خمسة عشرة سنة ١٢٣٧ - ١٢٥٣هـ/ ١٨٢٥ - ١٨٤٠م. وكان الهولنديون كعادتهم ينتصرون على الملوك المحليين لا بالقوة العسكرية وإنما بالخديعة والمكر والخيانة، وإن كان النصر يتم أحيانا على بعض الملوك بالعنف والقوة والسلاح.

ولعل أشهر هذه الحروب التي جرت في غير جاوة لإحكام سيطرة الهولنديين على الجزر هي الحرب مع مملكة آتشيه التي استمرت إحدى وثلاثين سنة (١٢٩٠ - ١٣٢٢هـ) - (١٨٧٢ - ١٩٠٣م)، وكبدت هولندا خسائر فادحة

---

(١) د. إسماعيل ياغي : محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٩١.

في الأمـوال والأنفس؛ لأن سكـان هـذه المنطقة قـد اعتقـدوا أن بـلادهم أرض حـرام، فعليهم ألا يمكنوا الهولنـديين من أن يطئـوها بأقـدامهم، وشنـوا حربـاً مقدسة على الهولنديين.

وكـانت أندونيسيـا خـلال الحرب العـالمية الأولى أهم مصـدر لتمـوين تلك الحرب نظرا لوقوف هولندا على الحياد، فاستفادت الشركات الهولندية، وحققت أرباحـاً ضخمة على حساب الشعب الأنـدونيسي، وتحمل الشعب الأندونيسي الجوع والفقر من أجل الحصول على الاستقـلال الذي وعدته بـه هولندا. غير أن هولندا لم تـف بها وعدت الأندونيسيين به وهـو الاستقلال، كما أن الأندونيسيين فشلوا في الحصول على مطالبهم في مـؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩م شأنهم في ذلك شأن الشعوب العربية والإسلامية في كل أنحاء العالم [١].

وفي فترة مـا بين الحربين العالميتين، ظهـرت الأحزاب السيـاسية والجمعيـات الدينيـة التي تبنت قضيـة الاستقلال، ولعب العلماء المسلمـون دوراً كبيراً فيها. وقد أثـر ذلك على كفاح الأندونيسيين فطبعـه بطابع الجهـاد الإسلامي من أجل التخلص من الحكم الهولندي ونيل الاستقلال.

ومن هـذه الأحـزاب حـزب شركت إسـلام والجمعية المحمـديـة، والجمعيـة العائشيـة، وحزب جاوة الفتاة، وحـزب الأمراء، وجمعية نهضـة العلماء، وجمعية اتحاد علماء المسلمين، وغيرها من الجمعيات التي بلغ عددها ٥٧ جميعة [٢].

وقـد تبلـورت تلك الأحـزاب في حـزبين رئيسين هما: حـزب القمصـان الخضراء، ومن ضمنه حزب شركت إسـلام، وحزب القمصان الحمراء، ويضم الحزب الشيـوعي الأندونيسي الـذي أطلق عليه اسم «شركت رعيت» أي حـزب الجماهير وأصبح فيما بعد الحزب الشيوعي الأندونيسي.

---

(١) د. إسماعيل ياغي: محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١: ص ٢٩٢ - ص ٢٩٦.
(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ٢٠: ص ٣٨٤ - ص ٣٨٧.

وكانت سياسة الحزب الأول (القمصان الخضراء) ذات الاتجاه القومي تهدف إلى التعاون مع السلطات الهولندية الحاكمة للوصول إلى الاستقلال التدريجي. أما الحزب الآخر وهو حزب القمصان الحمراء فكان لا يؤمن بسياسة التعاون مع الحكومة، ويرى أن هذا الطريق لا يوصل إلى استقلال البلاد، فالاستقلال لن يتحقق إلا بالكفاح والنضال. وعملت هولندا على تقوية الحزب المعتدل (القمصان الخضراء) فأنشأت «مجلس الرعية» وهو بمثابة مجلس نيابي نصفه من الأندونيسيين والآخر من الأجانب، ويتكون من ٦٠ عضواً نصفهم أندونيسيون و٢٥ عضواً من الهولنديين، والأعضاء الخمسة الباقون يمثلون الدول الأجنبية، وللحكومة الهولندية حق تعيين رئيس المجلس، وليس للمجلس صفة الشرعية، ولذا فإن الشعب الأندونيسي قد أنكر فكرة التعاون مع هولندا، وانضم حزب شركت إسلام إلى القمصان الحمراء لمقاومة الاستعمار الهولندي. ونتيجة لذلك قويت حركة المقاومة للنفوذ الهولندي، واشتعلت نار الثورة في غربي جزيرة جاوة، وفي سومطرة في عام ١٩٢٨م وكادت تعصف بالنفوذ الهولندي، غير أن هولندا تمكنت من القضاء على الثورة، وحكمت بعد ذلك البلاد حكماً مطلقاً، وقيدت الحريات واضطهدت المسلمين، واستمر ذلك الوضع قيام الحرب العالمية الثانية [١].

وكانت هولندا قد عملت على إثارة النعرات القومية والشيوعية في البلاد للقضاء على الحركة الإسلامية، ورأت هولندا نشر الحركات الإلحادية، ونتج عن ذلك إيجاد تيارين رئيسين في البلاد وهما : التيار الماركسي، والتيار القومي بهدف إضعاف الحركة الإسلامية. حيث إن التيار القومي يعمل على إضعاف الحركة الإسلامية، كما أن التيار الماركسي يعمل على نشر الإلحاد والفساد، وهو الأمر

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٣٨٨ - ٣٩٠.

الذي سيدعو المسلمين إلى مقاومته بضراوة، والانشغال به عن مقاومة الاستعمار الهولندي ومؤسساته المختلفة. إضافة إلى أن المسلمين إذا انتشر بينهم الإلحاد وعم الفساد فقدوا الروح المعنوية، وضاع مفهوم الجهاد. وإن هذا التيار الماركسي سيلقى دعماً من كل الشيوعيين في العالم[١].

ثم وجدت هولندا أمراً خطيراً تشغل به المسلمين، وهو فتح الباب للقاديانية التي أوجدها الاستعمار الإنجليزي في الهند، وتعد من ألْد أعداء الإسلام؛ لأنها تدعو إلى عدم مقاومة المستعمر كما تدعو إلى طاعته والخضوع له، فاندفع المسلمون يدافعون عن دينهم ضد التحريف والتضليل، فانشغل المسلمون عن مقاومة المستعمر الهولندي، وهذا ما تبغيه السلطات الهولندية، ومن ناحية ثانية اتجه الشيوعيون ودعاة العصبية القومية إلى بث آرائهم والدعاية لأنفسهم، وإظهار الاهتمام بقضايا الشعب البائس الفقير، ويعدونه بمستقبل أفضل إن سار وراءهم، فصدق بعض أفراد الشعب هذه الدعايات ومشى وراءهم. ولم يعد زعماء الحركات الإسلامية قادرين على قيادة الأمة، وهذا ما قصده الهولنديون والاستعماريون بشكل عام من إضعاف الحركات الإسلامية عن طريق الحركات القومية والشيوعية من أهل البلاد. ونتيجة لذلك تشكل المجلس الإسلامي الأعلى من الجمعيات والأحزاب الإسلامية، وشغل بعقد مؤتمرات إسلامية عامة كما شغل بمسألة الخلافة[٢].

وخلال فترة ما بين الحربين تعرضت أندونيسيا لأزمة اقتصادية نتيجة منافسة الشركات الأجنبية والأزمة العالمية، فتعرض الاقتصاد الأندونيسي لضربات شديدة، وقل الإقبال على شراء المنتجات الزراعية الأندونيسية، وتوقفت حركة التبادل التجاري، وانحط مستوى المعيشة في أندونيسيا، فزادت البطالة،

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ ٢٠ : ص ٣٩٠ - ص ٣٩١.
(٢) المرجع السابق.

وتحكمت الشركات الأجنبية في تقدير الأجور. وإزاء تدهور الحالة الاقتصادية عملت الحكومة الهولندية على السماح للأهالي بالمساهمة في تطوير الاقتصاد الأندونيسي، وعملت على إدخال بعض الصناعات وحمايتها. فواجهت الصناعات الوطنية مقاومة من الصناعات الأجنبية فصمد بعضها وتوقف بعضها الآخر، وأصر الشعب الأندونيسي على مقاومة الاحتكار الأجنبي، وتخليص البلاد من السيطرة الأجنبية، فوجدت الأحزاب السياسية في تشجيع الصناعات الوطنية ومقاطعة البضائع الأجنبية نوعاً من مقاومة التدخل الأجنبي. لذا نشأت أحزاب سياسية ذات برامج اقتصادية، مثل الحزب الأندونيسي الذي أنشأه الدكتور محمد حتا وكيل رئيس الجمهورية أحمد سوكارنو، والحزب الوطني الذي أنشأه أحمد سوكارنو رئيس الجمهورية الأسبق، وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي الذي أنشأه سوتومو. وقد عرف هذا الحزب فيما بعد باسم «حزب أندونيسيا العظمى»، وكان له أيضا برنامج اقتصادي شامل، فنادى بتكوين بنك وطني أندونيسي لتمويل المشروعات الاقتصادية الوطنية، وإيجاد اتحادات ونقابات لمختلف الطوائف للنهوض بمستوى الصناعة والصناع (١).

ولكن الحكومة الهولندية والشركات الأجنبية وقفت أمام هذه الحركة الوطنية الاقتصادية، وأمام التيار الوطني المتدفق بصفة عامة وقفة صلبة عنيدة، فعملت على انهيار المشروعات الاقتصادية الوطنية، وقيدت حرية الصحافة والنشر، وفرضت رقابة شديدة على الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية، وحرمت على الأهالي الاشتغال بالسياسة، وعدت ذلك جريمة كافية للزج بمرتكبها في أعماق السجون أو النفي خارج البلاد، وطبقت ذلك فعلا مع أحمد سوكانور ومحمد

---

(١) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي : جـ١ : ص ٢٩٨ – ص ٢٩٩.

حتا وزملائهم من السياسيين، فنفتهم إلى جزر الملوك وغينيا الجديدة، وظلوا في المنفى إلى قيام الحرب العالمية الثانية.

ويرجع اهتمام هولندا والشركات الأوروبية بأندونيسيا لأهميتها في الاقتصادين الهولندي والأوروبي، إذ إن الأموال المستثمرة في أندونيسيا بلغت عام ١٩٣٧م مبلغ ٣٧٠ مليون جنيه، منها ٢٥٠ مليونا لهولندا، و٥٠ مليونا لبريطانيا، و٢٤ مليونا لأمريكا، وقد زادت رءوس الأموال هذه زيادة كبيرة وحققت أرباحاً كبيرة على حساب الشعب الأندونيسي الذي لم يحصل على شيء من هذه الأرباح. وإن نظرة فاحصة للدخل الأندونيسي تكفي لمعرفة الغبن الواقع على الأندونيسيين. فالأندونيسيون البالغة نسبتهم ٩٧,٥٪ من عدد السكان لا يتجاوز ما يحصلون عليه من دخل البلاد ١٢,٥٪ بينما نجد أن الهولنديين الذين لا تتجاوز نسبتهم ٠,٥٪ من عدد السكان يتجاوز دخلهم ٦٥٪ من هذا الدخل، ويحصل الأجانب ونسبتهم ٣٪ على دخل نسبته ٢٢,٥٪.

وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تظهر في الأفق، أخذ الهولنديون يخففون من غلوائهم، وينادون بمبدأ التعاون بينهم وبين الأندونيسيين، لما فيه مصلحة الطرفين. وقد اشتدت المطالبة بهذا التعاون بعد أن وقعت هولندا في قبضة الاحتلال الألماني في عام ١٩٤٠م. واستغل الأندونيسيون حاجة هولندا إلى معاونتهم في المطالبة بمنحهم دستوراً حقيقيا يحقق رغبة الشعب في اشتراكه الفعلي في الحكم، ولكن هولندا رفضت هذه المطالب. وبينما كانت المفاوضات الأندونيسية الهولندية تتعثر إزاء تمسك كل طرف بوجهة نظره، داهم أندونيسيا الخطر الياباني. وكانت اليابان إحدى دول المحور، واستولت على أندونيسيا عام ١٩٤٢م، فوقعت أندونيسيا بذلك تحت الاحتلال الياباني [1].

---

(١) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١: ص ٢٩٩ – ص ٣٠٠.

الاحتلال الياباني لأندونيسيا :

لم يكن احتلال اليابان لأندونيسيا من قبيل المصادفة، بل كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ اليابان الحديث، وبتطورها الاقتصادي في القرن التاسع عشر، وأخذها بأسباب الحضارة الأوروبية في نظمها الاقتصادية والسياسية، كما مارست سياسة التصنيع على نطاق واسع، مما دفعها إلى إيجاد مجال حيوي لها في الدول المجاورة خاصة بعد زيادة عدد السكان وزيادة الإنتاج الصناعي زيادة كبيرة. ولذا نظرت اليابان إلى الشرق الأقصى كمجال حيوي لنشاطها التجاري. ونادت بمبدأ آسيا للآسيويين، وعملت على منع التدخل الأوروبي في الشرق الأقصى، فخاضت اليابان حرباً مع الصين بشأن كوريا عام ١٨٩٤م، وضمتها اليابان إليها. ثم أعقبتها الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥م بخصوص الاستيلاء على إقليم منشوريا، وإبعاد النفوذ الروسي عن سواحل المحيط الهادي المواجه لليابان. وفي عام ١٩٣٧م دخلت اليابان في حرب مع الصين، وعدها المؤرخون بداية للحرب العالمية الثانية. ثم أخذت اليابان تتطلع إلى أندونيسيا بعد أن ارتبطت معها بروابط تجارية واسعة، وحاولت اليابان إدخال أندونيسيا في مضمار الاتحاد الاقتصادي الذي أطلقت عليه اسم منطقة الرخاء الآسيوية المشتركة بهدف إبعاد النفوذ الأجنبي عن تلك المنطقة الآسيوية، ورفضت هولندا ذلك، ولكن اليابان أصرت على ذلك ونفذته بالقوة فكان الاحتلال الياباني(١).

وباحتلال اليابان زالت صفحة بغيضة من صفحات الاستعمار الهولندي، وتبدأ صفحة جديدة استمرت حوالي ثلاث سنوات ونصف السنة، حاولت اليابان خلالها أن توهم الشعب الأندونيسي بنواياها الطيبة نحوه، واستغلت الشعارات التي تنادي بآسيا للآسيويين، وبتحقيق منطقة الرخاء الآسيوي

(١) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، جـ ٢٠، ص ٣٠٥ - ٣٠٩.

المشتركة. وعملت اليابان على استنزاف ثروات البلاد، كما اتبع اليابانيون سياسة الاكتفاء الذاتي الاقتصادي في كل جزء من أجزاء البلاد، فصار كل إقليم يزرع ما يحتاجه من مواد غذائية، وبذلك استطاعت اليابان أن تنقل كميات ضخمة من تلك المنتجات إلى بلادها، كما استخدمت الأيدي العاملة الزائدة في الأعمال الحربية اليابانية.

وكان اليابانيون قد أظهروا حماسة لفكرة استقلال أندونيسيا لكي يكسبوا ود الشعب إلى جانبهم، وبدأ عهد جديد من التعاون بينهم وبين اليابانيين، فاستقرت الأمور في هذه المنطقة في وقت حاسم وحساس. وشجع اليابانيون على تكوين جمعيات ووحدات عسكرية أندونيسية تحت رعايتهم لتخليص المنطقة من الاستعمار الغربي ودحر قوته. وسعى الوطنيون الأندونيسيون إلى مظاهرة اليابان وتأييدها من أجل الاستقلال، وفي الوقت نفسه كانت تعمل على رفض أي محاولة يابانية للسيطرة على أندونيسيا ومنع هولندا من العودة إلى البلاد.

ولما وجد الشعب الأندونيسي أن اليابان غير جادة في منحنى الاستقلال، وأن احتلالها وتصرفاتها لا تختلف عن الاحتلال الهولندي، إذ إن نشاطهم التجاري دل على استغلالها البشع، لذا فإنهم هبوا للدفاع عن الاستقلال ومقاومة الاستعمار الياباني، وكان جهادهم متصلا ضد الاستعمارين الغربي والشرقي [1].

وقاد زعماء البلاد حركة مقاومة سرية، كما قاموا بتكوين التشكيلات السرية ضد الحكم الياباني، كما عمل زعماء البلاد وعلى رأسهم أحمد سوكارنو ومحمد حتا على إلهاب الشعور الوطني حتى لا تخدره الوعود اليابانية، وذلك خشية أن تقع بلادهم تحت النفوذ الياباني، كما أسس المسلمون حزب الله بقيادة زين العارفين من جمعية نهضة العلماء، واشترك جميع الأندونيسيين في مقاومة اليابانيين.

---

(١) بيير رونوفن، المرجع السابق، ص ٤٠١ - ٤٠٣.

فلجأت سلطات الاحتلال اليابانية إلى القبض على هؤلاء الزعماء ومحاكمتهم. وإعدام بعضهم، ونفي بعضهم الآخر خارج البلاد، ثم شددت قبضتها على الشعب الأندونيسي، وفرضت الأحكام العسكرية عليه. وظل هذا الوضع قائما حتى هزيمة اليابان واستسلامها دون قيد أو شرط عام ١٩٤٥م بعد ضرب مدينتي هيروشيما ونجازاكي بالقنابل الذرية[1].

استقلال أندونيسيا والنزاع مع هولندا:

بانتهاء الحرب العالمية الثانية تقدم اليابانيون بمشروع لاستقلال أندونيسيا، ولكن زعماء البلاد رفضوا أن يكون استقلالهم منحة، وكان هذا الإصرار سبباً في رضوخ اليابانيين لرغبة الزعامة الوطنية التي أصدرت إعلاناً تاريخيا باستقلال أندونيسيا عام ١٩٤٥م. وتشكلت الجبهة الوطنية لإصدار دستور جديد للبلاد، وأعلن عن قيام الجمهورية الأندونيسية التي تمكنت من بسط سيطرتها على معظم أجزاء البلاد في جاوة ومادورا وسومطرة ومناطق أخرى.

وبينما كانت القوات الأندونيسية توطد أقدامها في البلاد، إذا بالقوات الهولندية والإنجليزية تعود إلى البلاد ثانية لتحل محل القوات اليابانية المنهزمة، فرفضت حكومة أندونيسيا السماح للقوات الهولندية بدخول البلاد، غير أنها (القوات الهولندية) رفضت ذلك، ونزلت قواتها بالقوة في أندونيسيا واستطاعت السيطرة على جزيرتي جاوة وسومطرة.

بدأت المشكلة الأندونيسية تلفت أنظار العالم، فعرضت القضية على مجلس الأمن عام ١٩٤٦م، الذي أوصى بوقف إطلاق النار، وحل المشكلة بالطرق السلمية، وبعد مفاوضات شاقة توصل الطرفان إلى توقيع اتفاقية ١٩٤٧م التي

---

(١) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ١: ص٣٠٢.

تنص على اعتراف هولندا بالجمهورية الأندونيسية في جزر جاوة وسومطرة، وطالبت بجلاء القوات الأجنبية عن تلك الجزر. كما طالبت الاتفاقية بإيجاد تعاون بين هولندا وأندونيسيا وإنشاء حكومة اتحادية عام ١٩٤٩م تشمل أندونيسيا كلها(١).

وقد صودق على هذه الاتفاقية سنة ١٩٤٧م، وبدأ الطرفان وضع بنودها موضع التنفيذ، وأخطرت هيئة الأمم المتحدة بذلك. وعقدت بين الطرفين عدة اجتماعات، واختلف الطرفان في تفسير عدة مسائل، وفشلت الجهود جميعها في تنفيذ الاتفاق، وذلك لعدم توافر الثقة بينهما. ونتيجة لذلك هاجمت القوات الهولندية القوات الأندونيسية للقضاء على الاتفاقية المذكورة، وتدخل مجلس الأمن وفرض وقف إطلاق النار، وأوصى بالدخول في مفاوضات في حل النزاع بالطرق السلمية، وعين لجنة وساطة لمساعدة الطرفين على الوصول إلى اتفاق. غير أن هولندا كانت تضع العراقيل أمام اللجان الدولية حتى تبقي على وجودها العسكري، في حين تطالب الحكومة الأندونيسية بالاستقلال وإنشاء اتحاد هولندي أندونيسي. ولم تكتف هولندا بذلك بل أعلنت الحرب مرة أخرى عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، واحتلت جاكرتا عاصمة الجمهورية، وألقت القبض على الرئيس أحمد سوكارنو ووكيله محمد حتا وزجت بهما في السجن.

وإزاء تدهور الموقف في البلاد اجتمع مجلس الأمن عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، وطالب بوقف إطلاق النار وبعودة قوات الطرفين إلى خطوط الهدنة، ورفضت هولندا ذلك، واستمرت في أعمالها العدوانية، غير أن مجلس الأمن أصر على وقف جميع الأعمال العدوانية، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، فاستجابت

---

(١) إسماعيل ياغيومحمود شاكر، المرجع السابق، ص ٣٠٢ - ص ٣٠٤.

هولندا للقـرار بعد تهديد أمريكا لها ودول أوروبا فـوافقت على عقد مؤتمر للمائدة المستديرة في لاهاي، وتم عقده في عـام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ونجح المتفاوضون في إعـلان استقـلال أنـدونيسيـا واتحادها مع هـولنـدا في السيـاستين الخارجيـة والعسكـريـة . وقـد وافق مجلـس الأمن على قـرارات مـؤتمر المائدة المستـديـرة في لاهاي .

وكـانت الجماعات الإسـلامية قـد شكلت حـزبا واحـدا عرف بـاسم مجلس الشورى الإسلامي أو مـا يسمى «ماشومي» وذلك إثر الاحتلال اليـاباني. وكان الـرئيس أحمد سوكـارنـو قد عهـد إلى عـامر شرف الـدين بـرئاسة الـوزراء ووزارة الدفاع، وسـانده الاتحاد السوفييتي وأبرز دور الحزب الشيـوعي في الحصول على الاستقلال، وهذا ما قوي الحزب ولكن الشعب المسلم عارض تعيين عامر شرف الدين واضطـر نائب رئيس الجمهـورية إلى إقالتـه، وتولي مهمـة رئيس الوزراء، فثارت ثائرة الشيـوعيين، وأعلنوا الثورة على الحكومـة وشكلوا حكومة جمهـورية أندونيسيا السوفييتية برئاسة عامر شرف الدين ومركزها ماديون. وأعلن المسلمون الجهـاد ونجحوا في القضـاء عليهـا وحكم على أنصارهـا بـالإعدام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م[١].

لقـد دام الشكل الاتحادي للدولـة حتى عـام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، وقـامت وحدة بين الدويلات، وأصبح اسم الدولة جمهورية أندونيسيا، وشكل الحكومة محمـد ناصر زعيم حـزب مـاشومي، ثم استقـالت، وشكل الحكـومة الجديـدة الدكتور سويكيمان وهو من زعماء حزب ماشومي الإسلامي أيضا، واستمرت في عملها عـاماً حيث استقـالت، ثم تقـرر إجراء انتخـابات لمجلس نيـابي في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، وألف الحزب الـوطني حكـومـة ائتـلافيـة اشتركت فيهـا

(١) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ٢٠ : ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

الأحـزاب المختلفـة، وعلى رأسهـا حـزب ماشـومي. ومما يجدر ذكـره أن مـؤتمر باندونج قد عقد في العـام نفسه، وكـان أول مؤتمر لدول عـدم الانحياز ويمثل تسعا وعشرين دولة آسيوية وأفريقية.

وفي عام١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، أعلن الرئيس أحمد سوكارنـو عن سياسته الجديـدة وهي الديمقـراطية الموجهـة إثـر زيارتـه للاتحاد السـوفييتي والصين، فعارض السـاسة والشعـب هذه السياسـة، ورفضت الأحـزاب السياسيـة هذه الدكتاتورية، وطالب الشعب باستقالـة الحكومة وعودة الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهـوريـة الذي استقـال احتجـاجـاً على هـذه السياسـة، فـانسحبت الأحزاب الإسلاميـة من الوزارة وأجبرتها على الاستقالة، وأعلن الرئيس سـوكارنو حالة الطوارئ، وتطبيق الأحكام العرفية في البلاد، ولـم يستطع الرئيس سوكارنو تشكيل حكومة ائتلافية، فشكل الوزارة بنفسه بالتعيين، وحدثت أزمة دستورية وحل المجلس النيابي، وتأسس مجلس جديد على أساس الديمقراطية الموجهة.

وبعد أن طبق سوكارنو سياسته الجديدة، اعتقل الزعماء المسلمين وحل حزب ماشومي، لذا نشط الحزب الشيوعي، وخلا له الميدان فأعلن أنه سيكون الحزب الوحيـد في البلاد، وأنه سيحـول السياسة وفـق أهدافه ومبـادئه، فهاجم الحزب المدارس الإسلامية في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وتكررت هذه الأحداث في عدة مـدن. وفي عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م أعلن الشيوعيـون ثورتهم متعللين بمـرض سـوكارنـو وعـدم اهتمام الجيش بالأمـر والأخطـار التي تهدد البـلاد. وقاد قـائد الحرس الجمهوري الثورة في ٢٥ من رجب ١٣٨٥هـ/ ١٨ من نوفمبر ١٩٦٥م، واعتقل بعض الجنرالات المسلمين، وتم قتلهم والتمثيل بجثثهم. ولكن الجنرال عبد الحارث ناسوتيان أمر الجنرال سوهارتو بالقضاء على الثورة. ونجح سوهارتو بعـد سـاعـات في القضـاء على ثـورة الشيـوعيين، وهب الشعب لملاحقتهم،

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٤١٠ - ٤١٢.

وسيطرت القوات المسلحة على الوضع . وبدأ الصراع بين سوكارنو وقادة الجيش . وانتهى هذا الصراع بإزاحة سوكارنو من السلطة عام ١٩٦٧م، وتعيين الجنرال سوهارتو رئيساً للجمهورية الذي لا يزال حتى اليوم (١) .

واعترفت الحكومة بالحزب الإسلامي الأندونيسي، وأصبح مجموع الأحزاب في أندونيسيا عشرة وهي حزب نهضة العلماء، وحزب شركت إسلام، والحزب الوطني الأندونيسي، والحزب الكاثوليكي، والحزب البروتستانتي، وحزب موريا، وحزب برتي الإسلامي، وحزب إيبكي، والفئة العاملة .

وخلال الأحداث جرت مفاوضات بين هولندا وأندونيسيا حول جزيرة إيريان الغربية، وكانت هولندا تضع العراقيل بشأنها بسبب وجود النفط في الجزيرة لذلك طالبت هولندا بجعل جزيرة إيريان جزءًا من هولندا، وقد ساندت الدول الغربية هولندا، كما ساند الاتحاد السوفييتي أندونيسيا، غير أن الأمم المتحدة لم تؤيد أندونيسيا، فانسحبت أندونيسيا من الأمم المتحدة بعد فشلها في حل المشكلة فقامت الحكومة الأندونيسية بتأميم الشركات الهولندية والاستيلاء على المصانع الهولندية ومختلف المنشآت، فتدخلت الأمم المتحدة عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ووضعت إيريان تحت إشراف أندونيسيا . وانتهت هذه المشكلة في إطار سياسة الأمر الواقع، وعادت أندونيسيا بعد ذلك للأمم المتحدة، ومارست عضويتها بشكل كامل (٢) .

واليوم تعاني أندونيسيا من زخم التحرك التنصيري والتفاهم بين الإرساليات التنصيرية هذه وبين الشيوعيين الذين فشلوا في محاولاتهم للسيطرة على الحكم . وتتساهل الدولة مع هؤلاء على حين تقف في وجه الحركة الإسلامية، وتحول دون وصولها إلى الأرياف حيث لا تزال الوثنية هناك .

---

(١) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي : جـ١ : ص ٣٠٩ - ص ٣١٠ .
(٢) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي : جـ٢٠ : ص ٤١٢ - ص ٤١٥ .

وهكـذا نجـد أن الدول الاستعمارية كـانت تعمل على استغـلال واستعبـاد الشعـوب الإسـلاميـة أطول مـدة ممكنـة، من أجل نهب خيرات وثـروات هـذه البـلاد، وجعلها سـوقاً لبضـائعها حتى تبقى عجلـة الصناعـات الغربيـة دائرة باستمـرار على حساب الشعـوب الضعيفة. لكن تضـامن الشعب الأندونيسي كـان السـلاح الفعـال للقضاء على قـوة هـولنـدا. واكتسب العـالم الإسـلامي باستقلال أندونيسيا الإسلامية سنداً جديدا وقوة جديدة للمسلمين.

جنوب شرق آسيا والسيطرة الأوروبية

الاستعمار الفرنسي :

حاولت فرنسا السيطرة على الهند الصينية (فيتنام، تايلاند وكوريا، وكمبوديا) بثلاث وسائل هي التبشير (التنصير) والخداع والقوة، وذلك للتعويض عما فقدوه في الهند بعد أن طردتهم بريطانيا منها .

وكانت فرنسا تخطط لقيام إمبراطورية في آسيا بالقوة بحجة حماية الكنيسة بسبب الاضطهادات التي تتعرض لها البعثات التبشيرية (التنصيرية)، فقررت فرنسا القيام بحملة حربية تعاونها أسبانيا في الفلبين لرفع الإهانة التي وقعت على ديانتهم وثقافتهم التنصيرية . فاستولى الفرنسيون على سايجون في فيتنام، ولكن الأهالي حاصروا المدينة وجعلوا مركز الحامية الفرنسية قلقاً وحرجاً جدًّا . غير أن الحصار رفع عنها بعد وصول نجدات أخرى فرنسية، وتقرب القائد الفرنسي إلى ملك كمبوديا الذي أظهر موقفاً وديا، وعقد معاهدة مع كمبوديا سنة ١٨٦٣ م تحولت بها تلك الدولة إلى محمية، بحيث تضع كل شئونها الخارجية تحت تصرف فرنسا التام، كما نصت الشروط على تعيين مقيم فرنسي، وعلى حق بعثات التنصير الفرنسية في القيام بنشاطها الديني، وحرية السفر، وحق فرنسا في استغلال الغابات . كما عقدت فرنسا معاهدات مماثلة مع تايلاند (سيام) ١٨٦٧ م . واستمرت اعتداءات فرنسا على فيتنام (مملكة أنام)، وفي الوقت نفسه قاوم الأهالي بضراوة العدوان الفرنسي الذي استمر خمسة عشر عاماً أخرى . وقد هزم الفرنسيون في هانوي (عاصمة فيتنام)، وأدت تلك الهزيمة إلى تسوية نهائية اعترفت فيها فرنسا بسيادة إمبراطور فيتنام، ووعدته بالمساعدة ضد أي عدوان أجنبي مقابل أن تتولى فرنسا السياسة الخارجية، ونجحت فرنسا في السيطرة على الهند الصينية[1].

---

(١) تشستر بين، الشرق الأقصى، ص ١١٠ - ١١٢ .

واستمـر الصراع بين الأهـالي والفـرنسيين في الهنـد الصينيـة ، وأدى إلى قيـام عمليات حربية ، وتواصلت الأعمال العدوانية ، وفشل الفرنسيون في إيقاف تلك الأعمال العـدوانية ، فنشبت حـرب نظـامية بين الطـرفين ، وتنـازلت الصين عن سلطـانها في تونكين وأنـام عـام ١٨٨٦ م . وكلفت فـرنسا أمـراء البحـر مقاومـة السكـان آخذين بـالحزم والقوة في القضـاء على الأعمال العـدوانية ، وفي الـوقت نفسه عمل الأهـالي على عدم التعاون مع الفرنسيين منـذ البداية ، وكانت فـرنسا تريد تطبيق النظم القائمة في فرنسا (١) .

عمد الفرنسيـون إلى سياسة التفوق العنصري فتعلقوا بها لاهتمامهم بـالمحافظة على هيبتهم مثل الإنجليز واحتقروا الأهالي وأذلوهم . وهـذه السياسة كانت تزيد من كراهية الشعـب لهم في كل مكان ، وتحفزه بل تدفعه لمقـاومتهم وطردهم من البلاد حتى حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية .

وكانت فرنسـا قد عملت على إنشاء الطرق والسدود والتلغـراف والتليفونات والسكك الحديد ، ولكن الشعب كـان غاضبـا على السلطات الفرنسيـة ، وكان معتزا بقـوميته ووطنيتـه ، لذا فقـد قامت فتن وتمردات محليـة في فيتنام وكمبـوديا وتونكين ، فقـاموا بـذبح الأهالي النصـارى الموالين لفرنسـا ، فلم يخضعـوا لهيمنة فرنسا ، وأخذت سيـاسة المشاركة والترابط بدلا من سيـاسة الإدماج . واستمرت المقاومة حتى حصولهم على الاستقلال . وكانت فرنسا قدتحكمت في هذه الدول بشكل يثير الأهالي ضـدها ، وخـاصة نظام الامتيـازات التي كانت تعطي فـرنسا صلاحيات كبيرة من أجل فرض هيمنتها على تلك الدول الشرق آسيوية (٢) .

---

(١) بانيكـار : آسيا والسيطرة الغربية : ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٢) تشستربين : الشرق الأقصى : ص ١١٢ - ١١٣ .

ونتيجة لتحدي بريطانيا لمشروعات فرنسا التوسعية بضم سيام (تايلاند) إليها، فقد عقدت معاهدة بين بريطانيا وفرنسا لتسوية مشكلات الحدود، وجرى تقسيم المناطق الحدودية بينهما، ومنحت بريطانيا امتيازات تجارية مهمة، ومع ذلك استطاعت سيام المحافظة على استقلالها الذاتي في أواخر القرن التاسع عشر (١).

الفلبين والاستعمار الأسباني :

أرسل الأسبانيون ماجلان في رحلة كشفية إلى العالم، فوصل إلى الفلبين عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، في محاولة لتطويق المسلمين بعد أن أخرجوهم من الأندلس. وما إن وصل ماجلان هناك حتى بدأ يعمل على نشر النصرانية عن طريق القوة أحيانا، وعن طريق الإغراء أحيانا أخرى. فقتل على أيدي المسلمين الذين كانوا قد أعلنوا إسلامهم منذ زمن وأقاموا سلطنات إسلامية منذ القرن الثالث الهجري، وذلك لأن ماجلان استخدم العنف والقتل ضدهم، فثارت ثائرة المسلمين للدفاع عن أرضهم ودينهم، فقتلوه.

وإزاء ذلك أرسلت أسبانيا أربع حملات متتابعة نزلت على شواطئ جزيرة مندناو حيث يكثر عدد المسلمين، فقامت بقتل المسلمين وذبحهم تدفعهم روح حاقدة وصليبية واضحة، فقاوم المسلمون وأبادوا جنود الأسبان، وأخيراً نجح الأسبان في بسط حكمهم على الجزر ١٥٧١م (٢).

وتعرضت الفلبين للغزو البرتغالي سنة ١٥٧٤م، وكذلك هدد الصينيون الفلبين، كما هددت اليابان تلك البلاد ١٥٩٠م، وفيما بين عامي ١٦٠٠ - ١٦٤٦م استولى الهولنديون على بعض القواعد في الجزر، وفي أثناء حرب السنين السبع، ولكنهم أعادوها لأسبانيا بعد انتهاء الحرب. ولقد نجحت أسبانيا في جعل معظم الأهالي يعتنقون النصرانية.

---

(١) تشستر بين، المرجع السابق، ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي : جـ١ : ص ٣٦٠ - ص ٣٦٢.

قامت ثورة في البلاد ضد أسبانيا عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٢م، وتمكن المستعمر من إطفاء نارها، لكنها عادت فاشتعلت مرة ثانية عام ١٨٩٦م واضطر حاكمها الأسباني أن يفر إلى هونج كونج. وخلال هذه الفترة عملت منظمة سرية على الإطاحة بالنفوذ الأسباني تعاونها الولايات المتحدة الأمريكية، ونجحت الولايات المتحدة الأمريكية في إلحاق الهزيمة بالأسطول الأسباني عام ١٨٩٨م، وضمت الفلبين بهدف امتلاك بعض أراضي الصين، واحتمال استيلاء ألمانيا على الجزر، وغيرها من الأسباب الأخرى. فدفعت الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ عشرين مليونا من الدولارات لأسبانيا ثمناً للفلبين التي ظلت تحت الحكم الأسباني أكثر من ثلثمائة عام. وأقيمت حكومة عسكرية أمريكية في الفلبين، وقد حققت الفلبين تقدماً كبيراً أثناء الحكم الأمريكي، وحصلت على الاستقلال الذاتي عام ١٩٣٤م ثم خضعت للاحتلال الياباني سنة ١٩٤١م، وعادت إليها القوات الأمريكية ١٩٤٤م، وتم طرد اليابانيين منها سنة ١٩٤٥م. وأخيراً حصلت الفلبين على الاستقلال التام عام ١٩٤٦م. وظل الصراع بين المسلمين في الفلبين والحكومة حتى اليوم من أجل أن يحصل المسلمون في الجزر الجنوبية على استقلالهم الذاتي [١].

بورما والاستعمار البريطاني:

لم يستطع حكام بورما تكوين مملكة إلا في القرن الحادي عشر، وقد تم تدميرها على أيدي ملوك الصين المغول في القرن الثالث عشر، وظلت بعد ذلك مقسمة إلى أقاليم يحارب بعضها بعضا. وقد بدأ الأوروبيون يتاجرون مع بورما في القرن السادس عشر، فعقد البرتغاليون معاهدة مع بورما بعد استيلائهم على الملايو (ملقا) سنة ١٥١١م، ثم بدأ التدخل الفرنسي والبريطاني، ولكن البورميين قاوموا النفوذ البريطاني، وقامت عدة حروب بينهم وبين الإنجليز

(١) تشستر بين: الشرق الأقصى: ص ١٢٥ - ص ١٣٢.

وتحقق النصر للإنجليز، وضموا بورما لهم لمجاورتها للهند حتى لا تقع فريسة لدولة أوروبية أخرى كفرنسا، وتم ذلك عام ١٨٨٥م [1].

عين الإنجليز حاكماً لبورما وألحقوها بحكومة الهند، ويعاونه مجلس تشريعي يتألف من تسعة أعضاء. واحتفظ الإنجليز بالزعماء المحليين لجمع الضرائب وأدى السلام بين الجانبين إلى ارتفاع مستوى المعيشة، ونجم عن ذلك زيادة عدد السكان.

وهناك حقائق مهمة ينبغي دراستها نتيجة للسيطرة الاستعمارية في آسيا :

١ - بدأ التوسع الأوروبي في الشرق في شكل حروب صليبية ضد المسلمين في بادئ الأمر، ثم توقفت بعد ذلك بسبب ظهور الحركة البروتستانتية التي مزقت العالم المسيحي، كما أن التعصب المسيحي (النصراني) ضد الإسلام أثر على أوروبا وأدى إلى قيام الحروب الدينية في أوربا طيلة قرن من الزمن في القرن السابع عشر. وحل محل الروح الصليبية روح التنصير ونشر النصرانية وهذا يبين أن الدين كان عاملاً من عوامل التوسع الأوروبي.

٢ - الناحية الاقتصادية، إذ سيطرت التجارة على الناحية الدينية، وغطت عليها، فقد أولى البرتغاليون والأوربيون التجارة والحصول على التوابل والبهارات اهتماما فاق اهتمامهم بالدين. ومن ثم أخذت شعوب آسيا تحس أن الأوروبيين أصبحوا خطراً يهدد كيانهم وأنه لا بد من أخذهم مأخذ الجد. فأولى الزعماء الآسيويون صنع المدافع وتنظيم الجيوش والمعدات العسكرية اهتماما. وقد استطاعت هذه الشعوب أن تتعلم وتنهض ببلادها حتى أصبحت قوية، خاصة بعد معرفة تلك الشعوب بمبادئ الثورة الفرنسية.

---

(١) تشستر بين، المرجع السابق، ص ١١٠ - ١١١.

٣ - أن فترة التوسع الإمبراطوري في القرن التاسع عشر قد هيأت الفرصة لشعوب آسيا لتستفيد من الخبرات والمهارات الفنيـة والعلمية التي جاءت بها أوروبا إلى آسيـا في شكل مشروعـات وإنشـاءات كـالسكك الحديـد والطـرق والتلغـراف والبرق، وإنشاء الكليـات الجامعية كما أن التـوسع الاستعماري ساعد على إثارة الحركـات التحررية لدى شعوب آسيا، وبـرز نتيجة لذلك القومية الوطنية التي ساعدت شعوب آسيا على إحراز استقلالهـا.

٤ - لا شك أن فترة التوسع الأوروبي أدت إلى تغير النظم القانونيـة تغيرا جوهرياً بجميع الأقطار الآسيوية، وأعيد تنظيمهـا من جديد وفق مفاهيم أوروبا في القرن التاسع عشر وبعد الثورة الفرنسية.

٥ - أثرت حركـات المقاومة السياسية في آسيـا ضد الأوروبيين في أشكال الحكم وطبيعة الحقـوق السياسيـة والديمقراطيـة بأوسع معانيهـا، وأنواع الإدارات المحلية والبلدية.

٦ - تأثرت أوروبا من احتكاكها بآسيا، إذ إن نمو الرأسمالية أحدث تغيراً عميقاً وانقـلاباً ثـوريا يتصل اتصـالاً وثيقاً بـانتشار التجـارة والأعمـال الأوروبيـة بـآسيا. هـذا إلى أن التطـور السياسي في دول أوروبـا الغربيـة كـان مرتبطـا باستغلالها لممتلكاتها الآسيوية والثروة التي حصلت عليها من التجارة وتولي شئون الحكم فيهـا. وإن حياتهم الماديـة تحمل آثار الشرق فيهم. وقـد أثمر تعـانق الحضـارات وتبـادل الثقــافـات بين الجانبين في ازدهــار الحضـارة العالمية، وقد برزت الآثار الروحية والثقافية في القرن التاسع عشر(١).

---

(١) بيير رونوفن، المرجع السابق، ص ٤٥٠ - ٤٥١.

قائمة مراجع الكتاب

١ - أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، جدة ١٩٧٧م.

٢ - د. أحمد محمد السادتي، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، القاهرة ١٩٧٨م.

٣ - د. إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم الإسلامي في آسيا : جـ١، ط ٢، المريخ، الرياض ١٩٩٣م.

٤ - أنور الرفاعي وشاكر مصطفى، تاريخ العالم، دمشق ١٩٥٠م.

٥ - أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، القاهرة ١٩٧٠م.

٦ - د. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي : جـ١، الكويت ١٩٨٤م.

٧ - بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة د. نور الدين حاطوم، دمشق ١٩٦٠م.

٨ - بانيكار، ك. م، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة ١٩٦٢م.

٩ - تشستر بين، الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت، القاهرة ١٩٦٣م.

١٠ - د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، القاهرة ١٩٦٦م.

١١ - د. جلال يحيى، الشرق الأقصى، القاهرة ١٩٧٥م.

١٢ - جون كيلي، بريطانيا والخليج، ترجمة وزارة الثقافة - عُمان ١٩٧٨م.

١٣ - د. السيد رجب حراز، عصر النهضة، القاهرة ١٩٨٤م.

١٤ - د. شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، القاهرة ١٩٨٠م.

١٥ - د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٨٤م.

١٦ - د. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق ١٩٧٠م.

١٧ - د. عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت ١٩٧٣م.

١٨ - فؤاد محمد الصقار، دراسات في الجغرافيا البشرية، بيروت ١٩٧٣م.

١٩ - لوتروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، وتعليق شكيب أرسلان، بيروت ١٩٧٧م.

٢٠ - علي الطنطاوي، أندونيسيا، بيروت ١٩٧٢م.

٢١ - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي : جـ١٩، جـ٢٠، بيروت ١٩٨٩م.

٢٢ - محمود شاكر، جغرافية العالم الإسلامي، الرياض ١٩٧٨م.

٢٣ - محمود شاكر، الأقليات الإسلامية، بيروت ١٩٨٨م.

٢٤ - محمد أسد شهاب، صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة، بيروت ١٩٧٢م.

٢٥ - د. محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي، القاهرة ١٩٦٢م.

ثانيا : المراجع الأجنبية

1 - Army Vandinbash, The Dutch East Indies, California 1912.

2 - Angelino, A.D. Colonial Policy, London 1931.

3 - Bland J.O: Recent Events and Present Policies in China, London 1912.

4 - ________________ Li Mung Chang London 1917.

5 - Balmer, J., Embassy to China, London 1936.

6 - Bernard, Bery Henry, Islands of Philippenes.

7 - Bullard, J. Britain and the Middle East, London 1951.

8 - Clements, P.N., The Boxer Rebellion New York 1915.

9 - Conou, Ch. Japanese Expansion on Asia Continent.

10 - Costen, O.K., Great Britain and China, Oxford 1937.

11 - Davis, J.F. China, London 1857.

12 - Fortival, J.S., Wether Lands Islands, London 1944.

13 - Hail, W.J. Tsang Kuo Fou and the Taiping Rebellion New Haven 1927.

14 - Hudson, E. Europe and China, London 1931.

15 - Leton, Lord, Indian Administration, London 1948.

16 - Miles, J., The Countries and Tribes of the Persian Gulf, London 1948.

17 - Owen, David Edward, British Opium Poilcy in China and Japan, New Haven 1934.

18 - Panikar, K.M., Malabar and the Portoguse, Bombay 1927.

19 - ________________, Asia and Western Dominance, Bombay 1927.

20 - ________________, Indian States and the Government of India, London 1956.

21 - ________________, Malabar and the Dutch Bombay, San Som G.B.

22 - The Western World and Japan, London 1927.

23 - Tompson and Grant, British Rule in India, London 1958.

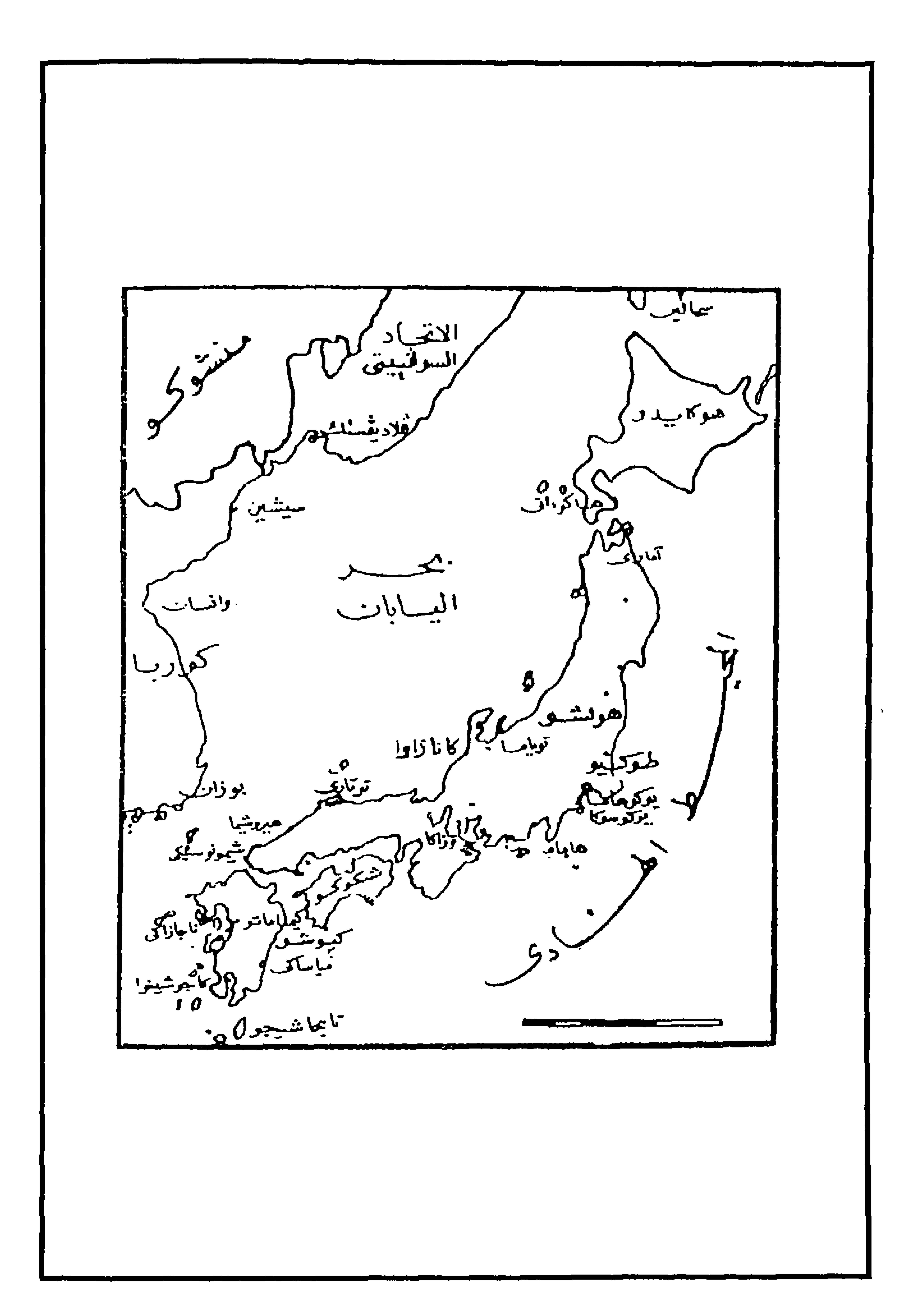
24 - Tse Chang, Siny, Portoguse Trade, Lyden 1934.

25 - Wise, White, Rise of Portoguse Power in India, London 1958.

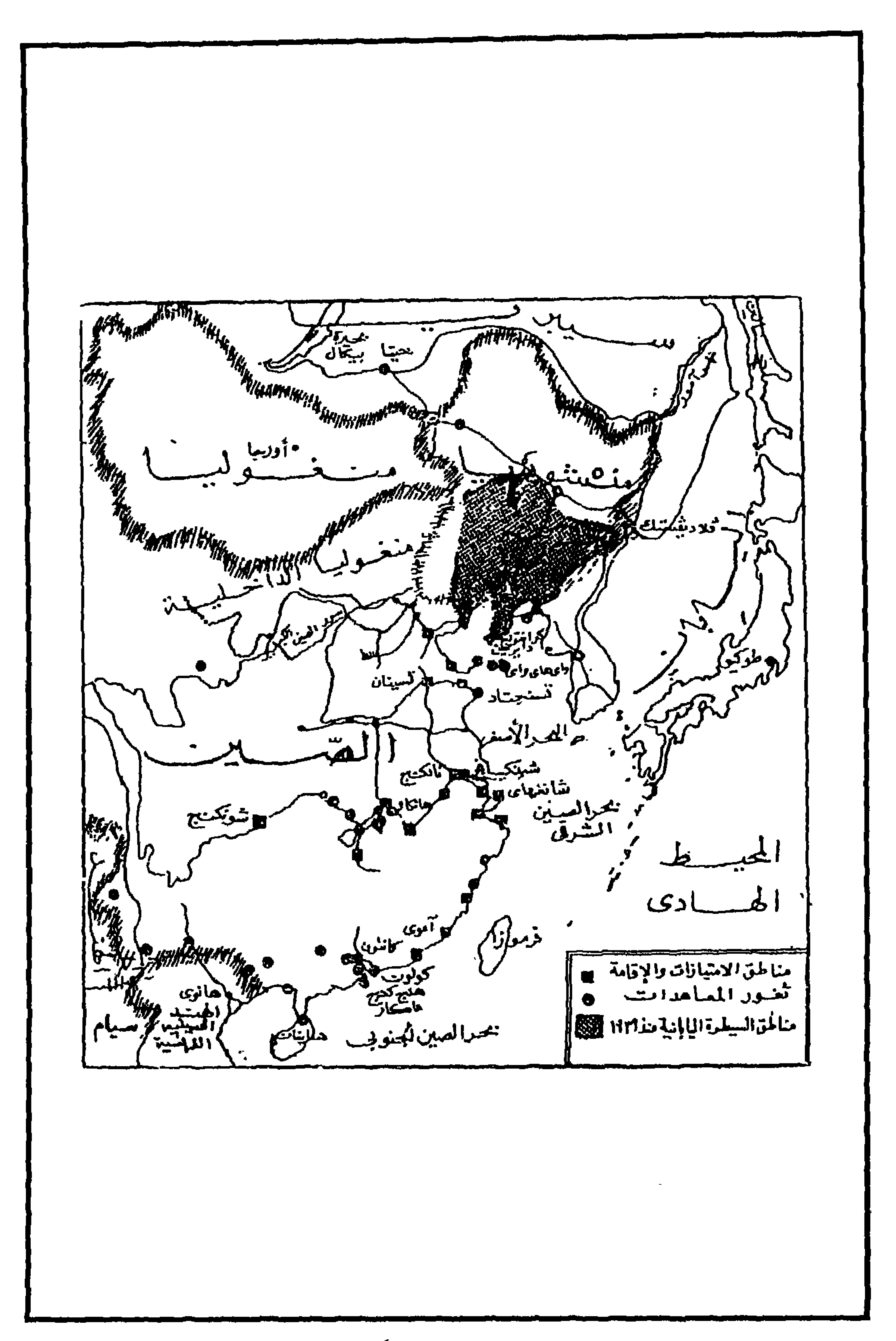
26 - Wheeler, J. The Foreigner in China, Chicago 1881.

27 - Wolworth, Arther, Black Ships of Japan, New York 1946.

فهرس الكتاب

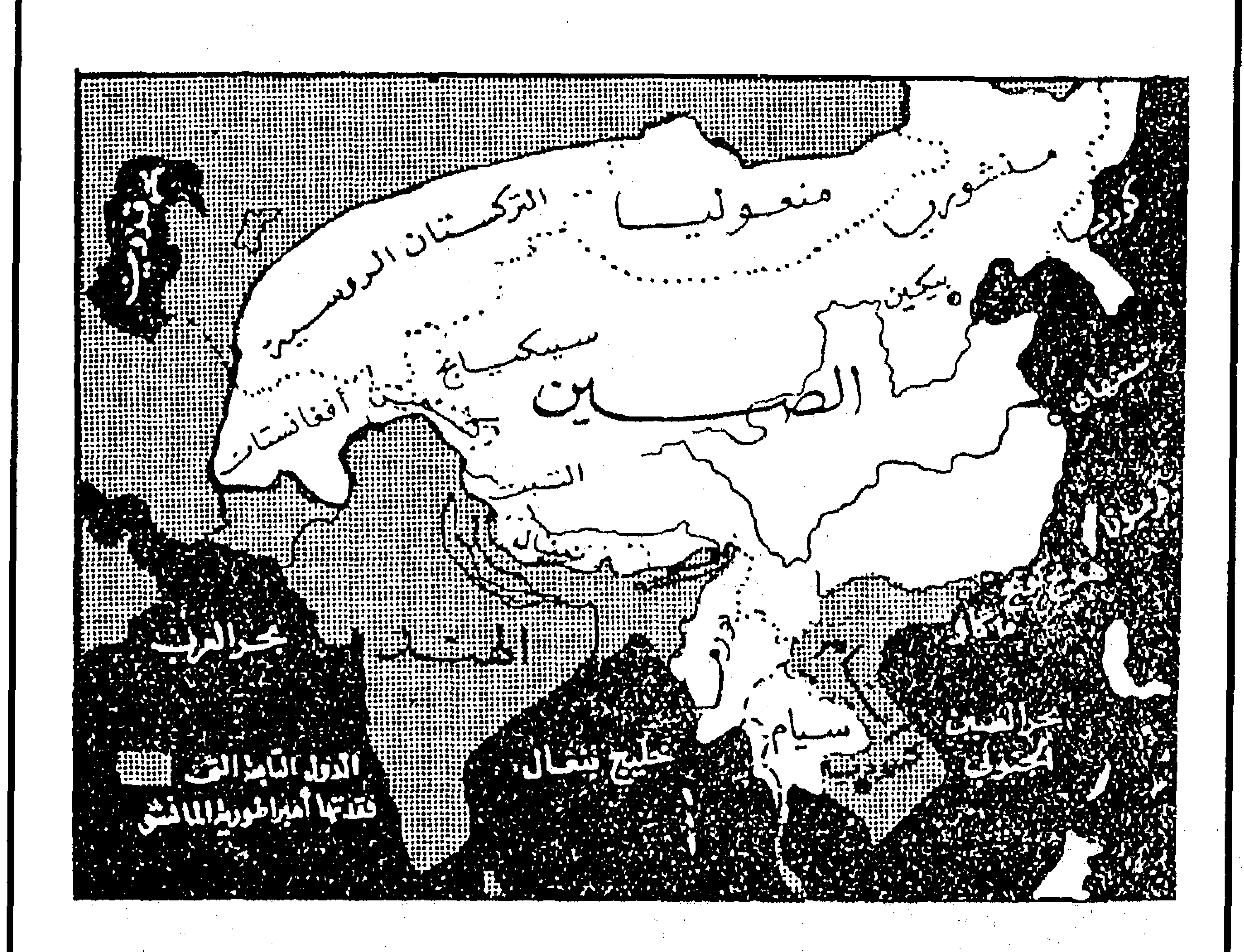


الجزر اليابانية

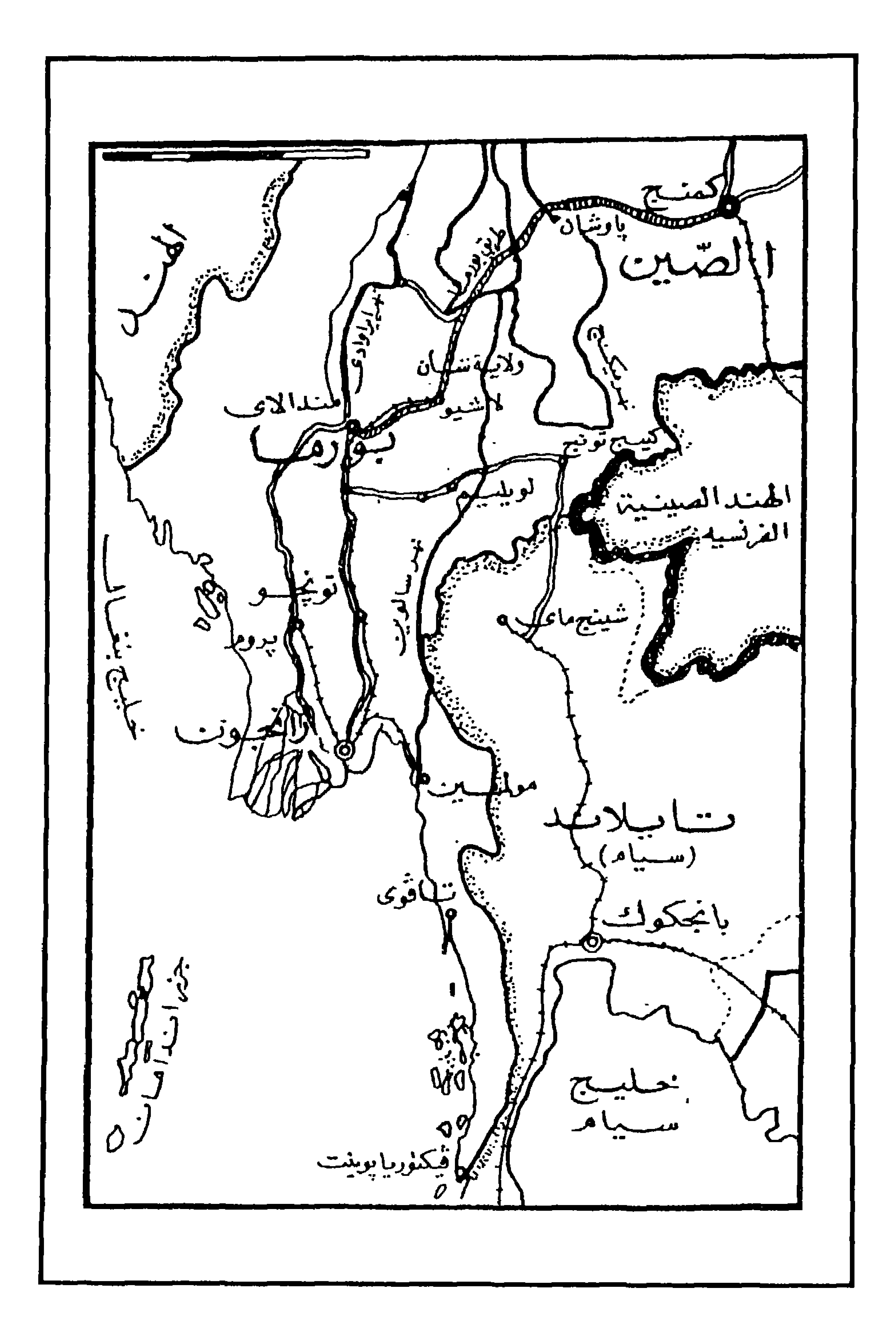


مناطق العمليات العسكرية الأجنبية في الصين

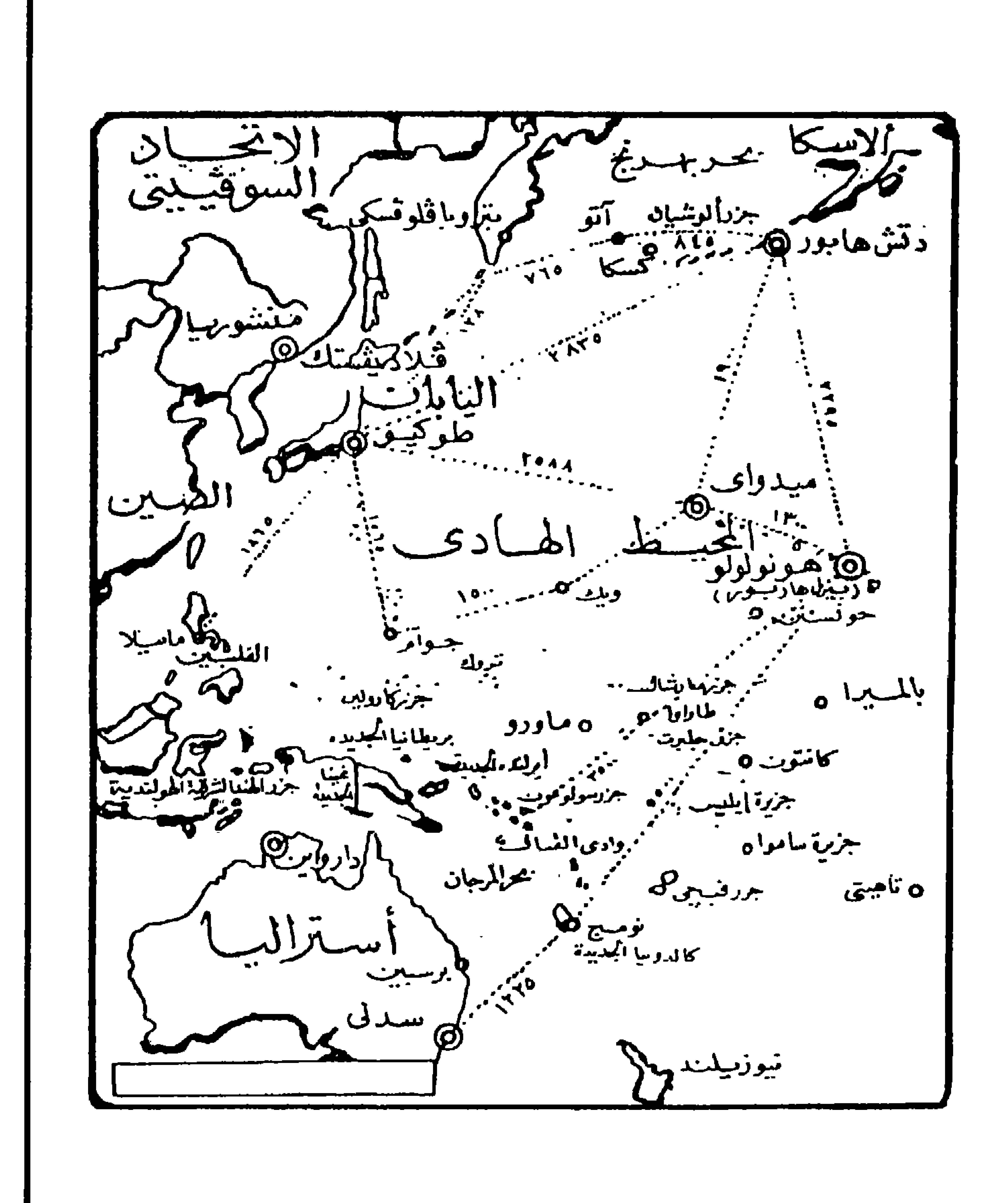
(فبراير ١٩٣٢م)




إمبراطورية المانشو في أقصى اتساعها



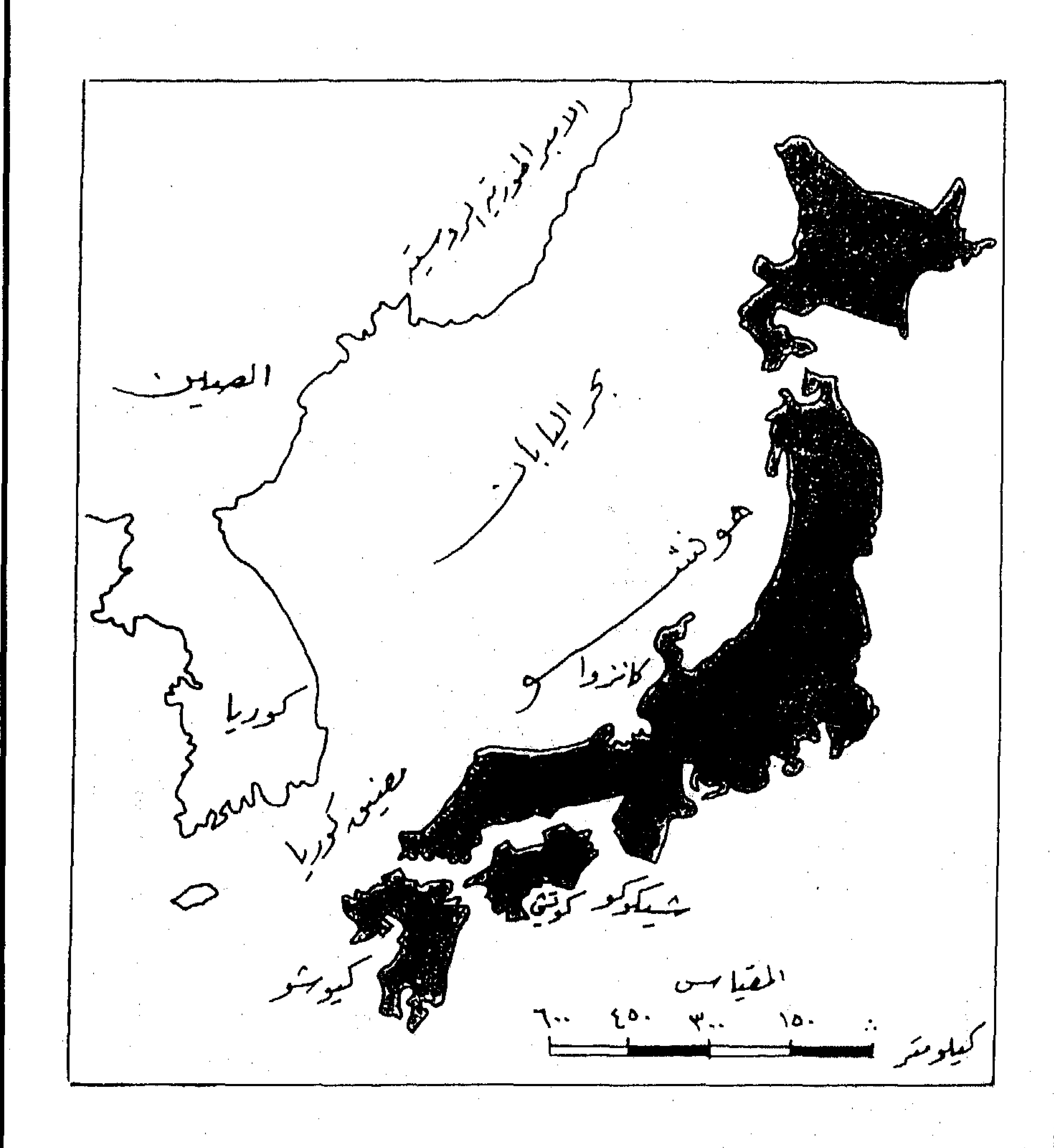
بورما وسيام وطريق بورما



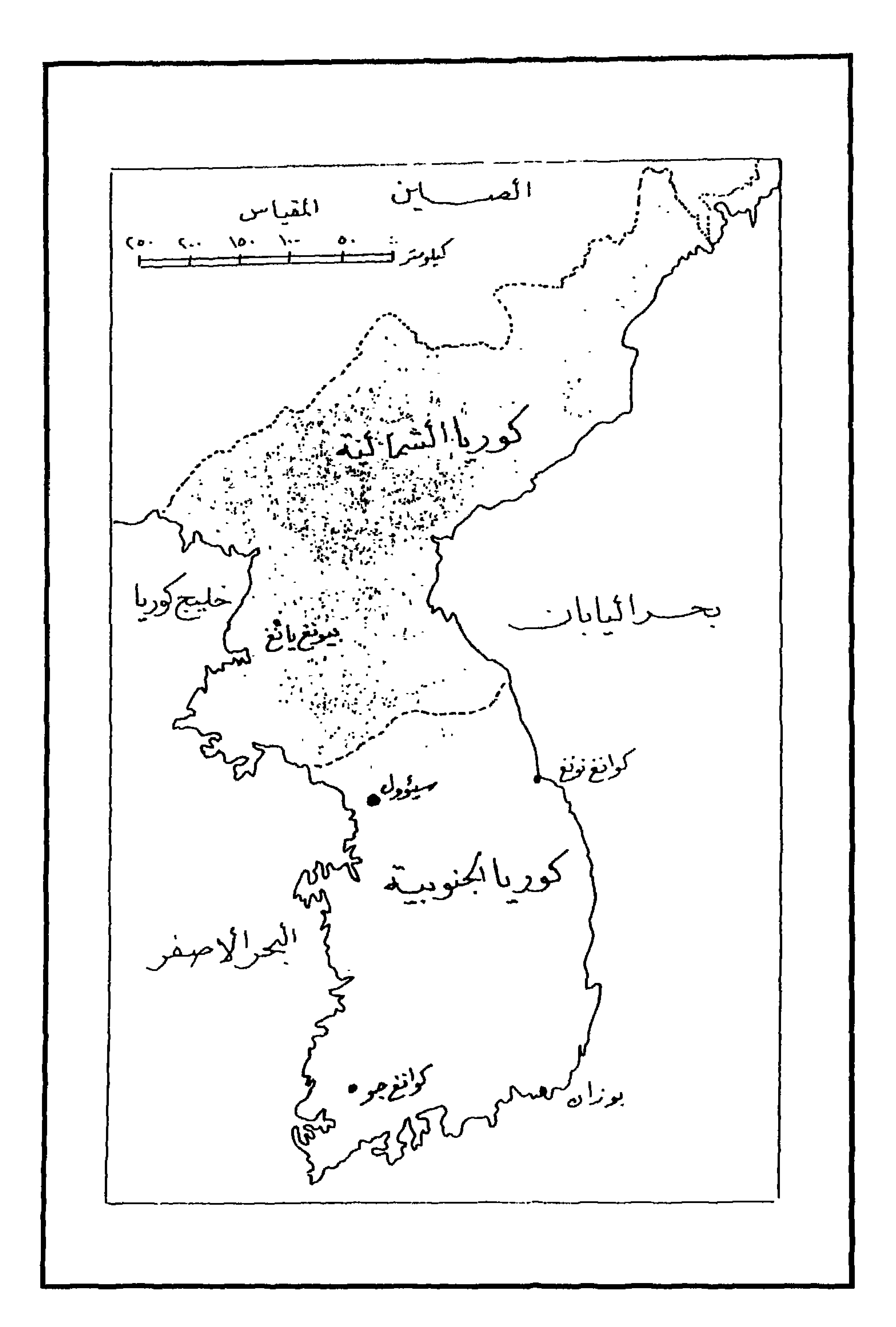
جزر المحيط الهادي


منغوليا
الإمبراطورية الروسية
تركستان الشرقية
التبت
يونان
فيتنام
بكين
تايوان
المقياس
كيلومتر

الصيـــن


الامبراطورية الروسية
الصين
بحر اليابان
هونشو
كانزوا
كوريا
مضيق كوريا
شيكوكو
كوتشي
كيوشو
المقياس
٠ ١٥٠ ٣٠٠ ٤٥٠ ٦٠٠
كيلومتر

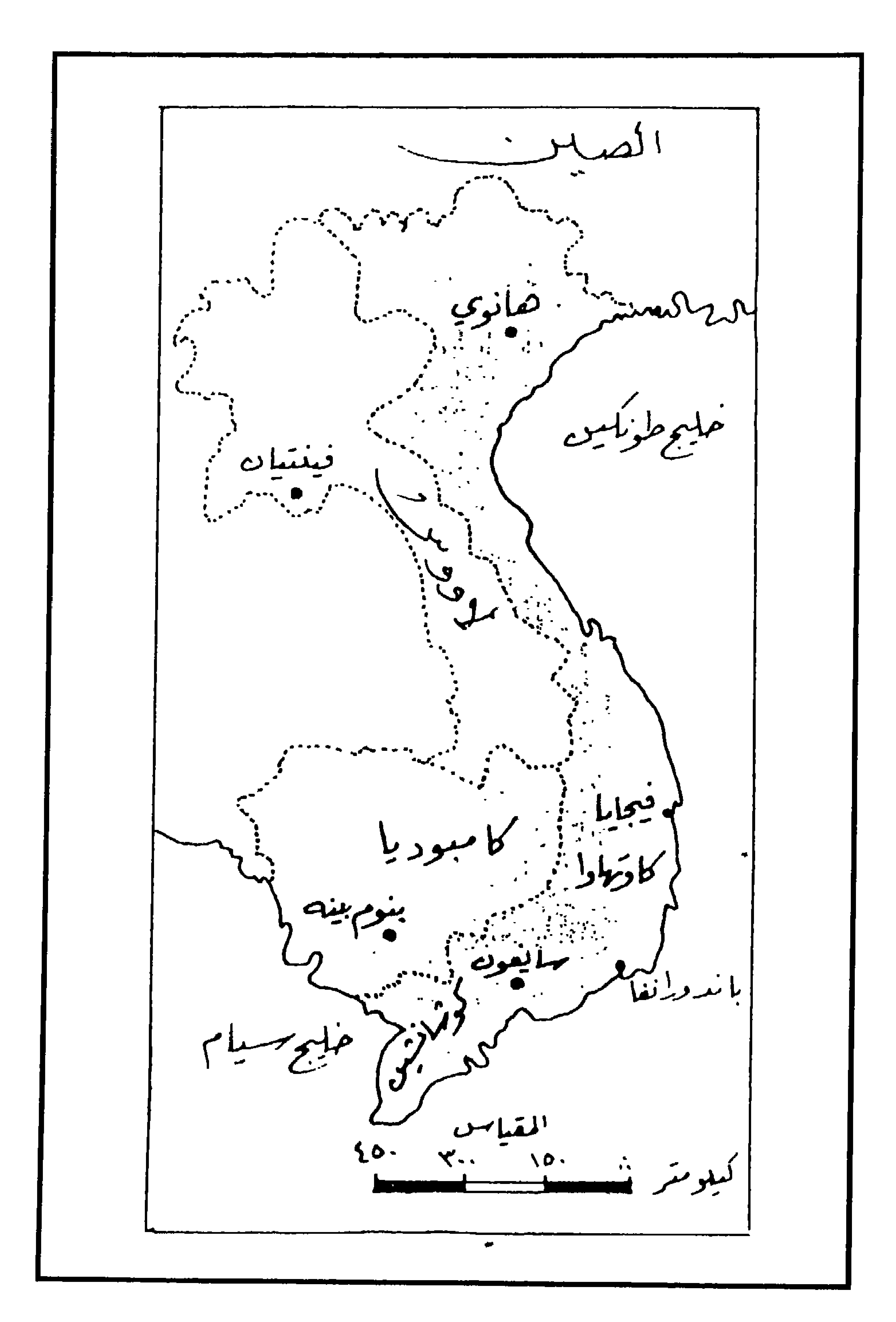
اليابان


الصين
المقياس
كيلومتر
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠
كوريا الشمالية
خليج كوريا
بيونغ يانغ
بحر اليابان
كوانغ نونغ
سيئول
كوريا الجنوبية
البحر الاصفر
كوانغ جو
بوزان

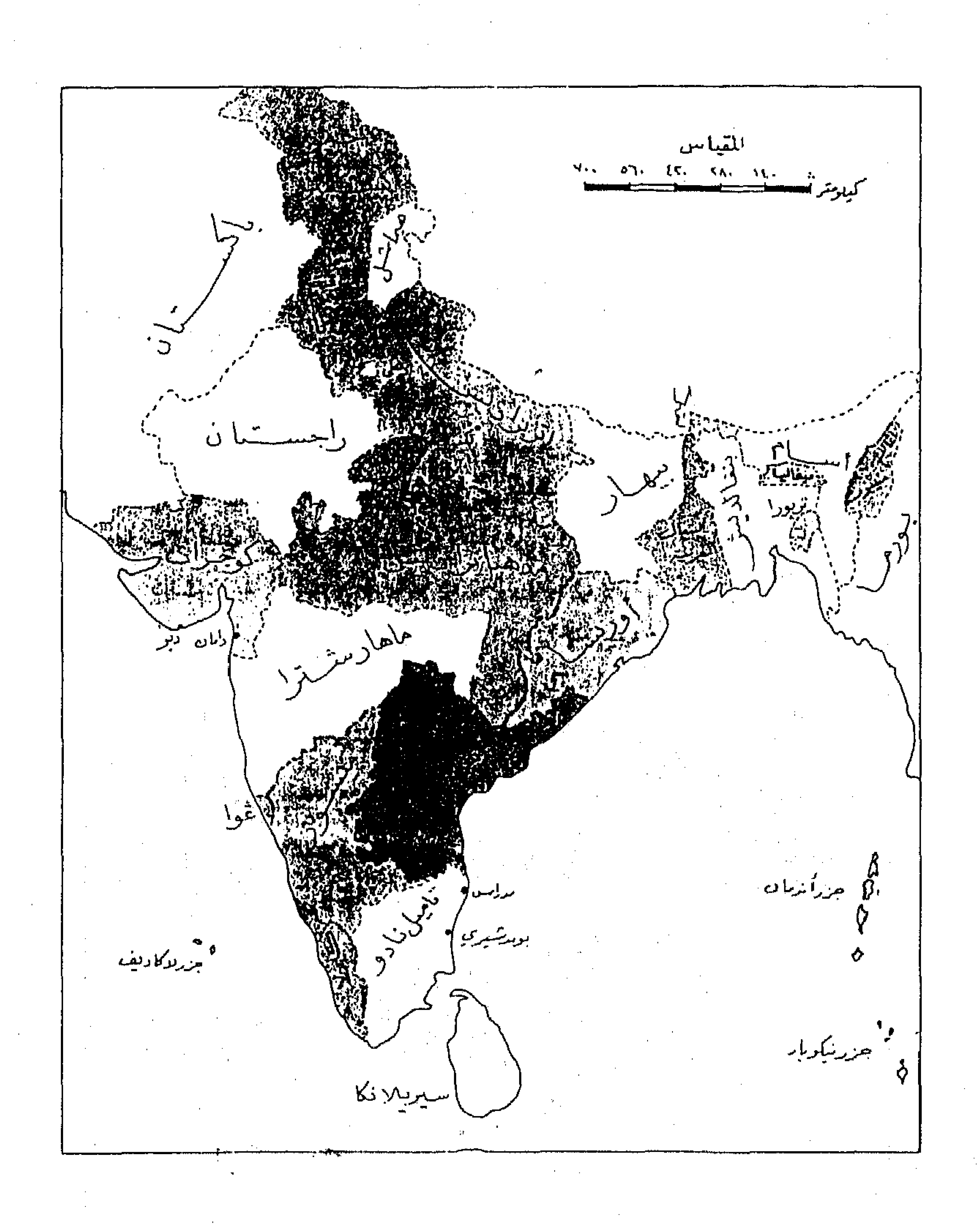
كوريا


لوزون
مندورو
سامار
ليت
باناي
بالاوان
بوهول
نيغروس
جزر صولو
المقياس
كيلومتر
١٥٠
٣٠٠
٤٥٠
٦٠٠
٧٥٠

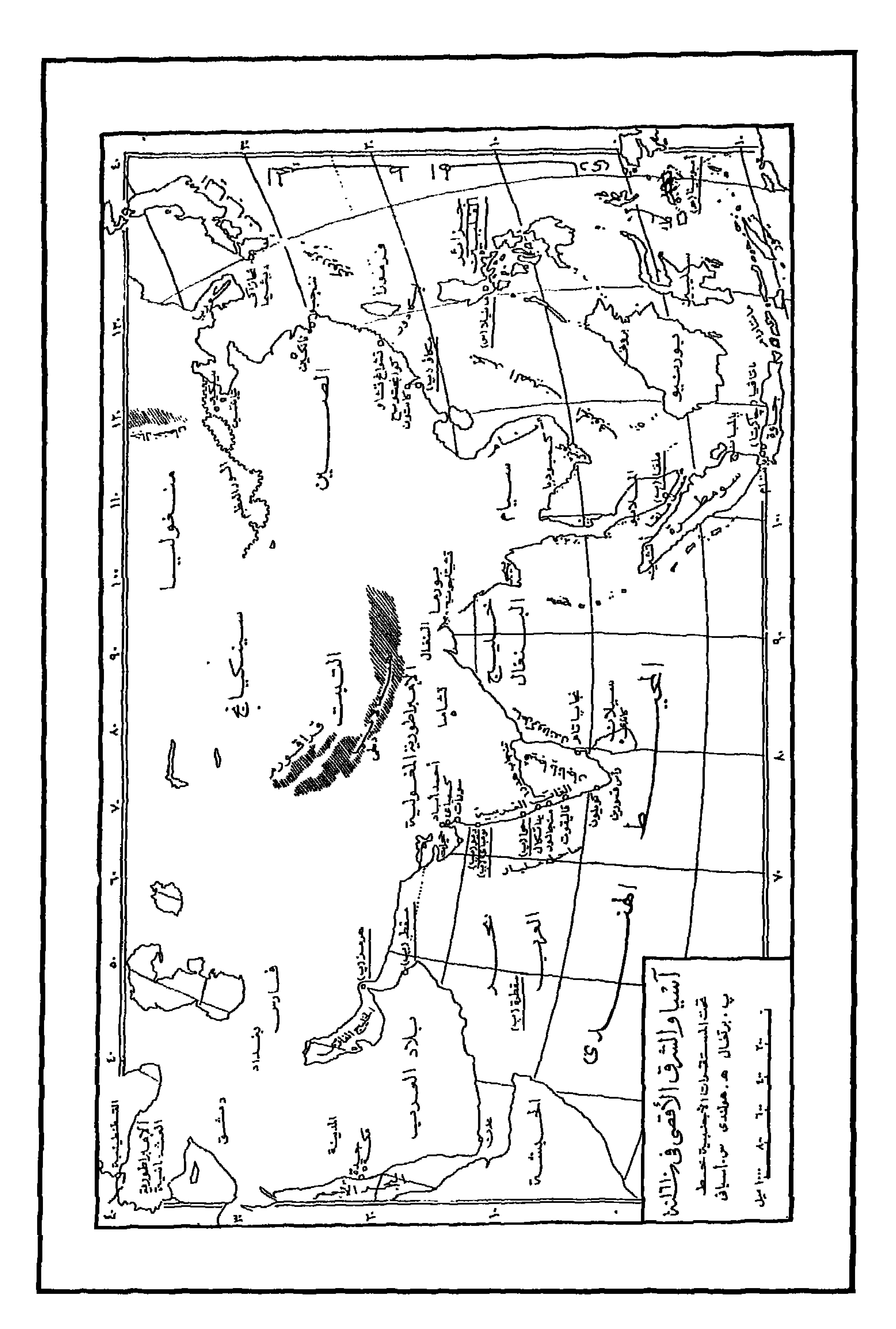
الفلبيـن



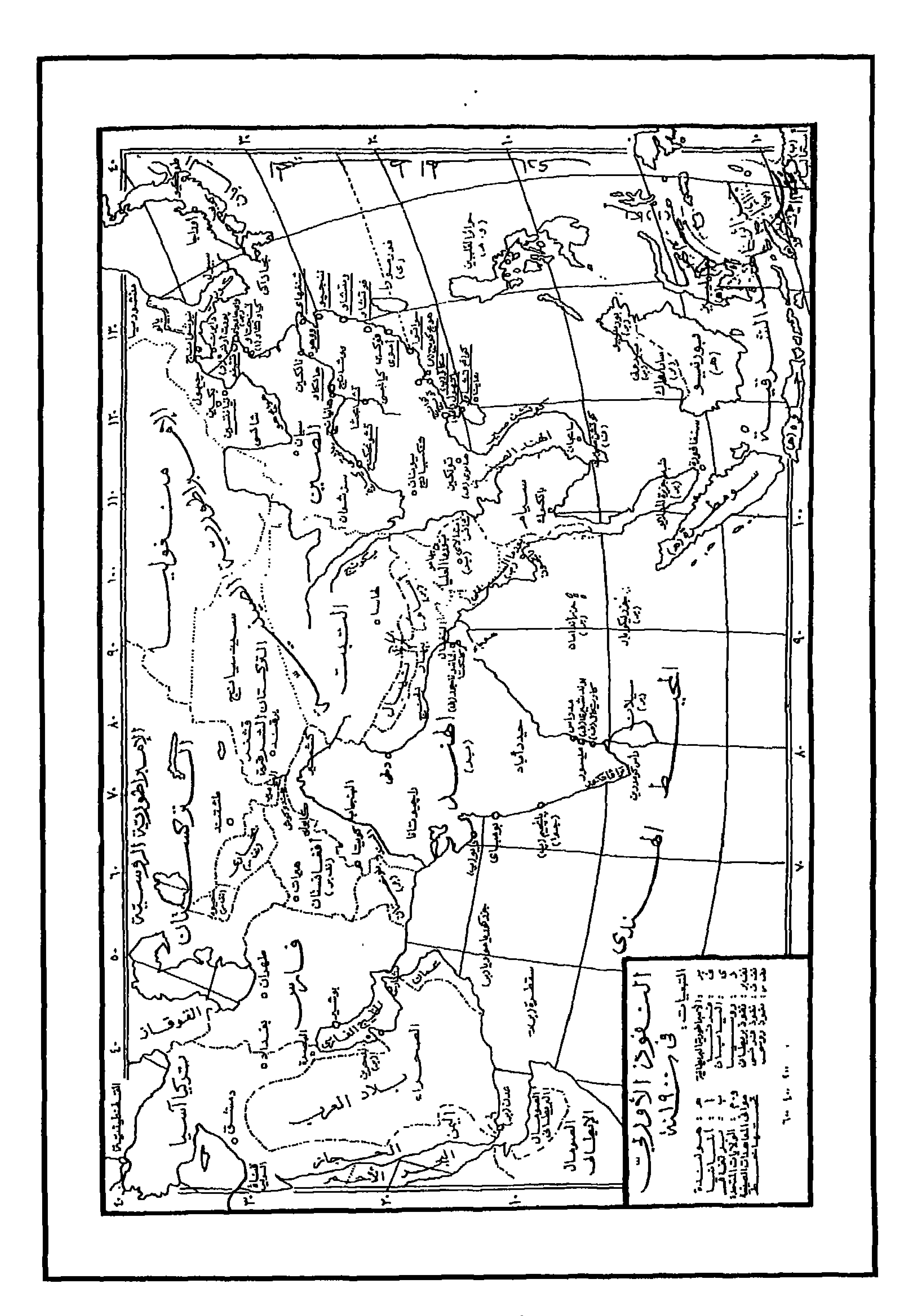
الهند الصينية


المقياس
كيلومتر
راجستان
ماهارشترا
بيهار
اسام
تريبورا
غوا
مدراس
بوندشيري
تاميل نادو
جزر أندمان
جزر لاكاديف
جزر نيكوبار
سيريلانكا

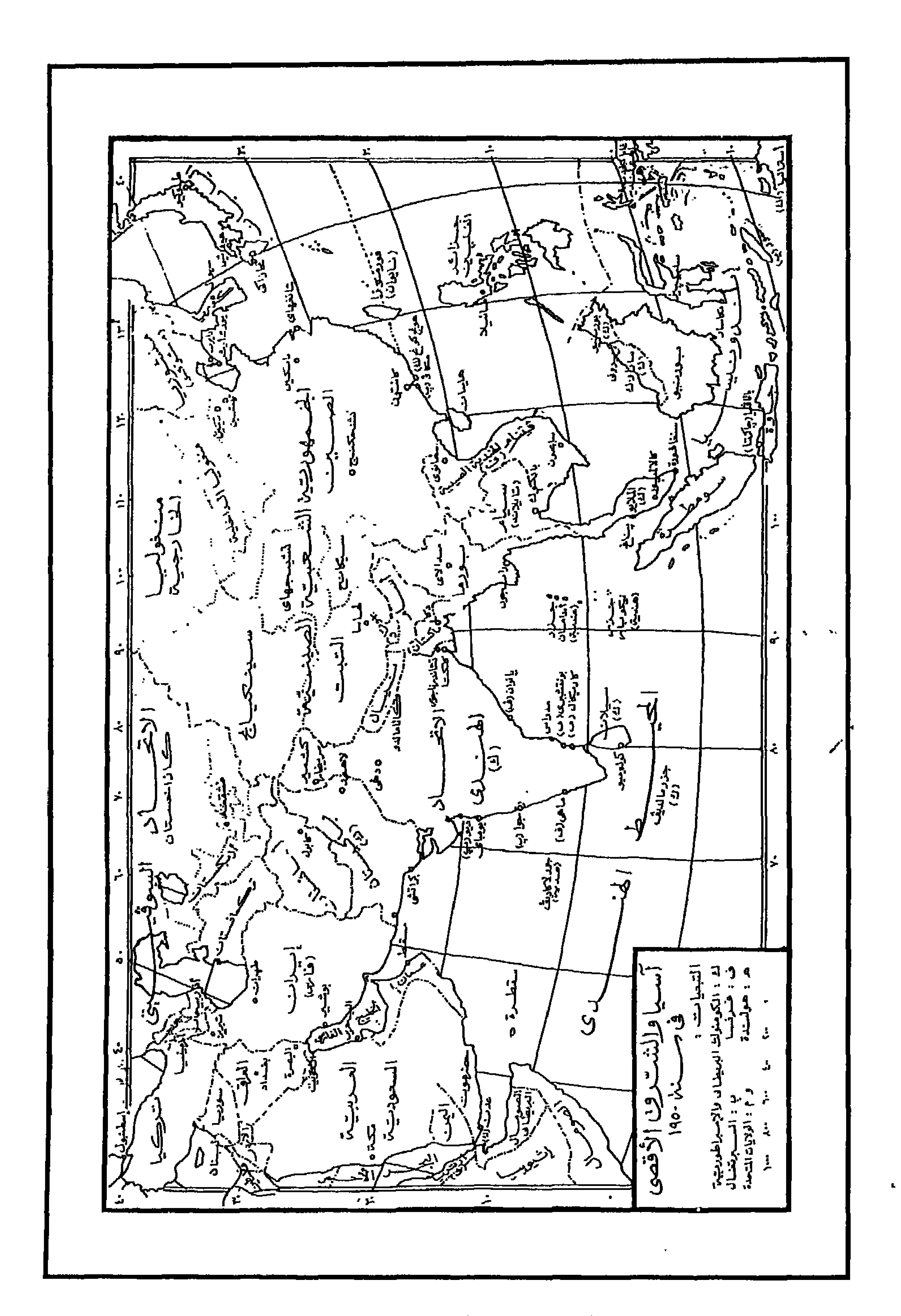
الهند



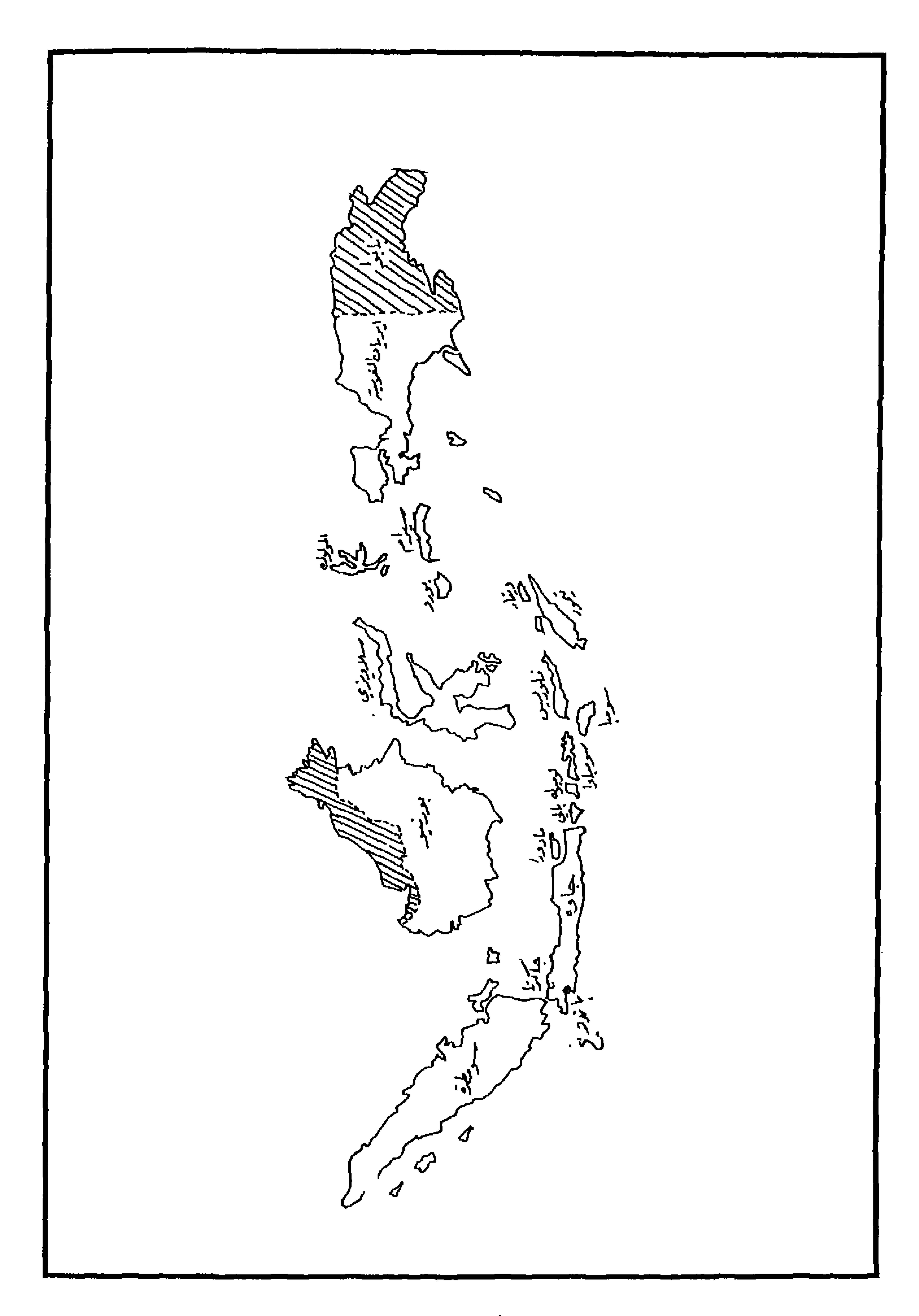
آسيا والشرق الأقصى في سنة ١٦١٠م



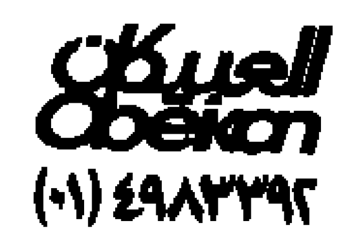
النفوذ الأوروبي في سنة ١٩٠٠م



آسيا والشرق الأقصى في سنة ١٩٥٠م



أندونيسيا


العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢



٩٩٦٠ ٢٠ ٠٩٨١